

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

خلافة المُستَرشد بالله

إعداد الطالب:

حمود مضعان عيال سلمان

إشراف

الأستاذ الدكتور حسين فلاح الكساسبة

رسالة مقدّمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الدكتوراه في التاريخ قسم التاريخ

جامعة مؤتة، 2008م



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

(نموذج رقم 14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب حمود مضعان عيال سلمان الموسومة بـ:

خليفة المُستَرشد بالله

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ.

القسم: التاريخ.

التوقيع	التاريخ	
	2008/12/31	أ.د. حسين فلاح الكساسبة
	2008/12/31	أ.د. محمد حسين المحاسنة
	2008/12/31	أ.د. احمد عبدالله الحسو
	2008/12/31	د. عوض عبدالكريم الذنبيات

عميد الدراسات العليا
أ.د. نضال صالح الحوامدة



MUTAH-KARAK-JORDAN

Postal Code: 61710

TEL :03/2372380-99

Ext. 5328-5330

FAX:03/ 2375694

e-mail:

dgs@mutah.edu.jo

sedgs@mutah.edu.jo

<http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm>

مؤتة - الكرك - الاردن

الرمز البريدي: 61710

تلفون: 03/2372380-99

فرعي 5328-5330

فاكس 03/2 375694

البريد الالكتروني

الصفحة الالكترونية

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة

الإهداء

إلى مَنْ ربياني صغيراً، والديّ العزيزين.....
إلى زوجتي الغالية التي رافقتني رحلتي مع هذا العمل.....
إلى أبنائي الأعزاء.....

أهدي جهدي المتواضع هذا

حمود مضعان عيال سلمان

الشكر والتقدير

ينبغي على المرء، أن يشكر أهل الفضل على فضلهم. فالشكر أولاً لله عز وجل على فضله ومنه، أن أنعم عليّ ووفّقني إلى إتمام هذا العمل، ثم الشكر والتقدير الى أستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور حسين الكساسبة، الذي شاركني مختلف مراحل هذا العمل فيما أبداه من ملاحظات قيمة، وتوجيهات كريمة، أسهمت في بناء أطروحتي، وأنارت لي طريق العلم والبحث؛ فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يجنبه كل شرّ ويدفع عنه كل أذى. وأتقدّم بالشكر والعرفان بالفضل للأعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور أحمد عبدالله الحسو، والأستاذ الدكتور محمد محاسنه، والدكتور عوض الذنبيات لما بذلوه من جهد طيّب صادق في قراءة هذه الدراسة، ولتفضلهم بقبول مناقشتها، وتقديم كلّ ما هو مفيد في إخراج الدراسة بالشكل الذي يجب. وأمّا أولئك الذين لا يسع المجال لذكرهم فشكري لهم ما حييت.

حمود مضعان عيال سلمان

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
جـ	فهرس المحتويات
و	قائمة الملاحق
ر	الملخص باللغة العربية
ح	الملخص باللغة الإنجليزية
	الفصل الأول : حياة المُسْتَرْشِد (512-529هـ/1119-1136م)
1	1.1 المقدمة
3	2.1 أسمه ونسبه ومولده
6	3.1 صفاته
8	4.1 دراسة المُسْتَرْشِد وثقافته
12	5.1 بيعته بولاية العهد
14	6.1 بيعته بالخلافة وحركة أخيه أبي الحسن
	الفصل الثاني: حكومة الخليفة المُسْتَرْشِد بالله
21	1.2 الوزارة في عهد المُسْتَرْشِد بالله
34	2.2 نائب الوزير
	3.2 الوظائف الإدارية
37	1.3.2 كاتب الإنشاء:
40	2.3.2 صاحب المخزن:
42	3.3.2 ديوان زمام:
43	4.3.2 ديوان المظالم
44	5.3.2 أستاذية الدار
44	6.3.2 حاجب الخليفة

45	4.2	موظفو السلطنة السلجوقية في بغداد في عهد الخليفة المُستَرشد
48	1.4.2	العميد
56	2.4.2	شحنة بغداد:
67	5.2	جيش الخلافة في خلافة المُستَرشد
71	6.2	القضاء
72	7.2	نقابات الأشراف
73	1.7.2	نقابة العباسيين
	2.7.2	نقابة الطالبيين
		الفصل الثالث: المُستَرشد والسلجقة (512-529هـ/1119-1135م)
74	1.3	نشأة السلجقة وعلاقتهم بالخلافة العباسية حتى سنة
		447هـ/1056م / ~~447هـ/1056م~~ L 057
91	2.3	علاقة الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية قبل خلافة
		المُستَرشد (447-512هـ/1056-1119م)
105	3.3	سلاطين السلجقة في عهد الخليفة المُستَرشد
		(512-529هـ/1119-1135م)
	4.3	علاقة الخليفة المُستَرشد بالسلجقة (512-529هـ/1119-1135م)
111	1.4.3	مرحلة الاستعداد للمواجهة (512-517هـ/1119-1131م)
118	2.4.3	المرحلة الثانية: المواجهة الأولى
		(517-525هـ/1131-1124م)
128	3.4.3	المرحلة الثالثة: المواجه الثانية والاستقلال
		(525-529هـ/1131-1135م)
135	4.4.3	الحرب مع السلطان مسعود ومقتل الخليفة
		(529هـ/1135م)

الفصل الرابع: علاقة الخلافة العباسية بالقوى المجاورة لها في خلافة المُسْتَرشِد

146	الإمارة المزيديّة (387-558هـ/998-1163م)	1.4
161	أتابكية الموصل (521-631هـ/1128-1234م)	2.4
173	الحروب الصليبيّة وموقف الخليفة المُسْتَرشِد منها	3.4
178	الحركة النزاريّة وعلاقتها بالخليفة المُسْتَرشِد	4.4
184	الخاتمة	5.4
186	المصادر والمراجع	
197	الملاحق	

قائمة الملاحق

الصفحة	العنوان	رمز الملحق
198	أسماء الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي	أ
200	الوزراء العباسيون في خلافة المُسترشد	ب
202	أصحاب الشحنة في بغداد في خلافة المُسترشد	ج
204	سلسلة النسب السلجوقي	د
205	الاجتياالات التي نفذتها الحركة الإسماعيلية في الفترة (485-532هـ/1093-1138م)	هـ
208	خرائط متعلقة بالدراسة	و

المخلص

خلافة المُسْتَرْشِدِ بالله العباسي
(512-529هـ/1119-1135م)

حمود مضعان عيال سلمان

جامعة مؤتة 2008م

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على أحد خلفاء الدولة العباسية في عهدها المتأخر، ألا وهو الخليفة المُسْتَرْشِدِ بالله العباسي (512-529هـ/1119-1135م)، وقد قسمت الدراسة الى أربعة فصول. تتناول الفصل الأول حياة الخليفة المُسْتَرْشِدِ (486-512هـ/1094-1135م)، حيث تناول اسمه، ونسبه، ومولده، وصفاته، ودراسته، وبيعته بولاية العهد، ثم توليه الخلافة، وحركة أخيه أبي الحسن علي. وتتناول الفصل الثاني حكومة المُسْتَرْشِدِ، وبخاصة وزراءه، وكبار موظفيه، وموظفي السلطنة السلجوقية في بغداد، وعلاقته بهم، وتكوين الجيش العباسي في عهده، والقضاء في بغداد وما يتبعها من مناطق في خلافة المُسْتَرْشِدِ. وناقش الفصل الثالث علاقة الخلافة العباسية بالسلاجقة، وقد تم معالجة العلاقة بين الخلفاء والسلاجقة في فترة ما قبل خلافة المُسْتَرْشِدِ (447-512هـ/1056-1119م)، ثم تم دراسة علاقة المُسْتَرْشِدِ بالسلطنة السلجوقية في خلافته.

وخصص الفصل الرابع لدراسة علاقة الخليفة المُسْتَرْشِدِ بالقوى المجاورة لأراضي الخلافة العباسية، ومن هذه القوى الإمارة المزيديّة، وأتابكية الموصل، وكذلك موقف الخليفة المُسْتَرْشِدِ من الحروب الصليبية، والحركة الإسماعيلية النزارية. وانتهت الدراسة الى خاتمة تضمنت ما توصلت إليه من آراء وأفكار عن حياة المُسْتَرْشِدِ وحكومته، وتقييماً لدوره في مقاومة النفوذ السلجوقي في العراق، وعلاقاته مع القوى المعاصرة له.

Abstract

The Caliphate of al-Mustarshid Bi'llah's (512-529 /1119-1135)

**Hmud Mad'an Iyal-Salman
Mu'tah University 2008.**

This study aims to shed light on al-Mustarshid Bi'llah (512-529 /1119-1135) one of the Abbasid caliphs in the late Abbasid period. The study is divided into four chapters introduction and conclusion

The first chapter deals with the life of the caliph al- Mustarshid, in particular, the caliph's name, descent, birth, qualities, education, coming to the throne, and the movement of his brother Abi al-Hasan Ali.

The second chapter examines al- Mustarshid's government. It discusses his ministers (wazirs), judicial system, the establishment of the army and higher rank government officials. It also talks about the posts of the Saldjuki Sultanate in Baghhdad and their relationship with the caliph.

The third chapter studies the relationship between the Saldjuki Sultanate and the Abbasid Caliphate. This relationship has been explored during both the pre- Mustarshid and his reign.

The fourth chapter deals with the relationship of caliph al-Mustarshid with the neighboring forces, such as: the Mazyadids and the Atabiks of Mosul, as well as his point of view regarding the Crusades and the Ismaili Movement.

الفصل الأول

حياة المُسْتَرْشِد (512-529هـ/1119-1136م)

1.1 المقدمة

يشكل تاريخ الدولة العباسية في عهدها المتأخر فترة مهمة من تاريخ العرب والمسلمين تعددت فيه مجالات البحث والدراسة، بين دراسة الخلافة العباسية ومؤسساتها، ودراسة السلطنة السلجوقية وعلاقتها بالخلافة العباسية، ومع ما نالته هذه الفترة من اهتمام الباحثين؛ إلا أنها مازالت بحاجة الى مزيد من الدراسات وبخاصة فيما يتعلق بخلفاء هذه الفترة، ودورهم في إعادة قوة الخلافة وهيبتها، بعد أن أحكم السلاجقة سيطرتهم عليها، وسلبوا الخليفة سلطاته وصلاحياته وحصروا دوره في الجانب الديني، ويأتي الخليفة المُسْتَرْشِد (512-529هـ/1119-1135م) في طليعة خلفاء هذه الفترة، الذين لم ينالوا الاهتمام الكافي من الباحثين؛ إذ لم يعثر على دراسة متخصصة تتناول دوره التاريخي.

من هنا تأتي هذه الدراسة بهدف تسليط الضوء على خلافة المُسْتَرْشِد بالله (512-529هـ/1119-1135م)، والكشف عن إدارته للخلافة العباسية، والجهاز الإداري في عهده، ودوره في إعادة هيبة الخلافة وقوتها في ظل سيطرة السلاجقة، وعلاقته مع القوى المحيطة بمناطق نفوذه .

اعتمدت الدراسة على ما وصل إلينا من كتابات المؤرخين المعاصرين والتالين لحقبة الدراسة، ومنها كتاب التذكرة الحمدونية لابن حمدون (ت562هـ/1167م)، وأخبار الدولة السلجوقية لمؤلفه الحسيني (ت575هـ/1175م)، والإنبياء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني (ت580هـ/1185م)، وزبدة النصرة ونخبة العصرة لمؤلفه الأصفهاني (ت597هـ/1201م)، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (ت597هـ/1201م)، وراحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية لمؤلفه الراوندي (601هـ/1205م)، وكتابا الكامل في التاريخ، والتاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل لابن الأثير (ت630هـ/1233م)، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (ت654هـ/1257م)، وتاريخ الزمان لابن

العبري (ت685هـ/1287م)، ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل (697هـ/1298م)، والفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقا (ت 709هـ/1310م)، والبداية والنهاية لابن كثير (ت774هـ/1373م)، والعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون (ت808هـ/1406م)، والجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين لابن دقماق (ت809هـ/1407م)، وغيرها، كما أفادت الدراسة من آراء الباحثين المحدثين الذين تناولوها بشكل غير مباشر من خلال دراستهم للخلافة العباسية أو الدولة السلجوقية، وتم التعامل مع هذه المادة حسبما هو معمول به في قواعد البحث التاريخي توثيقاً ونقداً وتحليلاً.

انتظمت الدراسة في مقدمة، وأربعة فصول. تعرض الفصل الأول لحياة المُستَرشِد وصفاته ودارسته وبيعته بولاية العهد، وتوليه الخلافة (512-529هـ/1119-1135م)، في حين تناول الفصل الثاني: حكومة المُستَرشِد وعلاقته بوزرائه وموظفيه ودورهم في مقاومة النفوذ السلجوقي، أما الفصل الثالث فقد عالج علاقة الخلفاء العباسيين الذين سبقوا المُستَرشِد بالسلاجقة، وعلاقة المُستَرشِد بالسلاجقة، محاولاً عقد المقارنات بين هاتين الفترتين، وخصص الفصل الرابع لدراسة علاقة الخليفة المُستَرشِد مع القوى المحيطة بمناطق نفوذه، والتي لها تماس مباشر معه. أنهيت الدراسة بخاتمة تضمنت خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، وتقييماً لدور المُستَرشِد في فترة توليه الخلافة العباسية، كما ضمت ملخصين باللغتين العربية والانجليزية، وعدداً من الملاحق المتصلة بالدراسة، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع والبحوث المعتمدة فيها.

1.2 اسمه ونسبه ومولده

هو المُسْتَرَشِد بالله الفضل بن أحمد المستظهر بالله بن عبدالله المقتدي بأمر الله ابن محمد بن عبدالله القائم بأمر الله بن أحمد القادر بالله بن إسحاق بن جعفر المقتدر بالله بن أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل على الله ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس (1).

وأُمُّه _____ أم ولد، (2)

(1) البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ/1071م) تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج9، ص399، سيشار إليه تالياً: البغدادي، تاريخ؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طعيمات، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى ببغداد 1963م، ص 14، سيشار له تالياً: ابن الأثير، التاريخ؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت748هـ/1348م) سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1984م، ج19، ص561، سيشار له تالياً: الذهبي، سير؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن محمد بن أيمن (ت809هـ/1407م) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلطين، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 162، سيشار له تالياً: ابن دقماق، الجوهر .

(2) ابن الأثير، التاريخ، ص 51؛ أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب (ت732هـ/1332م) تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، ج 1 ص73، سيشار له تالياً: أبو الفداء، تاريخ؛ ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/1349م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار المعرفة، بيروت 1970، ج2، ص 62، سيشار له تالياً: ابن الوردي، تاريخ؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج11، ص259، سيشار له تالياً: ابن كثير، البداية؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1506م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت (د.ت)، ص339، سيشار له تالياً: السيوطي، تاريخ= شاعر، محمود، التاريخ الإسلامي، (الدولة العباسية)، ط5، المكتب الإسلامي، بيروت 1991م، ج1، ص495. سيشار له تالياً: شاعر، التاريخ.

ذكرتها المصادر بأسماء مختلفة منها لبابة،⁽¹⁾ ومنها طرقة⁽²⁾ ومنها أقبالن⁽³⁾، قال عنها سبط ابن الجوزي أنها كانت صالحة متصدقة،⁽⁴⁾ توفيت ليلة الاثنين تاسع من عشر شوال سنة 528هـ/1134م⁽⁵⁾.

اختلفت المصادر في تاريخ ولادة المُستَرشد بين عام 485هـ/1093م،⁽⁶⁾ وعام 486هـ/1094م،⁽⁷⁾ كما اختلفت في اليوم والشهر، فذكر الكازروني والإربلي

(1) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي التركي (ت 654هـ/1257م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط1، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند 1951م، ق1، ج8، ص70، سيشار له تالياً: سبط ابن الجوزي، مرآة: الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت 717هـ/1318م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق: مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ص272، سيشار له تالياً: الأربلي، خلاصة.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص70.

(3) الكازروني، علي بن محمد البغدادي (ت 697هـ/1298م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد 1970م، ص219؛ سيشار له تالياً، ابن الكازروني، مختصر.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص152.

(5) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج17، ص290. سيشار له تالياً: ابن الجوزي: المنتظم؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص152؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص257.

(6) الكازروني، مختصر، ص219؛ الأربلي، خلاصة، ص272؛ القرمانلي، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، مخطوط عالم الكتب بيروت ص174؛ السيوطي، تاريخ، ص339؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، (ت 1089هـ/1679م)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص86. سيشار له تالياً: ابن التعماد، شذرات

(7) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت 580هـ/1185م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، لايدن 1973م، ص210، سيشار إليه تالياً ابن العمراني، الإنباء؛ السبكي، عبد الوهاب بن =

أنه ولد يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة 485 هـ/1093م⁽¹⁾، وأغفل القرماني والسيوطي وابن العماد الحنبلي ذكر اليوم الذي ولد فيه، واكتفوا بالإشارة إلى أنه ولد في شهر ربيع الأول من السنة آتفة الذكر،⁽²⁾ أما ابن العمراني فحددها بيوم الاثنين، السابع من شعبان سنة 486 هـ/1094،⁽³⁾ وذكر السبكي أنه ولد في يوم الأربعاء الثامن عشر من الشهر والسنة ذاتها،⁽⁴⁾ أما الفارقي فقال أن مولده في العشر الأواخر من شعبان⁽⁵⁾ واكتفى ابن الأثير والذهبي بالقول أنه ولد في شهر شعبان،⁽⁶⁾ وجمع ابن الجوزي وسبطه بين هذه الروايات فقالا: أنه ولد ليلة الأربعاء الرابع من ربيع الأول سنة 484 هـ/1092، وقيل 485 هـ/1093 وقيل 486 هـ/1094م⁽⁷⁾.

لم تذكر المصادر مكان ولادة المُسْتَرَشِد تحديدًا، غير أنه ولد في بغداد؛ دار الخلافة مكان إقامة والده الخليفة المستظهر (478-512 هـ/1094-1118 م)، ولعل هذا ما جعل المصادر تسكت عن ذكر مكان ولادته.

عاش المُسْتَرَشِد بالله صباه وشبابه في ظل رعاية أبيه الخليفة المستظهر بالله، وتزوج في عهد أبيه، ورزق بمولوده الأول، وهو الراشد بالله سنة

علي بن عبد الكافي (ت 771 هـ/1370 م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط2، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة 1992 م، ج7، ص258، سيشار إليه تالياً: السبكي، طبقات؛ الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (عاش في القرن السادس الهجري)، تاريخ، تحقيق: بدوي عبداللطيف عوض، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1974 م، ص285، سيشار إليه تالياً الفارقي، تاريخ.

(1) الكازروني، مختصر، ص219؛ الأربلي، خلاصة، ص272.

(2) القرماني، أخبار، ص174؛ السيوطي، تاريخ، ص339؛ ابن العماد، شذرات، ج4، ص86

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص210.

(4) السبكي، طبقات، ج7، ص258.

(5) الفارقي، تاريخ، ص285.

(6) ابن الأثير، التاريخ، ص51؛ الذهبي، سير، ج19، ص561.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص161؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص70.

501هـ/1108م⁽¹⁾، وكان للمستترشد من الأبناء بالإضافة إلى الراشد، إسماعيل (ت543هـ/1149م)⁽²⁾، وأحمد، وأبو عبدالله موسى (ت567هـ/1167م)، وعيسى (ت575هـ/1180م)⁽³⁾.

1.3 صفاته

وصف المؤرخون المُستَرشِد بالله العباسي (512-529 هـ/1118-1134م) بالعديد من الصفات الجسمية، والمعنوية، فقال عنه الكازروني والأربلي: "إنه كان أسمر اللون، رقيق البشرة، تام الطول في مقدم لحيته طول"⁽⁴⁾، ووصفه الذهبي: "بأنه كان أشقر، أعطر، أشهل، خفيف العارضين"⁽⁵⁾، وقال عنه القلانسي: "إنه كان أشقر الشعر، أشهل العينين، بوجهه نمشه"⁽⁶⁾، ووصف نفسه شعراً فقال: أنا الأشقر الموعود بي في الملاحم من يملك الدنيا بغير مزاحم⁽⁷⁾.

-
- (1) ابن قاضي شعبة، بدر الدين، الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نورالدين محمود بن زنكي)، تحقيق: محمود زايد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت 1971م، ص 84، سيشار إليه تالياً ابن قاضي شعبة، الكواكب.
- (2) قال عنه الكازروني: أنه كان صالحاً انظر: الكازروني، مختصر، ص222.
- (3) الكازروني، مختصر، ص222.
- (4) المصدر نفسه، ص219؛ الأربلي، خلاصة، ص272.
- (5) الذهبي، سير، ج19، ص563؛ الآلوسي، عادل محي الدين، "ال خليفة المُستَرشِد بالله العباسي"، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العدد1، السنة 1978م، ص416، سيشار إليه تالياً، الآلوسي، "المُستَرشِد".
- (6) القلانسي، حمزة (ت555هـ) ذيل تاريخ دمشق، (د،ط)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت 1908م، ص252، سيشار إليه تالياً: القلانسي، ذيل.
- (7) الأصفهاني عماد الدين الكاتب (ت597هـ/1201م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1955م، القسم العراقي، ج1، ص30، سيشار إليه تالياً: الأصفهاني، خريدة.

كما وصفه الشاعر حيص بيص⁽¹⁾، مادحاً :

تثيبتُ ركابي عن دُبَيْس بن مزَيْدٍ مناسمُهُـا مما تُغْدُ دوامي
فراراً من اللُّؤمِ المُظَاهِرِ بالحِيا وطول رحيلٍ عند طولٍ مقامٍ
ليخصب ربي بعد طولٍ محليه بأبيضٍ وفتح الجبين إمام⁽²⁾.
أما صفاته المعنوية، فقد ذكرت المصادر أنه كان شجاعاً، ذا همّة عالية،
وشهامة زائدة، كثير الإقدام، وذا رأي وهيبة شديدة وجلال ووقار، يحترمه عدوه قبل
صديقه، وكان خليفاً للإمامة، قليل النظير⁽³⁾ جميل السيرة، محباً للعدل، والإنصاف،

(1) هو سعد بن محمد بن سعد التميمي شهاب الدين أبو الفوارس المعروف بحيص بيص، ولد ببغداد سنة 492 هـ/1099م، وقرأ أخبار العرب، وأشعارهم، ونظم الكثير من الأشعار، وله ديوان شعر، وديوان رسائل، توفي ببغداد سنة 574 هـ/1179م، انظر الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت 626 هـ/1226م)، معجم الأدباء، د.ط، دار المستشرق، بيروت د.ت، جـ 11، ص 119-201؛ سيشار إليه تالياً: الحموي، معجم؛ ابن كثير، البداية، جـ 12، ص 301-302؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني (ت 1067 هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط 1، دار الفكر بيروت د.ت، جـ 1، ص 768 سيشار له تالياً: خليفة: كشف.

(2) حيص بيص، سعد بن محمد، ديوان حيص بيص، تحقيق: مكي جاسم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1974م، جـ 3، ص 36، سيشار إليه تالياً، حيص بيص، ديوان؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 563.

(3) الفارقي، تاريخ، ص 285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص 210؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 162؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت 630 هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد الدقاق، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت 1995م، جـ 9، ص 283، سيشار له تالياً: ابن الأثير، الكامل؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 73؛ السبكي، طبقات، جـ 7، ص 258؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: أحمد كمال زكي ومحمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1980م، جـ 23، ص 277، سيشار إليه تالياً النويري، نهاية؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 563؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 259؛ القرمانى، أخبار، ص 174؛ ابن دقماق=

ناهياً عن قصد الجور والاعتساف⁽¹⁾

ومدحه الشاعر حيص بيص قائلاً:

إِياكَ إِنَّ المَجْدَ يَأْبَى التَّهْضُمَا وعزْمُكَ أَنْ البَيْضَ تَسْتَمِرُّ الدِّمَا
وَرَوْقَنَا أَظْمَاهُ حِلْمُكَ بُرْهَةً فَأَكْرَمُ وَرْدٍ مَا يَكُونُ عَلَى الظِّمَا
رَأَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَدَى الوَغَى أَعَزَّ مَقَاماً مِنْ سِوَاهُ وَأَكْرَمًا⁽²⁾.

ومع أنه من الضروري إخضاع أحكام هؤلاء المؤرخين للدراسة، قبل الأخذ بها، فإن إجماعهم عليها يعطي انطباعاً واضحاً أن الخليفة المُستَرشد صاحب صفات مميزة.

4.1 دراسة المُستَرشد وثقافته :

عاش المُستَرشد بالله ستاً وعشرين سنة من حياته في ظل رعاية والده الخليفة المستظهر بالله (487-512هـ / 1094-1118م) ببغداد، فقد اهتم الوالد بتربية ابنه وتعليمه، بل كان صاحب حضوة كبيرة عند أبيه لما امتاز به من صفات فضله على إخوته، إضافة إلى أنه كان أكبرهم سناً⁽³⁾.

بدأ المُستَرشد دراسته بقراءة القرآن الكريم⁽⁴⁾، وسماع الحديث النبوي الشريف على كبار علماء عصره، ولم يكن يتجاوز حينها عشر سنين؛ فقد سمع الحديث من أبي الحسن العلاف سنة 494هـ / 1101م،⁽⁵⁾ ومن أبي القاسم بن

الجوهر، ص 163 ؛ ابن الوردي، تاريخ، ج 2، ص 62؛ السيوطي، تاريخ، ص 339؛

ابن العماد الحنبلي، شذرات، ج 4، ص 86.

(1) القلانسي، ذيل، ص 200.

(2) حيص بيص، ديوان، ج 3، ص 7-13.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 74؛ الآلوسي، "المُستَرشد"، ص 495.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 74؛

EI², The Encyclopedia of Islam, Leiden, 1995, AL-Mustarshid, VII pp735.

(5) هو أبو الحسن علي بن أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن يعقوب البغدادي

ابن العلاف، ولد سنة 446هـ / 1055م، قرأ القرآن الكريم، وسمع الحديث النبوي=

الشريف على علماء عصره، وسمع منه آخرون، توفي في الثالث والعشرين من المحرم

سنة 505هـ / 1112م، انظر الذهبي، سير، ج 19، ص 242-243.

بيان،⁽¹⁾ ومن مؤدبه أحمد بن عبد الوهاب أبي البركات السيبي،⁽²⁾ ويبدو أن المُستَرشد قد أصبح من أهل الحديث مما أهله لروايته فقد روى عنه وزيره ابن طراد⁽³⁾، وحمزة بن علي الرازي، وإسماعيل بن الملقب⁽⁴⁾، ومحمد بن عمر بن مكي الأهرابي⁽⁵⁾.

ويبدو أن المُستَرشد درس العلوم الدينية من فقه، وتفسير، وغيرها، فقد قال عنه القلانسي: إنه كان عارفاً بالفتوى، واختلاف الفقهاء⁽⁶⁾ وقد تركت هذه الدراسات أثراً واضحاً في حياته، إذ عرف عنه أنه لبس الصوف وتنسك في شبابه، وانفرد في بيت للعبادة ببغداد. وبعد مبايعته بالخلافة حطّم خوابي خمرٍ وافرةٍ كانت لأبيه،

(1) هو أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان بن الرزّاز البغدادي، ولد سنة 413هـ/1023م، سمع من مشايخ عصره، وحدث عنهم، وتوفي ببغداد سنة 510هـ/1117م، انظر الذهبي، سير، ج 19، ص 257-258.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج 8، ص 156؛ الذهبي، سير، ج 19، ص 561؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 232، هو أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السيبي، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافة إلى المُستَرشد ولاه المخزن توفي سنة 515هـ/1122م، انظر: ابن كثير، البداية، ج 11، ص 232.

(3) هو أبو القاسم علي بن طراد بن محمد الهاشمي العباسي الزينبي البغدادي، ولد سنة 462هـ/1070م، قال عنه ابن الطقطقا: كان متروياً من المعرفة بقوانين الوزارة وأسباب الرياسة، وزر للمسترشد والمقتفي، توفي سنة 538هـ/1144م، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 330؛ ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ/1310م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ص 303-304. سيشار له تالياً: ابن الطقطقا، الفخري؛ الذهبي، سير، ج 20، ص 149-151.

(4) الذهبي، سير، ج 19، ص 561

(5) ابن العماد، شذرات، ج 4، ص 86

(6) القلانسي، ذيل، ص 252.

وطرد المطربين والمطربات من بلاطه⁽¹⁾، وفي سنة 514هـ/1121م أمر بإقامة الخمر إلى سوق السلطان، ونقض بيوت أصحابها⁽²⁾.

كما يبدو أن المُستَرشد بالله اهتم بدراسة اللغة العربية وعلومها، بدليل ما ذكره المؤرخون من: إنه كان بليغاً⁽³⁾، أديباً⁽⁴⁾، عذب الكلام، حسن الإيراد⁽⁵⁾، وكان يستدرك على كتابه، ويصلح أغلاطهم، ويتولى إنشاء الكتب بنفسه⁽⁶⁾، يؤكد بلاغة المُستَرشد وفصاحته وقوة لغته، ما أثر عنه من توقيعات وخطب امتازت ببلاغتها ومنها قوله:

"حمامة الملك متغنيةً علينا
وأعينُ الأمة طامحةٌ إلينا"
وقوله حينما برز لمحاربة دُبَيْس:

"أشْمُ روائِحِ النصرِ من خفقانِ البنودِ وألمحُ شخصَ الظفرِ من خلالِ السَّعودِ"⁽⁷⁾،
وقد أورد الذهبي خطبةً للمستَرشد وصفها بالبلاغة ألقاها في خطبة عيد الأضحى
سنة 520هـ/1127م منها قوله: "الله أكبر، ما سنحت الأنوار، وأشرق الضياء،
وطلعت ذكاءً، وعلت على الأرض السماء، الله أكبر، ما همع سحاب، ولمع سراب،

(1) ابن العبري، غروغريوس الملطي (ت 685هـ/1287م)، تاريخ الزمان، (د.ط)، دار الشرق، بيروت 1986م، ص 117. سيشار له تالياً: ابن العبري، تاريخ الزمان؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 562؛ الآلوسي، "المُستَرشد"، 495.

(2) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، أحداث ووفيات (501هـ-520هـ)، ص 285، سيشار إليه تالياً: الذهبي، تاريخ

(3) الكازروني، مختصر، ص 220.

(4) الأزدي، علي بن منصور ظافر بن حسين (ت 613هـ/1217م)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط 1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد 1999م، ج 2، ص 440، سيشار إليه تالياً: الأزدي، أخبار.

(5) ابن كثير، البداية، ج 11، ص 259.

(6) الذهبي، سير، ج 19، ص 562؛ السبكي، طبقات، ج 7، ص 258.

(7) الكازروني، مختصر، ص 220.

وأنجح طلاب، وسر قادم بإياب،... اللهم أصلحني في ذريتي، وأعني على ما وليتني، وأودعني شكر نعمتك، ووفقني وانصرني⁽¹⁾.

أما ثقافته الشعرية ونظمه للشعر، فقد ذكر المؤرخون أنه نظم الشعر، وحفظ لغيره من الشعراء، ومن نظمته:

أنا الأشقر الموعودُ بي في الملاحم
مَنْ يملك الدنيا بغير مزاحم
ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضي
بأقصى بلاد الصين بيض صوامي⁽²⁾
وقوله

أقول لشرخ الشباب : إصطبر
فولّى، وردّ قضاء الوطر
فقلت: قنعت بهذا المشيب
وإن زال غيماً فهذا مطر
فقال المشيب: أبقى القطار
على جمرة ذاب منها الحجر⁽³⁾.

و

قضيتم حقوق الود ثم نأيتُم
فقلت: أراني الله يُمن جواركم
ولي ساعد يمرّ ضرّوع سعديكم
وزينهاري بفصّ سواركم
وكل نسيم هبّ من عرصاتكم
يعطر أوقاتي بعرف صواركم
ذكرت بخير في البوادي نواركم
وخيم في سمعي ملام نواركم⁽⁴⁾.
ومن شعره لما كسر، وأشير عليه بالهزيمة، فلم يفعل، وثبت حتى أسر:
قالوا: تقيم وقد أحا
ط بك العدو ولا تفر
فأجبتهم: المرء ما
لم يتعظ بالوعظ غرّ
لا نلتُ خيراً ما حييت
ولا عداني الدهرُ شرّ

(1) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص309.

(2) الأصفهاني، القسم العراقي، ج 1، ص 30؛ السبكي، طبقات، ج 7، ص 258، هذه الأبيات على البحر الطويل.

(3) هذه الأبيات على البحر المتقارب.

(4) الأصفهاني، جريدة، القسم العراقي، ج 1، ص 31؛ السيوطي، تاريخ، ص 340، هذه الأبيات على البحر الطويل.

إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ غِيًّا — رَ اللَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ (1)
وقوله معتزاً بشجاعته:

ودون بغداد وما حولها خليفة أشجع من عنتر (2).
واستكمالاً لما إلى ما سبق فقد كان المُستَرشد بالله حسن الخط، قال عن خطه ابن الأثير: "ولقد رأيت خطه في غاية الجودة، ورأيت أجوبته على الرقاع في أحسن ما يكتب وأفصحه" (3).

5.1 بيعته بولاية العهد

خطب الخليفة المستظهر بالله العباسي (487-512هـ / 1094-1118م) بولاية العهد لابنه الأكبر المُستَرشد بالله في ربيع الأول سنة 488هـ / 1096م، وعمره لم يتجاوز السنتين (4)، وفي سنة 508هـ / 1115م، خطب المستظهر لابنه الثاني أبو الحسن علي بولاية العهد بعد أخيه المُستَرشد، إذ أورد ابن العمراني وتبعه الكازروني أنه: كان يخطب في سنة 508هـ / 1115م للخليفة المستظهر بالله، ثم لولي العهد عمدة الدنيا والدين وعدة الإسلام والمسلمين أبي منصور الفضل بن أمير المؤمنين ثم لسنوه وأخيه وشقيقه، وتاليه ذخيرة الدنيا والدين أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين، ثم بعد ذلك لمحمد بن ملكشاة (498-511 / 1105-1118م)، ثم لابنه محمود (5)، وأقدم المستظهر على هذه الخطوة رغبة منه في قصر الخلافة في أبنائه بالذات وخوفه على أبنائه من منافسة إخوته.

(1) الذهبي، سير، ج 19، ص 562؛ السيوطي، تاريخ، ص 340، هذه الأبيات على البحر الكامل.

(2) الأصفهاني، خريدة، القسم العراقي، ج 1، ص 31، هذه البيت على البحر الخفيف.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 283؛ الألوسي، "المُستَرشد"، ص 496.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 507.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 208؛ الكازروني، مختصر، ص 217.

ومع أن هذا الإجراء كان شائعاً في العصر العباسي الأول، إلا أنها كانت المرة الوحيدة التي يحصل فيها ازدواجية العهد في فترة السيطرة السلجوقية⁽¹⁾؛ لكن المستظهر كان شديد الحرص على تولي ابنه المُستَرشد الخلافة من بعده، يؤيد ذلك ما أورده ابن العمراني حين قال " حين اشتد مرضه (المستظهر) في علته التي توفي فيها، قال: ادعوا لي وليّ عهد المسلمين، فجاءوه بأبي الحسن ففتح عينيه، فرآه فقال: ما هذا، أريد أخاه الأكبر، وكان ميل الجماعة الى أبي الحسن؛ لأنه كان صاحب لهو وهزل، في حين المُستَرشد صاحب جدّ، فخلوه ساعة، ثم اقتضاهم، فقالوا قد ثقل وهو لا يعلم ما يقول ولا يفرق بين الأخوين، فجاءوا بأبي الحسن ثانياً، فقال: لست أريد هذا، أريد أبا منصور الفضل، ابني الأكبر، فلما رأوا الجد منه مضوا وجاءوا به فحين رآه، استدناه، وقبّل عينيه، وقال له: يا عزيزي أنا ماضٍ إلى جوار الله تعالى وسعة رحمته، فارقك بأهلك، واحسنُ السيرة في رعيّتك، وانظر في ما وصل إليك، واعلم أنك مسؤول عن القليل والكثير في آخرتك، والله خليفتي عليك، ومات في تلك الساعة⁽²⁾، ومع أن ابن العمراني قد انفرد بهذه الرواية إلا أن لها ما يؤيدها إذ قال سبط ابن الجوزي أن المُستَرشد كان صاحب حُصوة كبيرة عند أبيه⁽³⁾، إضافة إلى أنه أكبر أبناء الخليفة المستظهر سنّاً، وأنه يمتاز عن أخيه أبا الحسن بالشجاعة والشهامة والحلم⁽⁴⁾، في حين كان أخوه أبو الحسن صاحب لهو وهزل⁽⁵⁾.

(1) القزاز، محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (521-656هـ)، مطبعة القضاء، النجف 1971م، ص 91-92، سيشار إليه تالياً: القزاز، الحياة.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 208-209.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة ق 1، ج 8، ص 74 .

(4) الفارقي، تاريخ، ص 285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص 210؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 283؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 73.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 208؛ الكازروني، مختصر، ص 217 .

6.1 بيعته بالخلافة وحركة أخيه أبي الحسن

توفي الخليفة المستظهر بالله سنة 512هـ/1118م، وبويع ابنه المُستَرشد بالله، وانفقت المصادر أن البيعة تمت في يوم وفاة المستظهر من شهر ربيع الآخر سنة 512هـ/1118م، لكنها اختلفت في تحديد يوم حدوثها من هذا الشهر؛ فذكر الفارقي⁽¹⁾ والقلايسي⁽²⁾، ذلك في يوم الخميس الرابع عشر، أما ابن الأثير⁽³⁾ وأبو الفداء⁽⁴⁾ وابن العبري⁽⁵⁾ والنويري⁽⁶⁾ وابن كثير⁽⁷⁾ فذكروا: أنها في يوم السادس عشر، وذكرها الأصفهاني في يوم الأربعاء الثالث والعشرين⁽⁸⁾، وذكر ابن حمدون أنها في يوم الثاني والعشرين منه⁽⁹⁾، بينما ذكر الأربلي⁽¹⁰⁾ والكازروني⁽¹¹⁾ وابن الجوزي⁽¹²⁾ وسبطه⁽¹³⁾ والسبكي⁽¹⁴⁾، إنها تمت في يوم الخميس الرابع والعشرين، وأهمل الذهبي ذكر يوم حدوثها، واكتفى بالإشارة إلى أنه بويع في شهر ربيع الآخر

(1) الفارقي، تاريخ، ص285.

(2) القلايسي، ذيل، ص200.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص283.

(4) أبو الفداء، المختصر، ج2، ص73.

(5) ابن العبري، غريغوريوس المطي (ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت1958م، ص200، سيشار إليه تاليا: ابن العبري تاريخ مختصر.

(6) النويري، نهاية، ج23، ص291؛ .

(7) ابن كثير، البداية، ج11، ص226.

(8) الأصفهاني، خريدة، القسم العراقي، ج1، ص29،26.

(9) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، مخطوط مكتبة أحمد الثالث، استنبول، ج12، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط ميكروفلم رقم (1087) ورقة رقم87، سيشار إليه تالياً: ابن حمدون، التذكرة .

(10) الأربلي، خلاصة، ص271-272.

(11) الكازروني، المختصر، ص219.

(12) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص162.

(13) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص70-71.

(14) السبكي، طبقات، ج7، ص258.

سنة 512هـ/1118م⁽¹⁾، وانفرد ابن العمراني بالقول أنه بويغ بعد وفاة أبيه بثلاثة أيام، وذلك بعد الفراغ من العزاء على الرسم والعادة، وكانت بيعته صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين من ذات الشهر والسنة آنفة الذكر⁽²⁾. والراجح أن المُستَرشد قد بويغ في يوم وفاة أبيه المستظهر وذلك في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة 512هـ/1118م لما ذكره الفارقي المعاصر له. تولى أخذ البيعة قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني⁽³⁾، وبإيعه ابنا المستظهر وهما أبو عبدالله محمد (المقتفي) وأبو طالب العباس، وعمومته، وأبنائهم والأئمة والأعيان⁽⁴⁾، وكان نص بيعته: "أبايع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وسنة الخلفاء الراشدين ما أطاق واستطاع وعلى الطاعة مني"⁽⁵⁾.

(1) الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م)، دول الإسلام، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد 1337هـ، ج2، ص27، سيشار إليه تالياً: الذهبي، دول.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص210.

(3) هو علي بن محمد بن علي الدامغاني، أبو الحسن قاضي القضاة ولد في رجب سنة 449هـ/1058م وشهد عند أبيه سنة 466هـ/1074م، وفوض إليه القضاء بباب الطاق، وتقلد القضاء ست عشر سنة، وولى القضاء لأربعة خلفاء هم القائم والمقتدي وتولى قاضي القضاة للمستظهر والمستَرشد، وتوفي سنة 513هـ/1120م، ببغداد، انظر سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص81؛ القرشي، عبد القادر بن محمد (775هـ/1374م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خان، كراتشي، ج1، ص373-374، سيشار إليه تالياً، القرشي، الجواهر.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص174؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص70-71؛ الذهبي، سير، ج19، ص567.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209.

تمت بيعة المُسْتَرَشِد، بالإجماع باستثناء أخيه علي أبي الحسن، الذي أجمعت المصادر على أنه لم يبايعه ⁽¹⁾، واستغل انشغال الخليفة بالبيعة، فركب سفينة مع مجموعة من خواصه وانحدروا إلى المدائن، ومنها إلى الحلة عند أميرها دُبَيْس بن صدقة الذي أكرمه، وخصص له داراً تليق به تسمى دار الذهب، وعلم منه وفاة المستظهر ⁽²⁾.

و يعود خروج أبي الحسن إلى الأسباب الآتية :

1- حصوله على تأييد ودعم مجموعة من رجال الدولة، ومحاولاتهم مبايعته بدلاً من أخيه المُسْتَرَشِد لما عرف عنه حسب قول ابن العمراني "من لين الجانب وأنه صاحب لهو وهزل" ⁽³⁾، يؤكد ذلك، ما ذكره ابن الجوزي وابن قاضي شهبة، أن المُسْتَرَشِد قبض على أبي طاهر صاحب المخزن، وعلي ابن كمونه، وابن غيلان القاضي، وجماعة بتهمة مراسلة الأمير أبي الحسن يأمرونه بأن لا يطيع أخيه المُسْتَرَشِد ⁽⁴⁾.

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص 211؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 174؛ الكازروني، المختصر، ص 219، الأربلي، خلاصة، ص 272؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 162؛ النويري، نهاية الأرب، ج 23، ص 291؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520)، ص 273؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 226، ابن خلدون، عبدالرحمن (ت 808هـ/1406م) = العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة مزيّدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1999م، ج 6، ص 1024. سيشار إليه تالياً: ابن خلدون، العبر .

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 208-209؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 174؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 162؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 226؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1024؛ الآلوسي، المُسْتَرَشِد، ص 498.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 208-209.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 163؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 83.

2- حصوله على تأييد الأمير دُبَيْس بن صدقة أمير الحلة، الذي قدم له الإقامة والخيول⁽¹⁾.

3- خشيته على نفسه من أخيه المُسْتَرْشِد في حال توليه الخلافة⁽²⁾.

عندما فرغ المُسْتَرْشِد بالله من أمر البيعة وعلم بأمر أخيه أبي الحسن أهمّه ذلك وأظهر انزعاجه منه، وأرسل نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي إلى دُبَيْس، يطلب منه البيعة، وإعادة الأمير أبي الحسن إلى بغداد، فأظهر دُبَيْس خضوعه وطاعته للأمير المؤمنين وأعطى البيعة، لكنه اعتذر عن تسليم الأمير أبي الحسن بحجة أنه ضيفه، ولا يستطيع إجباره على أمر يكرهه، وأنه يترك له حرية الاختيار بالبقاء عنده أو العودة، فاجتمع الرسول نقيب النقباء مع الأمير أبي الحسن، وتحدثا في أمر عودته إلى بغداد، وضمّن له الرسول الأمان عند الخليفة وكل ما يريد⁽³⁾.

وتباينت المصادر في تحديد موقف الأمير من مما عرضه نقيب النقباء، فمنهم من ذكر أن الأمير قَبِلَ هذا العرض، وأن دُبَيْس تكفّل بإصلاح الحال بين الخليفة وأخيه، وأن ذلك كاد أن يتحقق لولا انشغال الأمير دُبَيْس في نزاعه مع البرسقي صاحب الموصل، مما أدى إلى تأخّر تنفيذ الاتفاق، ثم إنّ الأمير أبا الحسن قرر ترك الحلة، وتوجه إلى واسط والتفّ حوله جماعة من أهلها، مما مكنه من السيطرة عليها⁽⁴⁾، وذكر آخرون أن الأمير رفض العرض، وأعلن نفسه خليفة وأستوزر ابن زهموية⁽⁵⁾، أما ابن العمراني فيورد رواية مختلفة مفادها أن الخليفة المُسْتَرْشِد لم يرسل نقيب النقباء، وأن الأمير أبا الحسن قد غادر بغداد متخفياً، ووصل إلى دُبَيْس في الحلة، الذي خيره في البقاء عنده ليكون في خدمته، أو الرحيل

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 174-175.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص174؛ الألوسي، "المُسْتَرْشِد"، ص498.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص174-175؛ النويري، نهاية، ج23، ص 262؛ الذهبي،

دول، ج2، ص 27؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 1024.

(5) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص275-276.

عن الحلة، وأن يؤمن له دُبَيْس كل ما يلزمه من الرجال والسلاح، إلا أن الأمير اختار الرحيل، وطلب من دُبَيْس العسكر، فأنفذ معه ألفي فارس، وما يلزمه من الثياب والسلاح، فانحدر الأمير إلى واسط وملكها، وكان أول أمره يخطب لنفسه بعد الخليفة، فلما قوى خلع الطاعة، وخطب لنفسه بالخلافة، ولقب نفسه "المستجد بالله" (1).

ونخلص مما سبق إلى أن الأمير أبو الحسن خرج من بغداد متخفياً، يخشى الخليفة، لما كان قد حدث بينه وبين أخيه قبل بيعته المُسْتَرْشِد، ولم يبايعه، وصل إلى أميرها دُبَيْس الذي حاول أن يستغل ذلك في الضغط على الخلافة، فقد أظهر طاعته للخليفة وأعطاه البيعة، مع أنه قد قدم للأمير أبي الحسن كل ما يستطيع من مساعدة وحماه بحجة أنه ضيفة، وأراد الخليفة إعادة أخيه بالطرق السلمية، فأرسل نقيب النقباء، لكن ومهمته قد فشلت؛ بسبب ما حدث من نزاع بين أمير الحلة وصاحب الموصل، ولعل دُبَيْس أراد دعم الأمير أبي الحسن ليضغط به على الخليفة وليضمن وقوفه إلى جانبه في مواجهته مع صاحب الموصل (2)، واستغل الأمير أبو الحسن انشغال دُبَيْس في أمر البرسقي صاحب الموصل، وغادر الحلة متجهاً إلى واسط حيث التف حوله بعض أهلها واستطاع السيطرة عليها، فقوى بهم وخلع الطاعة لأخيه ودعا لنفسه.

أما الخليفة المُسْتَرْشِد، فقد عظم عليه خروج أخيه، وسيطرته على واسط وما حولها من مناطق الخلافة (3)، فأقدم على خلعهِ من ولاية العهد، وخطب لابنه أبي جعفر المنصور (الراشد بالله) (4)، وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة، وأرسل كاتب الإنشاء ابن الأنباري إلى دُبَيْس في أمر الأمير أبي الحسن، يطلب منه القبض عليه ووعدته مقابل ذلك بمبلغ من المال، حدده كل من ابن حمدون

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص 211-212.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 175-177.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 211-212.

(4) ابن قاضي شهبة، الكوكب، ص 84.

وابن الجوزي والذهبي بعشرين ألف دينار⁽¹⁾، وأوصله ابن العمراني إلى ثلاثين ألف دينار⁽²⁾، وفي هذه المرة أجاب دُبَيْس بالسمع والطاعة، وأرسل جيشه بقيادة قائده عنان، لمقاتلة الأمير أبي الحسن، فلما سمع الأمير بذلك رحل عن واسط مهزوماً مع عسكره ليلاً، فضلوا الطريق، ورجعوا دون علمهم إلى واسط فوصلوا إلى عسكر دُبَيْس، فلما لاح لهم عسكره تشتت معظمهم ووقعوا في أسر عسكر دُبَيْس، وانحرف الأمير في البرية وضلّ طريقه في عدد من خواصه، وكان الوقت صيفاً، وفقدوا الماء، وحلّ بهم العطش، فأشرفوا على الهلاك، حتى أدركهم أحد جنود دُبَيْس فسقاهم الماء ونهبهم وأوصلهم إلى قائده، والذي بدوره وأوصلهم إلى دُبَيْس، فبعث دُبَيْس بالأمير إلى الخليفة بعد أن ضمن له الأمان، وصل الأمير أبو الحسن إلى بغداد، وأنزله الخليفة دار العزيزية التي كان يسكنها قبل خلافته، وأكرمه وخلع عليه وطيب نفسه، وانتهت حركته، وكانت مدة خروجه حتى عودته أحد عشر شهراً⁽³⁾. هذا وينفرد ابن العمراني بالقول إن الخليفة قد أرسل خمسمائة فارس بقيادة الأمير نظر لمساعدة دُبَيْس في السيطرة على الأمير أبي الحسن، وقد شاركت هذه المجموعة في قتال وهزيمة الأمير وجنده، ويضيف ابن العمراني أنّ الأمير أبا الحسن قد تاه في البرية فقبض عليه أحد البدو فنهبه وسلمه إلى القائد نظر الذي حمله إلى الخليفة⁽⁴⁾.

كان الخليفة يخشى خروج أخيه مرة أخرى، إذ عاد وضيق عليه ووضعه تحت المراقبة في قبو لا يدخل إليه أحد، وسد عليه بابه باستثناء موضع تصل إليه من خلاله حوائجه، وأحضر إلى الخليفة مرة، فقال له قد وجدت في دارك تشعيث،

(1) ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 171؛ الذهبي، تاريخ، حوادث (501-520هـ)، ص 275.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 212.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 174-175؛ النويري، نهاية، ج 23، ص 262؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 275؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1024.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 212.

ولعله منك، وانك قد عزمت على الهرب مرة أخرى، وحلف له الأمير أنه لم يفعل ذلك ، وأعيد الأمير إلى موضعه وضيق عليه ⁽¹⁾، وحاول السلطان محمود في سنة 514هـ/1121م إخراج الأمير أبي الحسن من موضعه، فبذل له الخليفة ثلاثمائة ألف دينارٍ نظير سكوته عن ذلك ⁽²⁾، وبقي الأمير أبو الحسن على هذا الحال حتى وفاته بالطاعون سنة 525هـ/1131م ⁽³⁾. أما ابن زهموية الذي استوزره الأمير حين خروجه فقد أسر معه وشهر به وقتل ⁽⁴⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص174؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص79.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص188؛ الذهبي تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص285.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ الكازروني، مختصر ، 217؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص251؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1024.

(4) الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص275-276.

الفصل الثاني

حكومة الخليفة المُستَرشد بالله

1.2: الوزارة في عهد المُستَرشد بالله

أقرّ الخليفة المُستَرشد بالله (512-529هـ/1119-1135م) عند بيعته وزيراً أبيه (محمد بن الحسين)⁽¹⁾ بن محمد بن الحسين بن محمد أبي شجاع (ت561هـ/1166م)⁽²⁾ ، والذي كان الخليفة المستظهر بالله إستوزره سنة 511هـ/1117م، تلبية لرغبة أبيه ربيب الدولة (ت513هـ/1120م) وزير السلطان محمود (511-525/1117-1130م)⁽³⁾، ولكن الخليفة المُستَرشد عزله سنة 513هـ/1120م، على أثر وفاة والده وزير السلطان محمود⁽⁴⁾ وإستوزر بعده الوزير جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة (ت522هـ/1129م)⁽⁵⁾ وفي سنة

(1) هو الوزير محمد بن الحسين والمتوفى سنة 561هـ/1161م، وهو ومن بيت وزارة إذ أن جده الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبدالله، المولود بالأهواز، والذي كان عارفاً بالعربية وله تصانيف، وزر للمقتدي، والمتوفى بالمدينة المنورة سنة 488هـ، انظر ابن العمراني، الإنباء، ص201-202؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص22-27؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص505-506.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الديبشي، محمد بن سعيد بن يحيى (ت637هـ)، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، منشورات وزارة الأعلام، بغداد 1974م، جـ1، ص227-228؛ سيشار إليه تالياً، ابن الديبشي، ذيل، الأربلي، خلاصة، ص273؛ الأزدي، أخبار، ص443؛ الكازروني، المختصر، ص223. أنظر الملحق رقم(ب)، ص200.

(3) ابن الديبشي، ذيل، جـ1، ص227-228؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص293.

(4) ابن حمدون، التذكرة، ص169؛ ابن الديبشي، ذيل، جـ1، ص227؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210.

(5) ابن الطقطقا، الفخري، ص304؛ الخالدي، فاضل، "الوزارة في العهدين البويهبي والسلجوقي في العراق"، مجلة أقلام، جـ10، السنة الرابعة 1968م، ص71؛ سيشار إليه تالياً: الخالدي، الوزارة؛ الزهراني، محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية=

516هـ/1123م عُزل ابن صدقة، وقُبض عليه، وعُيِّن مكانه الوزير أبو نصر أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (ت544هـ/1150م)، وذلك بتأثير من أخيه شمس الملك عثمان بن نظام الملك (ت516هـ/1123م)⁽¹⁾ على أن وزارة نظام الملك أحمد لم تدم طويلاً، إذ عُزل في نفس السنة، بعد مقتل أخيه وزير السلطان محمود، وأعيد ابن صدقة إلى الوزارة ليبقى فيها حتى وفاته سنة 522هـ/1129م⁽²⁾، فأُتِى الخليفة النقيب أبا القاسم علي بن طراد الزينبي (ت538هـ/1144م)، ثم استوزره ليكون أول عباسي يتولى الوزارة في العهد العباسي⁽³⁾، وعاد عزله في سنة 527هـ/1133م، وقبض عليه وصودرت أمواله، واستوزر مكانه الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني (ت532هـ/1138م)⁽⁴⁾ والذي صرف عنها سنة 528هـ/1134م وأعيد إليها ابن طراد الزينبي؛ ليبقى فيها حتى مقتل الخليفة المُسترشد سنة 529هـ/1135م⁽⁵⁾.

(334-590هـ العهدين البويهى والسلجوقي)، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت1986م، ص154، سيشار إليه تالياً: الزهراني، نظام.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص516؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي مرآة، ق1، جـ8، ص127؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص66.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ الإربلي، خلاصة، ص273؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص217؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص218؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الأثير، التاريخ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص295؛

الزهراني، محمد مسفر بن حسين، نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية (447-590هـ) ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت1982م، 134، سيشار إليه تالياً: الزهراني نفوذ

تنوعت الأصول العرقية التي اختار منها المُستَرشد بالله وزراءه، فقد كان منهم الفارسي الأصل كالوزراء محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد أبو شجاع⁽¹⁾، وأبو نصر أحمد بن نظام الملك⁽²⁾، وشرف الدين أنوشروان خالد بن محمد القاشاني⁽³⁾، وكان الوزير جلال الدين ابن صدقة⁽⁴⁾، والوزير شرف الدين علي ابن طراد الزينبي من أصول عربية، إضافة إلى أن ابن طراد كان عباسي، وقد أشار المُستَرشد إلى أهمية نسبه عندما اختاره لتولي الوزارة فقال "كل من ردت إليه الوزارة شُرِّفَ بها، إلا أنت فإن الوزارة شرفت بك"، فكان أول عباسي يتولى الوزارة في ظل الخلافة العباسية⁽⁵⁾.

كان وزراء الخليفة المُستَرشد (512-529هـ/1119-1135م) شخصيات مثقفةً مارست العمل في الديوان وغيره من الوظائف الإدارية لمدة طويلة، فإذا كان الوزير أبو شجاع محمد قد استوزره المُستَرشد وهو دون سن العشرين، ولم تذكر المصادر شيئاً عن ثقافته حين توليه الوزارة⁽⁶⁾؛ فإن الوزير جلال الدين بن صدقة كان صاحب ثقافة عالية، عارفاً بالحساب، وأعمال السواد⁽⁷⁾ بليغاً سديد الرأي،

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص 210؛ ابن الديبشي، ذيل تاريخ بغداد، ج 1، ص 227-228؛

الأربلي، خلاصة، ص 273؛ الكازروني، المختصر، ص 223.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 364؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛ الذهبي، سير، ج 20، ص 15؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 306-307؛ ابن كثير، البداية، ج 12، ص 214.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 248؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 250؛ الذهبي، سير، ج 19، ص 552-553؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 248؛ الذهبي، سير، ج 20، ص 149-151؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(6) ابن حمدون، التذكرة، ص 87؛ ابن الديبشي، ذيل؛ الأزدي، أخبار، ص 443؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 248؛ الذهبي، سير، ج 20، ص 149-151؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(7) الذهبي، سير، ج 19، ص 552-553؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

صادق العزم تولى الكثير من الأعمال الإدارية قبل وزارته ⁽¹⁾ إذ تولى النظر في أملاك الوكلاء بواسطه، وديوان الزمام لمرتين كما عُيّن والياً لولاية الحلة ⁽²⁾. أما الوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك فكان صاحب ثقافة واسعة وخبرة طويلة إذ تولى وزارة السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) وشارك أثناء عمله في العديد من الأعمال الإدارية والعسكرية ⁽³⁾. أما الوزير ابن طراد الزينبي فكان مثقفاً عارفاً بأمور السياسة والوزارة، قال عنه ابن الطقطقا: "كان متروياً من المعرفة بقوانين الوزارة وأسباب الرياسة ⁽⁴⁾ ولّي نقابة العباسيين بعد والده وبقي فيها حتى وزارته ⁽⁵⁾ وناب في الوزارة منذ سنة 513هـ/1120م، وحتى وزارته سنة 522هـ/1129م ⁽⁶⁾، وكان الوزير أنوشروان بن خالد كاتباً بليغاً، عارفاً بالشعر فهو الذي صنف له الحريري المقامات، واليه أشار في أولها بقوله" فأشار من إشارته

(1) القلانسي، ذيل، ص224.

(2) الذهبي، سير، ج19، ص552-553؛ العزام، صبحي محمود عسود، الوزارة العباسية(447-656هـ/1055-1258م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان 2000م، ص150، سيشار إليه تالياً: العزام، الوزارة .

(3) البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة 1900، ص88-94، سيشار إليه تالياً البنداري، تاريخ ؛ الحسيني، ناصر بن علي (ت575هـ)، أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، ط1، دار الأفاق، بيروت 1984، ص81-82؛ سيشار إليه تالياً، الحسيني، أخبار؛ الذهبي، سير، ج20، ص236؛ إقبال، عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت 1984م، ص235-236؛ سيشار إليه تالياً إقبال، الوزارة؛ العزام، الوزارة، ص150.

(4) ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص216؛ الذهبي، سير، ج19، ص15؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص305؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص236.

(6) ابن الدبيشي، ذيل، ص228؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص205-206؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص216.

حكم وطاعته غم⁽¹⁾، كان صاحب خبرة كبيرة في العمل الإداري فهو من كتاب الرسائل، ومحرري الديوان الملكشاهي، وتولى الوزارة للسلطان محمود سنة 517هـ/1124م⁽²⁾.

شهدت الوزارة تطوراً ملحوظاً في عهد الخليفة المُستَرشد بالله، شارك وزرائه بفعالية في إدارة الدولة ومقاومة النفوذ السلجوقي فيها، ففي بداية خلافته أقر الوزير أبا شجاع نظام الملك محمد بن نظام الملك بتأثير من السلطنة السلجوقية⁽³⁾، وكان هذا الوزير يميل إلى جانبها لما لها من تأثير في وزارته، إلا أن دوره في إدارة الدولة كان قليلاً مما جعل ابن الدبيشي يقول عنه: "فكان اسم الوزارة على أبي شجاع، ونقيب النقباء أبي القاسم علي بن طراد المدبر للأمور"⁽⁴⁾، حتى أن المُستَرشد لم يخلع عليه ولم يكتب له عهداً⁽⁵⁾، وعزله فور زوال أسباب وزارته وذلك في يوم وفاة أبيه وزير السلطان محمود سنة 513هـ/1120م⁽⁶⁾ وجيء بعده بالوزير جلال الدين ابن صدقة صاحب الكفاءة الذي شارك هذا بفعالية في القضاء على حركة الأمير أبي الحسن أخي المُستَرشد مما رفع مكانته عند الخليفة⁽⁷⁾ كذلك في صد الغارات التي كان يشنها دُبَيْس بن صدقة والي الحلة على بغداد في الفترة

(1) الذهبي، العبر، جـ4، ص90؛ الياضي، عبدالله بن أسعد (ت768هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1997م، جـ3، ص163، سيشار إليه تالياً: الياضي، مرآة؛ ابن كثير، البداية، جـ12، ص214.

(2) البنداري، تاريخ، ص128-130؛ إقبال، الوزارة، ص258-260؛ العزام، الوزارة، ص151؛ إقبال، الوزارة، ص258-260.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الدبيشي، ذيل، جـ1، ص227-228؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ الكازروني، المختصر، ص223.

(4) ابن الدبيشي، ذيل، جـ1، ص228.

(5) الأزدي، أخبار، ص443؛ الزهراني، نظام الوزارة، ص128.

(6) ابن الدبيشي، ذيل، جـ1، ص227؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ الأزدي، أخبار، ص443.

(7) ابن العمراني، الإنباء، ص212؛ العزام، الوزارة، ص153.

(513-516هـ/1120-1123)⁽¹⁾، فاشترط دُبَيْس عزل ابن صدقة عن وزارته ليتم الصلح مع الخليفة⁽²⁾، ولعل هذا كان أحد أسباب عزل الوزير ابن صدقة في السنة المذكورة، بالإضافة إلى ما ذكرناه من رغبة السلطنة السلجوقية في تولية الوزير نظام الملك أبي نصر أحمد بن نظام الملك⁽³⁾، الذي شارك في حرب الخليفة مع والي الحلة سنة 517هـ/1124م وهزم فيها دُبَيْس⁽⁴⁾، كما ساهم هذا الوزير بخمسة عشر ألف دينار من ماله الخاص في بناء سور بغداد الذي أمر الخليفة ببنائه سنة 517هـ/1124م لحمايتها من الأخطار التي كانت تتهددها⁽⁵⁾، لكن وزارته لم تدم طويلاً، إذ عزل بعد مدة قصيرة عند وفاة أخيه وزير السلطان محمود، وأعيد ابن صدقة إلى الوزارة للمرة الثانية وذلك في سنة 517هـ/1124م⁽⁶⁾، وخلع عليه الخليفة في هذه المرة وأرسل في طلبه وخاطبه بخطاب يدل على مكانته الكبيرة عند

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص205؛ الزهراني،

نظام، ص 154-155؛ الخالدي، الوزارة، ص 71، صبحي، الوزارة، ص153.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 214؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص204-205؛ ابن

العديم، عمر بن احمد ابن أبي جرادة(ت660هـ/1262م)، بغية الطلب في تاريخ حلب،

تحقيق: سهيل زكار، دمشق1988م، ج7، ص3480، سيشار إليه تالياً: ابن العديم، بغية؛

ابن كثير، البداية، ج11، ص236.

(3) ابن الطقطقا، الفخري، ص304؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص516؛ إقبال، الوزارة،

ص241-242. بيات، فاضل مهدي، "السياسة السلجوقية في العراق"، مجلة المؤرخ

العربي، العدد الثامن عشر، سنة 1981م، ص 105، سيشار إليه تالياً: بيات، "السياسة".

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 219؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص217؛ ابن كثير،

البداية، ج11، ص236؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص615.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 225؛ النويري، نهاية، ج23، ص267.

(6) ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الجوزي،

المنتظم، ج17، ص250-251؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص248؛ سبط ابن الجوزي

مرآة، ق1، ج8، ص127؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص246؛ ابن العماد الحنبلي،

شذرات، ج4، ص66.

ال خليفة إذ قال له: "أجب يا جلال الدين داعي التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود في هذه الساعة إلى مستقر عزك مكرماً"⁽¹⁾.

وفي وزارته الثانية شارك ابن صدقة في مقاومة النفوذ السلجوقي ففي سنة 519هـ/1126، شنَّ الأمير طغرل ودُبَيْس هجوماً مشتركاً على بغداد شارك الوزير ابن صدقة في صدّه، إذ كان يتولى قيادة العسكر واستطاع جيش الخلافة هزيمة دُبَيْس، وكان رأي الوزير عدم العفو عنه وقتله، إلاَّ أنَّ الخليفة فضل العفو عنه⁽²⁾، وحين عزم السلطان سنجر (511-552/1118-1158م) على مهاجمة بغداد وتوعد الخليفة، كتب إليه الوزير ابن صدقة مهدياً إياه قائلاً: "والله لئن تحركت لأقطعنَّ جميع ما وراءك عنك، وأقطعك عنه، ولئن سرت فرسخاً لأسيرنَّ إليك فرسخين"⁽³⁾، مما حدا بالسلطان سنجر إلى تحذير ابن أخيه السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) من الوزير ابن صدقة، ونصحه بالقبض عليه ولعل ذلك يؤكد ما لهذا الوزير من دور كبير في حروب الخليفة المُستترشد مع السلاجقة في وزارته الثانية (516-522هـ/1123-1129م)⁽⁴⁾، ولم تكن أعمال الوزير مقتصرة على الجانب العسكري ضد السلاجقة، فقد كان يوائم بين الجانبين العسكري والسياسي، إذ نجح في التوسط بين السلطان محمود والخليفة بعد سيطرة السلطان على بغداد سنة 520هـ/1127م⁽⁵⁾ فلم يقبض عليه السلطان محمود، بل بقي في وزارته.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص220؛ الزهراني، نظام الوزارة، ص154-155.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241.

(3) ابن الطقطقا، الفخري، ص305؛ الخالدي، الوزارة، ص71.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص127؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص66؛ العزام، الوزارة، ص153.

(5) الحسيني، أخبار، 97؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص242-243؛ الحسيني، علي بن ناصر (ت622هـ)، زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد=

كان الخليفة المُسْتَرْشِدُ حريصاً على وزيره جلال الدين ابن صدقة إذ أنعم عليه بأعظم الألقاب، وخلع عليه مرات عديدة، ولقبه عندما استوزره أول مرة بصدر الوزراء، صفى أمير المؤمنين، صدر الشرق والغرب⁽¹⁾، ومع أنه عزله سنة 516هـ/1123م؛ ولم تطل مدة عزله، وأعيد إلى الوزارة بعد مدة وجيزة في أجمل هيئة، فقد بعث إليه الخليفة كبار موظفيه وخاطبه بصيغة تدل على مكانته الكبيرة عنده فقال له: "أجب يا جلال الدين داعي التوفيق مع من حضر من الأصحاب لتعود في هذه الساعة إلى مستقر عزك مكرماً"⁽²⁾، وفي وزارته الثانية أطلق عليه المُسْتَرْشِدُ لقب جلال الدين⁽³⁾ وعندما مرض في أواخر أيامه زاره في بيته وانشده: "دفعنا بك الآفات حتى إذا أتت تريدك لم نستطع لها عنك مدفعاً"⁽⁴⁾

ولما توفي ابن صدقة سنة 522هـ/1128م، حزن عليه الخليفة، وأكثر الأسف عليه، والتوجع لفقده⁽⁵⁾، وكتب تعزية إلى أولاده يقول فيها: "قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"⁽⁶⁾، ولئن كان أبوكم في ذمة الله، السابقة خدمته، الصحيح دينه، الصريح يقينه، صعب على الأولاد؛ فالحمام لكل حي بالمرصاد، والأعمال في الدنيا عواد ترتجع، والآجال تنتهي إلى أحد ثم تنقطع، وفي

نور، ط1، دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت 1985م، ص 193، سيشار إليه تالياً، الحسيني، زبدة.

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص304؛ أمين، حسين، "نظام الحكم في العصر السلجوقي"، مجلة سومر العراقية، العدد الأول، بغداد 1964م، ص215، سيشار إليه تالياً: أمين، نظام.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص220.

(3) المصدر نفسه، ج17، ص220؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 104، أمين، نظام الحكم، ص 215.

(4) ابن الطقطقا، الفخري، ص 104، العزام، الوزارة، ص 157.

(5) القلانسي، ذيل، 224.

(6) سورة آل عمران، الآية رقم (185).

بقاء أمير المؤمنين السلوة عن كل ذاهبٍ مفقود، فانهضوا من المعزى فظل الدعاء عليكم محدود والسلام⁽¹⁾.

وبعد وفاة الوزير ابن صدقة ناب في الوزارة ابن طراد الزينبي، ثم أستوزره المُستَرشد، ويعتبر الزينبي الوزير الثاني بعد ابن صدقة من حيث المدة التي تولى فيها الوزارة، إذ تولى الوزارة مرتين كانت الأولى في الفترة (522-526هـ/1128-1132م)⁽²⁾، والثانية (527-529هـ/1133-1135م)⁽³⁾

وصفَ هذا الوزير بالعلم، "متروياً بمعرفة قوانين الوزارة وأسباب الرياسة"⁽⁴⁾، وقال عنه الذهبي: "أنه يصلح لإمرة المؤمنين"⁽⁵⁾، وأنه كان قبل توليه الوزارة من المقربين للخليفة، وتولى نقابة العباسين وبقي يشغلها حتى وزارته سنة 522هـ/1128م⁽⁶⁾، وناب في الوزارة لفترة طويلة في خلافة المُستَرشد بالله⁽⁷⁾، وعُرف عنه ولاؤه للخليفة المُستَرشد إذ كان أول من بادر إلى بيعته⁽⁸⁾، وعُهد إليه المُستَرشد العديد من المهام قبل توليته الوزارة، فأرسله إلى الأمير دُبَيس بن صدقة في أمر الأمير أبي الحسن علي بن المستظهر سنة 513هـ/1120م، فأخذ البيعة من

(1) الأزدي، أخبار، ج2، ص 440-441.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 216؛ الأربلي، خلاصة، ص 273؛ الكازروني، المختصر، ص 223؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 248؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 305.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 218؛ الكازروني، المختصر، ص 223؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص 295؛ ابن الأثير، التاريخ، ص 49-50؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 282؛ الزهراني، نفوذ، ص 134.

(4) الذهبي، سير، ج20، ص 150؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 305.

(5) الذهبي، سير، ج20، ص 150.

(6) ابن الديلمي، ذيل، ص 228؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص 205-206؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 216.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 216؛ الذهبي، سير، ج19، ص 150؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 305؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص 236.

(8) الذهبي، سير، ج19، ص 150؛ السبكي، طبقات، ج7، ص 256..

دُبَيْس، لكن مهمته مع الأمير أبي الحسن لم تتجح في تحقيق أهدافها⁽¹⁾، ولم يؤثر ذلك على مكانته عند الخليفة، وظل يتولى الأعمال التي كان يشغلها، وأرسله الخليفة سنة 520هـ/1127م إلى السلطان سنجر (511-552هـ/1118-1158م)، ومعه الخلع، طالباً منه إبعاد دُبَيْس والي الحلة والمقيم حينئذ عنده، فأكرمه سنجر وأعطاه الأعلام، وأذن له في أن يضرب الطبل على بابه ثلاث صلوات وأعطاه طوقاً وفرسين وغيرها⁽²⁾، وفضله المُستَرشد على كبار رجال دولته الذين كانوا ينافسونه في السعي للوزارة، كعز الدولة ابن عبدالمطلب، وسديد الدين ابن الأنباري كاتب الإنشاء، وناصح الدولة ابن المسلمة، والوزير السابق نظام الملك أحمد، فاختره من بين هؤلاء وغيرهم وولاه الوزارة سنة 522هـ/1128م⁽³⁾، ولقبه معز الإسلام عضد الإمام سيد الوزراء صدر المشرق والمغرب⁽⁴⁾.

أدار ابن طراد الزينبي وزارته بكفاءة عالية؛ فبدأ عمله بالمسير إلى السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) حاملاً معه الخلع التي كانت قد أعدت له عند توليه الوزارة⁽⁵⁾، وناب عن الخليفة في استقبال السلطان محمود حين حضر إلى بغداد سنة 523هـ/1130م⁽⁶⁾. كما كان حسن السيرة في سياسته تجاه العامة⁽⁷⁾، وبقي في وزارته حتى عزله المُستَرشد سنة 526/1132م⁽⁸⁾، لأمر تتعلق بإدارته

(1) ابن الأثير الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية، جـ23، ص262؛ الذهبي، دول، جـ2، ص27؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1024.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص244؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص244؛ العزّام، الوزارة، ص158.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص252، 250؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص305.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص216.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص254؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛

(7) العزّام، الوزارة، ص158.

(8) ابن العمراني، الإنباء، ص217؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307.

لدار الضرب، وما حدث فيها من مخالفات، إذ تنامي إلى الخليفة أخبار مفادها، أن عمالها يشكون أنهم يخسرون، وحين عرض الأمر على صاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، فسمع الخليفة بالخبر، فأمر بإجراء تحقيق في الأمر، وأظهرت التحقيقات أن العمال يربحون، وأن صاحب المخزن يعاونهم في ذلك، مقابل حصوله على سبعين ديناراً شهرياً، فأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبي مسؤولاً عن دار الضرب، فأثر ذلك على إيرادات صاحب المخزن⁽¹⁾، واستطاع بعدها عمال الضرب التأثير على الوزير ابن طراد والذي حقق أرباحاً كبيرةً بدليل أنه عزل وقبض عليه، كما قبض معه على كاتب الزمام ابن الوزان، فكانت ثروة الوزير كبيرة، "عثر عنده على سبعين قطعة فضة سوى المراكب، ونيفاً وثلاثين قطعة فضة ومعضدة وقيمتها مائة ألف دينار، واستمر نقل ما عنده من أثاث ثلاثة أيام"⁽²⁾، وسجن لفترة قصيرة، ثم أخرج من السجن، وأخذ كتاباً بثلاثين ألف دينار⁽³⁾ وقد ذلك يكون بسبب ظهور أمور جديدة في التحقيقات لم تذكرها المصادر، أو لمكانته في الدولة وحاجة المُستَرشد له في ظل صراعه مع السلاجقة.

لم يقم المُستَرشد بعد عزله وزيره ابن طراد بوضع أحد مكانه وإنما اكتفى بإناب ابن الأنباري كاتب الإنشاء في الوزارة، ثم عاد وعزله وقبض عليه وصادر أمواله بعد أربعة أشهر⁽⁴⁾، وبحث عن غيره لتولي الوزارة، فوقع اختياره هذه المرة على الوزير أنوشروان بن خالد القاشاني⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 269.

(2) ابن حمدون التذكرة، ص 173؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 272؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 140..

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 272.

(4) الذهبي، سير، جـ 20، ص 150؛ صبحي، الوزارة، ص 159.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 271، ابن الطقطقا، الفخري، ص 306-307؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 252؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 271.

كان الوزير القاشاني صاحب خبرة كبيرة إذ وُزر لسلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) ⁽¹⁾، وكان زاهداً ممتنعاً عن تولي الأعمال الإدارية في الدولة العباسية والسلطنة السلجوقية، فقد رفض وزارة السلطان محمود لكنه أُجبر عليها ⁽²⁾، وعندما عرض عليه الخليفة المُسترشد الوزارة أعرض عنها لكن الخليفة أصر على ذلك، وبعث إليه صاحب المخزن ابن طلحة الذي خاطبه قائلاً له: "إن أمير المؤمنين قد عول عليك في الوزارة فينبغي أن تسارع إلى ذلك، فأخذ يعتذر، ويقول قد عرف حالي، وإني لما وزرت للسلطان محمود طلبت الإقالة، وقد رضيت من الدنيا بمكاني هذا فقبل الأرض عني وسل لي الإعفاء" فلم يعف فأجاب فعرضت عليه دار ابن صدقة، فامتنع، وقال "كان له علي حق وذلك أنه كان يصله كل سنة بمال كثير فاقتصر على دار ابن ودعة فُعمرت له ⁽³⁾.

كان هذا الوزير يحاول أن يوفق بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، ويصلح أحوال الدولة العباسية ويعيد إليها الهدوء، فكان أول من هنأ السلطان مسعود (527-547/1132-1152م) بالسلطنة سنة 527هـ/1132م، وهياً العامة لاستقباله على جانبي الطريق التي سيسلكها موكبه إلى القصر العباسي، حيث نشر عليهم السلطان الدنانير ⁽⁴⁾، كما استطاع في سنة 528هـ/1133م تحقيق الصلح بين الخليفة وصاحب الموصل عماد الدين زنكي، وتعهد الوزير بتأمين ألف فارس لحماية مداخل بغداد من أي خطر قد يشكله زنكي ⁽⁵⁾، وكان محمود السيرة عند أهل بغداد فقد مدحه الشاعر حيص بيص فقال:

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 271؛ البنداري، تاريخ، ص 99-101؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 306-307.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 271؛ البنداري، تاريخ، ص 99-101؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 306-307.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 271.

(4) الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ/1201م) زبدة النصر ونبذة العصرة، اختصار الفتح بن محمد البنداري الأصفهاني، مخطوط، ص 200، سيشار إليه تالياً: الأصفهاني، زبدة؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 275.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 218.

فقلتُ لأندى منه لو تعلمونه
سحائبُ تمرّ بها العُفَاةُ فيغتدي
صدوقُ الحيا للشائمين التماعه
فتى الحيّ أما داره فلاجي
أناملُ نوشروان وان تهمني لقانع
على القوم منها هامعُ إثر هامع
إذا كذبتُ غرُّ البروق اللوامع
شريدٍ وأما زاده فللجائع⁽¹⁾.
ولم تدم وزارة القاشاني طويلاً إذ عزل في سنة 528هـ/1133م⁽²⁾ وقد
يكون عزله بناءً على طلبه فهو لم يكن راغباً فيها عندما عرضت عليه.
وأعيد الوزير ابن طراد الزينبي الى الوزارة، وخلع عليه وكرم في الديوان
"كان الزينبي من المقربين إلى الخليفة، وممن يؤخذ رأيهم عند الشدائد، فحين
عزم الخليفة على المسير لحرب السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م، شاور
رجال دولته منهم الوزير الزينبي، والذي كان رأيه عدم الخروج إلى السلطان
مسعود وإنما التحصن ببغداد، وقد أيد هذا الرأي صاحب المخزن، وكاتب
الإنشاء⁽⁴⁾، لكن الخليفة رفض هذا الرأي وأصرّ على المسير إلى السلطان مسعود
ومحاربته، ورد على الوزير : كف يا علي
والله لأضربن بسيفي حتى يكل ساعدي ولألقين الشمس بوجهي حتى يشحب
قال:

"إذا لم يكن من الموت بدّ
فمن العجز أن تكون جباناً"
ووبّخ الوزير، وقال له "أنت عاجز عدّ إلى بيتك"⁽⁵⁾.
ولم يؤثر ذلك على ولاء الوزير للخليفة؛ فعندما خرج الخليفة لقتال السلطان
مسعود سار معه وأسر معه، وأرسل الوزير وصاحب المخزن وكاتب الإنشاء إلى

(1) حيص بيبص، ديوان، جـ1، 75-78.

(2) الأصفهاني، زبدة، ص200؛ القلانسي، ذيل، ص 242؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،

ص282؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص276؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 218؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص282؛ ابن كثير،
البداية، جـ11، ص256.

(4) الذهبي، سير، جـ19، ص161.

(5) المصدر نفسه، جـ19، ص564؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص 258-259.

قلعة بالقرب من همدان⁽¹⁾، أما الخليفة فقد بقي يرافق السلطان، حتى قتل على يد الباطنية⁽²⁾.

2.2: نائب الوزير

اتسعت أعمال الوزير في الدولة العباسية وكثرت أسفاره، فأوجد الخلفاء وظيفة نائب الوزير ليساعد الوزير، ويتولى أداء أعماله في حال مغادرته العاصمة بغداد، وظهر دور نائب الوزير بشكل واضح في العهد السلجوقي، وألف الناس وجوده حيث أصبح مظهراً من مظاهر تطور الوزارة في ذلك العهد⁽³⁾، وزادت أهميته في خلافة المُسترشد بالله (512-529هـ/1119-1135م)، حتى فاقت أهمية الوزير في بعض الأحيان، وبخاصة في الفترة التي تولى فيها الوزراء الذين جاءوا بتأثير من السلطنة السلجوقية، وكأنَّ المُسترشد أراد بذلك إرضاء السلطنة، مع نقل صلاحيات الوزير إلى نائبه الذي كان يعيّنه.

كان قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني ينوب في الوزارة في خلافة المستظهر بالله العباسي (487-512هـ/1095-1118م)⁽⁴⁾، وعند وفاة الخليفة المستظهر سنة 512هـ/1118م، ومبايعة ابنه الخليفة المُسترشد، بقي الدامغاني ينوب بالوزارة فكان المتولي لأخذ البيعة⁽⁵⁾، وبعد فترة وجيزة من خلافة المُسترشد عُزل الدامغاني من وظيفته هذه، واستتب ابن طراد الزينبي في الوزارة، وذلك في ظل وزارة أبي شجاع محمد بن

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص295.

(2) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ ابن العمراني، الإنباء، ص220؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص298-299؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص283؛ الأزدي، أخبار، ج2، ص242؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص258.

(3) شندب، محمد حسين، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (467-512هـ)، ط1، دار النفائس، بيروت 1984م، ص94-95، سيشار إليه تالياً: شندب، الحضارة.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص82؛ شندب، الحضارة، ص95.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص82.

منصور (512-513هـ/1118-1119م)⁽¹⁾، وكان الزينبي هو من يُسَرُّ أمور الوزارة ولم يكن لأبي شجاع منها سوى الاسم⁽²⁾، وعهد إليه المُستَرشد عدد من المهام، فأرسله إلى الأمير دُبَيْس بن صدقة في أمر الأمير أبي الحسن علي بن المستظهر سنة 513هـ/1119م فأخذ البيعة من دُبَيْس ولم يحصل على شيء من الأمير أبي الحسن⁽³⁾، وقد تراجع دور الزينبي في ظل وزارة جلال الدين بن صدقة الأولى (513-516هـ/1120-1123م) فكان ابن صدقة على ما يظهر هو من يُسَرُّ الأمور، ثم عاد الخليفة واستتاب ابن طراد الزينبي في الوزارة بعد عزله الوزير ابن صدقة سنة 516هـ/1123م ولم يستوزر أحداً، بل خلع على ابن طراد، وخاطبه بما يدل على أهمية الدور الذي سيقوم به ومكانته عند الخليفة إذ قال له: "محلك يا نقيب النقباء من شريف الإباء، وموضعك الحالي بالاختصاص والاختيار ما يقتضيه إخلاصك المحمود اختياره، الزاكية آثاره، توجب التعويل عليك في تنفيذ المهام، والرجوع إلى استصوابك في النيابة التي يحسن بها القيام، وجماعة الأولياء والأتباع مأمورون بمتابعتك وامتنال ما تصرفه من الخدم في إبدائك وإعادتك، فاحفظ الدين، وتقدم إلى من جرت عادته بملازمة الخدمة وسائر الأعوان، وتوفر على مراعاة الأحوال بانسراح صدر وفراغ بال، فإن الإنعام لك شامل، وبنيل آمالك كافل إن شاء الله"⁽⁴⁾، ويظهر من النص السابق أن مهام نائب الوزير تتمثل في :

- 1- حفظ الدين وتطبيق الشرع الإسلامي
- 2- توفير الخدمات المختلفة للسكان
- 3- الاستماع إلى شكاوى الناس، والعمل على حلها .

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص216؛ الذهبي، سير، ج19، ص150؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص

305؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص236.

(2) ابن الديبشي، ذيل، ج1، ص228.

(3) ابن الأثير الكامل، ج9، ص174-175؛ النويري، نهاية، ج23، ص262؛ الذهبي،

دول، ج2، ص27؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص1024.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص205-206.

4- أن جميع موظفي الدولة بما فيهم صاحب المخزن وكاتب الإنشاء وكاتب الزمام وصاحب الشرطة والقضاة وغيرهم يتبعون إلى نائب الوزير، ويشرف عليهم.

اتسع دور النائب ابن طراد الزينبي في ظل وزارة نظام الملك أحمد بن نظام الملك (516-517هـ/1123-1124م)، وبعد عزله ناب ابن طراد في الوزارة⁽¹⁾، وفي وزارة جلال الدين ابن صدقة الثانية (517-522هـ/1124-1129م)، استمر النائب ابن طراد الزينبي في تأدية بعض المهام السياسية، فقد أرسله الخليفة سنة 520هـ/1127م إلى السلطان سنجر (511-552هـ/1118-1158م)، ومعه الخلع، طالباً منه إبعاد دُبَيْس والي الحلة والمقيم حينئذ عنده، فأكرمه سنجر⁽²⁾.

وبعد وفاة الوزير جلال الدين ابن صدقة سنة 522هـ/1129م، لم يستوزر الخليفة المُسْتَرْشِدُ أحداً بل اكتفى بأن أناب ابن طراد الزينبي في الوزارة⁽³⁾، وفي سنة 523هـ/1130م خلع المُسْتَرْشِدُ عليه واستوزره⁽⁴⁾، ولم يُنَبَّ أحداً أثناء وزارة ابن طراد الأولى (523-526هـ/1130-1132م) يؤيد ذلك أنه لم يستوزر أحداً بعد عزل ابن طراد الزينبي، وإنما اكتفى بأن أناب ابن الأنباري كاتب الإنشاء في

(1) النويري، نهاية، ج 23، ص 264؛ الذهبي، تاريخ، (حوادث ووفيات 501-520هـ) ص 299.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 244؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 244؛ العزّام، الوزارة، ص 158.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 249.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 216؛ الأربلي، خلاصة الذهب، ص 273؛ الكازروني، المختصر، ص 223؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 252، 250؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 248؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 305.

الوزارة، ثم عاد وعزله وقبض عليه وصادر أمواله بعد أربعة أشهر من توليته (1) واستوزر أنوشروان بن خالد القاشاني (2).

وظل منصب نائب الوزير شاغراً في وزارة أنوشروان (526-528هـ/1132-1134م) وفي وزارة ابن طراد الزينبي الثانية (528-529هـ/1134-1135م) فلم يعثر على ذكر لوجوده في ما تيسر من مصادر معاصرة أو تالية .

3.2 الوظائف الإدارية

1.3.2 كاتب الإنشاء:

يتولى كاتب الإنشاء إدارة ديوان الإنشاء الذي يعد استمراراً لديوان الرسائل في الدولة العباسية، وهو من الدواوين الهامة فيها، ويختص بالمكاتبات والرسائل ويقوم بتحرير رسائل الخليفة وأوامره ومكاتباته (3)، ويتولاه موظف يعرف بكاتب الرسائل أو كاتب الإنشاء، وكان له مكانة كبيرة في الدولة، ويفترض فيه أن يتمتع بقدرات لغوية وأدبية، وإدارية (4).

وقبيل خلافة المسترشد كان ابن الأنباري يتولى وظيفة كاتب الإنشاء منذ سنة 507هـ/1114م، وقد أقره المسترشد على عمله، واستمر يشغله حتى وفاته سنة 558هـ/1163م، وناب في الوزارة للمسترشد وللمقتفي، وقد دعى للوزارة في

(1) الذهبي، سير، ج20، ص 150؛ صبحي، الوزارة، ص159.

(2) ابن العمراني، الإنشاء، ص 217؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص271، ابن الطقطقا، الفخري، ص306-307؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص252؛ النويري، نهاية، ج23، ص271.

(3) الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، طبعة جديدة، بيت الحكمة، جامعة بغداد، بغداد 1988، ص147، سيشار إليه تالياً الدوري، النظم؛ الكساسبة، حسين فلاح، المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)، منشورات جامعة مؤتة، المطبعة الوطنية عمان 1993م، ص 141، سيشار إليه تالياً، الكساسبة، المؤسسات؛ عقلة، عصام مصطفى، الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان 1997م، ص124، سيشار إليه تالياً: عقلة.

(4) الكساسبة، المؤسسات، ص162؛ عقلة، الخلافة، ص124.

خلافة المُسْتَرشِد والمقتفي ولم يتولها⁽¹⁾، كان ابن الأنباري يتمتع بصفات أهله لتولي هذه الوظيفة الهامة في الدولة العباسية، إذ عرف عنه أنه كان فاضلاً، أديباً⁽²⁾، كاتباً بليغاً، وكان ذا رأي وحزم وعقل، وله رسائل بديعة المعاني متينة المباني عذبة المجاني⁽³⁾ وهو من الشعراء المشهورين. ومن شعره

يا مَنْ هَجَرْتَ وَلَا تَبَالِي هلْ تَرْجِعُ دَوْلَةَ الْوَصَالِ
هل، أَطْلُعُ يَا عَذَابَ قَلْبِي أَنْ يَنْعَمَ فِي هَوَاكِ بِالْيِ⁽⁴⁾

وقد مدحه الشعراء، منهم الارجاني بقصيدة منها:

إِلَى خِيَالٍ خِيَالٍ فِي الظَّلَامِ سَرَى نظيره في خفاء الشخص إذ نظرا
معقرب الصدغ تحكي نورَ غُرَّتُهُ بدُرُ بدا بظلام الليل معتكرا
مسافرُ القلب من صدري إِلَيْهِ هوى ما عاد قطُّ وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبِرا⁽⁵⁾

ومدحه الشاعر حيص بيص بقصيدة منها:

عَلَّقْتُ وَالصَّبَا غُضَّ الْأَدِيمُ مُهْمِلُ الْوَفْرِ مِنْ آلِ تَمِيمٍ
يَحْسُ التَّاجُ عَلَى مَفْرَقِهِ ناشراً في يومِ بؤسٍ ونعيمٍ
يُنْهَلُ الصَّعْدَةُ مِنْ أَقْرَانِهِ ويلبي طارقَ الليلِ البهيمِ⁽⁶⁾.

اعتمد الخليفة المُسْتَرشِد على ابن الأنباري في مهام سياسية، فأرسله في سنة 513 هـ/1120م إلى دُبَيْس في أمر الأمير أبي الحسن، يطلب إليه القبض على

(1) الفارقي، تاريخ، ص242؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص157؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص464؛ الذهبي، سير، جـ20، ص350-351؛ أمين، تاريخ، ص200.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص157؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص464؛ الذهبي، سير، جـ20، ص350-351.

(3) الحنبلي، شذرات، جـ4، ص183-184.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص464.

(5) الحنبلي، شذرات، جـ4، ص183-184.

(6) حيص بيص، ديوان، جـ1، ص88-89.

أخيه أبي الحسن ⁽¹⁾ واستطاع ابن الأنباري إقناع دُبَيْسٍ بمحاربة الأمير أبي الحسن والقبض عليه وتسليمه إلى الخليفة ⁽²⁾.

كان ابن الأنباري يتمتع بقدرة كبيرة على الإقناع والحجة، فأوكل له المُسْتَرْشِدُ مهمة إقناع السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) بعدم السير إلى بغداد في سنة 520هـ/1127م، لكن السلطان رفض ذلك ⁽³⁾ وفي سنة 525هـ/1131م أرسله إلى والي دمشق تاج الملوك بوري بن طغتكين (498-522هـ/1105-1129م) لإقناعه بضرورة تسليم دُبَيْس بن صدقة للخليفة، لكن هذا الوالي كان قد سلمه إلى والي الموصل عماد الدين زنكي، فسمع ابن الأنباري بذلك وهو في الطريق إلى دمشق، فسار إلى دمشق ودمَّ أتابك عماد الدين عند واليها، فلما سمع عماد الدين بذلك، قبض عليه وهو في طريق عودته إلى بغداد، وأخذه وسجنه وبقي في سجنه حتى شفع فيه الخليفة المُسْتَرْشِدُ سنة 528هـ/1134م فأطلقه في هذه السنة ⁽⁴⁾، وفي السنة نفسها أرسله الخليفة المُسْتَرْشِدُ إلى السلطان سنجر (511-552هـ/1118-1158م) ومعه الخلع للسلطان سنجر فرحل بها وخلع على السلطان، فأكرمه وعاد إلى بغداد سنة 529هـ/1135م ⁽⁵⁾.

كما كان ابن الأنباري من كبار موظفي الدولة؛ ففي سنة 515هـ/1122م، حضر معهم خلع الخليفة على السلطان محمود (511-

⁽¹⁾ ابن العمراني، الإنباء، ص212؛ ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص171؛ الذهبي، تاريخ، حوادث (501-520هـ)، ص 275.

⁽²⁾ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية، جـ23، ص 262؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص275؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1024.

⁽³⁾ ابن العمراني، الإنباء، ص216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص157؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 237-238.

⁽⁴⁾ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 263؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 258-259؛ ابن العديم، بغية، جـ2، ص 445.

⁽⁵⁾ ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص283، 292-293.

525هـ/1118-1131م⁽¹⁾، كما شارك الخليفة في حروبه؛ ففي سنة 517هـ/1124م، وخرج مع الخليفة في حربه التي هزم فيها دُبَيْس بن صدقة⁽²⁾ وشارك مع الخليفة في حربه ضد السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م وأُسِر معه⁽³⁾.

2.3.2 صاحب المخزن:

كان صاحب هذه الوظيفة يدير ديوان بيت مال الخليفة، ويختص باستلام واردات ضياع الخليفة وأملاكه وما يأمر بإيداعه فيه من واردات⁽⁴⁾، وعرف في ما بعد بصاحب المخزن، لانحصار أعمال صاحبه في الإشراف على مجموعة قليلة من الأموال، وتخزين الخلع التي تمنح للسلطين وغيرهم⁽⁵⁾، وينبغي أن يكون بارعاً في الحسابات، عارفاً بأحكام الديوان، وأن يكون عارفاً بأصول الأموال وأقسامها⁽⁶⁾.

كان يوسف بن أحمد الخزري (ت 512هـ/1119م) يتولى المخزن في أواخر خلافة المستظهر، ولم تكن علاقته حسنة مع المُستَرشد حين كان ولياً للعهد إذ كان لا يوفيه حقه من التعظيم وينقص من مخصصاته المالية، مما أغضبه، لكنه لم يعزله فور توليه الخلافة، وإنما أقره على وظيفته⁽⁷⁾، لعدم إثارة المشاكل ولأهمية الوظيفة التي يتولاها، ثم عاد بعد عدة شهور من خلافته وعزله و قبض عليه وبل واتهمه

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 97.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 205-210؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 219-221؛ ابن الأثير، التاريخ، ص 26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 109-110؛

الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 297-299.

(3) الأصفهاني، زبدة، ص 204؛ 2؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 293-294؛ ابن الأثير، التاريخ، ص 49-50؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 282؛ الكازروني،

المختصر، ص 221.

(4) الكساسة، المؤسسات، ص 71-72.

(5) عقلة، الخلافة، ص 126.

(6) الكساسة، المؤسسات، ص 69-71.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 168-169.

بالخروج على الدين الإسلامي؛ إذ وجد في منزله آنية المذبح، ولما سئل عن ذلك إدعى أن هذه الأواني كانت لزوجته النصرانية⁽¹⁾، كما أتهم بمراسلة الأمير علي بن المستظهر وتأبيده في خروجه على أخيه الخليفة⁽²⁾، فصودرت أمواله وكانت أربعمئة ألف دينار ثمّ أعدم⁽³⁾.

وعيّن مكانه أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله أبا البركات السيبي، والذي كان معلم المُستَرشد في صباه، فأنسبه المُستَرشد وولاه المخزن، وبقي يتولاه حتى وفاته في شهر محرم من سنة 514هـ/1121م⁽⁴⁾، فولّى مكانه أبا الفتوح حمزة بن علي بن طلحة، الذي كان يتولى وظيفة الحاجب قبل ذلك، ولقب بـ"الأجلّ أثير الدولة" و"كمال الدين عضد الإسلام" وقد حظى بمكانه كبيرة حتى بلغ درجة الوزراء⁽⁵⁾.

كان لصاحب المخزن دور كبير في إدارة وضبط نفقات الدولة، فكان من مهامه، الإشراف على دار الضرب؛ ففي سنة 526هـ/1132م وصلت إلى الخليفة أخبار مفادها أن عمالها يشكون أنهم يخسرون، وحين عرض الأمر على صاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، ووصل الخبر إلى الخليفة، الذي أمر بإجراء تحقيق في الأمر، وأظهر التحقيقات أن العمال يربحون، وأن صاحب المخزن

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص168-169؛ ابن العبري، تاريخ، ص137؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص83؛ فييه، جان موريس، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينه، دار المشرق، بيروت 1990م، ص324، سيشار إليه تالياً فييه، أحوال.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163.

(3) المصدر نفسه، جـ17، ص168-169؛ ابن العبري، تاريخ، ص137؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص83؛ فييه، أحوال، ص324.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص211؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص188؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص206؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص91.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص211؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص185؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص206؛ الأربلي، خلاصة، ص273.

يعاونهم في ذلك، مقابل سبعين ديناراً شهرياً، فأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبي مسؤولاً عن دار الضرب، مما أثر على إيرادات صاحب المخزن ابن طلحة⁽¹⁾ كان ابن طلحة من كبار رجال الدولة، فقد حضر في سنة 516هـ/1123م الخلع على الوزير نظام الملك أحمد عندما استوزره⁽²⁾، كما أخذ الخليفة رأيّه، حين عزم على حرب السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م، وكان رأيّه يوافق رأي الوزير الزينبي وكاتب الإنشاء ابن الأنباري في عدم الخروج من بغداد والتحصن بها، لكن الخليفة أصر على السير لمحاربة مسعود، فخرج ابن طلحة معه وأسر في من أسر مع الخليفة⁽³⁾.

3.3.2 ديوان زمام:

عُرِفَ هذا الديوان بديوان زمام الأزمة، والذي أنشئ في عهد الخليفة المهدي (158-169هـ/775-186م)⁽⁴⁾، ليتولى الإشراف على الدواوين، ومراقبة أعمالها⁽⁵⁾، بيد أن أعماله تراجعت وأخذ الغموض يحيطها أثناء السيطرة السلجوقية⁽⁶⁾

وفي عهد الخليفة المُسترشد كان يتولاه شمس الدولة علي بن هبة الله ابن الزوال (ت539هـ/1145م)⁽⁷⁾، والذي عزل من عمله سنة 515هـ/1122م

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص269.

(2) المصدر نفسه، ج17، ص206.

(3) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ 2؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص293-294؛ ابن الأثير، التاريخ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص282؛ الكازروني، المختصر، ص221.

(4) الدوري، النظم، ص151.

(5) الكساسبة، المؤسسات، ص179؛ عقلة، الخلافة، ص125.

(6) عقلة، الخلافة، ص125.

(7) هو ابن عبد السلام أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام بن عبد الله بن يحيى البغدادي الكاتب، ولد سنة 452هـ/1061م، وسمع من علماء عصره وسمع منه الكثير من الفقهاء والمحدثين، تولى ديوان الزمام في عهد الخليفة المُسترشد ووالي واسط في=

وعهد بالنظر في ديوان الزمام لابن الأنباري بالإضافة إلى عمله في ديوان الإنشاء⁽¹⁾، ويبدو أن هذا الديوان تم فيما بعد فصله عن ديوان الإنشاء، إذ ذكر ابن الجوزي أن متوليه في سنة 526هـ/1132م هو الحسين بن محمد ابن الوزان، والذي قبض عليه مع الوزير ابن طراد الزينبي في تلك السنة وصودرت أمواله، ولعل القبض عليه يعود للمخالفات التي حدثت في دار الضرب وعزل بسببها الوزير ابن طراد الزينبي⁽²⁾.

4.3.2 ديوان المظالم:

تعود نشأة هذا الديوان إلى عهد الخليفة المهدي بالله (158-169هـ/775-786م)، ويهتم بجمع الشكاوي المتعلقة بقضايا تعدي الخاصة على العامة لترفع إلى الخليفة أو من ينوب عنه لينظر فيها⁽³⁾، لكن دوره تراجع في ظل السيطرة البويهية والسلجوقية، أما الخليفة المسترشد الذي عزم على تقليص نفوذ السلاجقة في العراق فقد عمل على إعادة العمل بهذا الديوان، ففي سنة 529هـ/1135م، طرد المسترشد موظفي السلاجقة من بغداد واستولى على أملاك الدولة السلجوقية فيها، وتجهز لحرب السلطان مسعود، وأمر صاحب المخزن حمزة بن علي بن طلحة النظر في المظالم⁽⁴⁾.

عهد الخليفة المقتفي، توفي في سابع رجب سنة 539هـ/1145م، أنظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ 18، ص 42؛ الذهبي، سير، جـ 20، ص 147.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 193-194.

(2) المصدر نفسه، جـ 17، ص 269-272.

(3) الكساسة، المؤسسات، ص 101-106.

(4) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني

أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك، المطبعة الأميرية، القاهرة 1957م، جـ 1، ص 58-

59. سيشار إليه تالياً ابن واصل، مفرج

5.3.2- أستاذية الدار

عرفت هذه الوظيفة في فترة السيطرة السلجوقية وما بعدها وكان متوليها يشرف على شؤون الأسرة العباسية، وعمارة دار الخلافة وتجديد المدارس وبنائها ومتابعة أحوال خدم الخليفة⁽¹⁾. وممن تولاها في خلافة المُسْتَرْشِدِ أبو المكارم بن عبد المطلب الملقب بغز الدولة⁽²⁾، والمظفر بن علي بن محمد بن جهير⁽³⁾، وناصر الدولة أبي عبدالله بن جهير الذي قبض عليه الخليفة المُسْتَرْشِدِ سنة 518هـ/1125م وصادر أمواله⁽⁴⁾، ثم أعيد إلى عمله وبقي فيه إلى أن قبض عليه الخليفة الراشد سنة 530هـ/1136م⁽⁵⁾.

6.3.2- حاجب الخليفة

يتولى الحاجب تنظيم دخول الوافدين لمجلس الخليفة⁽⁶⁾، ومن اختصاصاته في هذه الفترة نقل السفارة بين الخلفاء والسلاطين والولاة⁽⁷⁾. وتولى هذه المهمة في

(1) عقلة، الخلافة، ص128.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص255. هو أبو المكارم بن عبد المطلب الملقب عز الدولة، توفي سنة 523هـ، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص255.

(3) المصدر نفسه، جـ18، ص100؛ الذهبي، سير، جـ20، ص283. هو المظفر بن علي بن محمد بن جهير تولى أستاذ الدار في عهد المُسْتَرْشِدِ، ثم وزير للمقتفي وتوفي سنة 549هـ، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص100؛ الذهبي، سير، جـ20، ص283.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص225.

(5) المصدر نفسه، جـ17، ص307.

(6) الكساسبة، المؤسسات، ص95؛ عمر، النظم، ص92.

(7) عقلة، الخلافة، ص129.

عهد الخليفة المُستَرشد عبد الله بن محمد الدامغاني⁽¹⁾، وأبو غالب محمد بن المعوج وأبو الفتوح حمزة بن طلحة، وأبو الفضل هبة الله بن الحسين بن الصاحب⁽²⁾.

4.2 موظفو السلطنة السلجوقية في بغداد في عهد الخليفة المُستَرشد

1.4.2 - العميد

لم تعد بغداد في العهد السلجوقي قاعدة لحكمهم؛ كما فعل البويهيون من قبل، وإنما تنقلوا بين نيسابور وأصفهان وهمدان، وبقية بغداد عاصمة للخلافة العباسية وحدها، وعين فيها السلاجقة موظفين لهم كانوا بمثابة نواباً عنهم مثل العميد والشحنة⁽³⁾.

أما العميد فكان من الموظفين الذين عينهم السلطان السلجوقي في بغداد، وينوب عنه في عاصمة الخلافة بغداد، وتشبه صلاحياته إلى حد بعيد صلاحيات الوالي، وهو أعلى المناصب السلجوقية في بغداد وصلاحياته أوسع من صلاحيات الشحنة، فالعميد يشرف على العراق جميعه في حين يشرف الشحنة على مدينة بعينها كبغداد أو البصرة وفي بعض الأحيان كانا يتعاونان معاً في إدارة الولاية⁽⁴⁾ هذا وتتمثل صلاحيات العميد في :

1- جباية الأموال اللازمة لتأمين ضمان المدينة التي يتولاها، إذ أن العميد يضمن بغداد من السلطان بمبلغ سنوي متفق عليه مسبقاً ثم يقوم بجمع الأموال من

(1) هو عبدالله بن محمد بن علي بن محمد أبو جعفر الدامغاني، تولى قضاء ربيع الكرخ، ثم خلع عليه وتولى حجابة باب النوبي، ثم عزل، كان دمث الأخلاق عتيداً بالرياسة، وتوفي 518هـ/1125م، أنظر ابن الجوزي، المنتظم، ج-17، ص 226.

(2) الأربلي، خلاصة، ص 273.

(3) القزاز، الحياة، ص 18؛ الزهراني، نفوذ، ص 125؛ الجميلي، رشيد عبدالله، تاريخ الدولة العباسية (العصور العباسية لمتأخرة)، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت)، ص 65. سيشار إليه تالياً: الجميلي، تاريخ. أنظر الملحق رقم (ج)، ص 202.

(4) عمر، فاروق، النظم الإسلامية، العين 1983م، ص 91، سيشار إليه تالياً عمر، النظم؛ أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد 1965م، ص 202؛ سيشار إليه تالياً: أمين، تاريخ؛ أمين، نظام، ص 220.

بغداد لنفسه⁽¹⁾ فقد ضمن أبو الفتح المظفر بن الحسين بغداد سنة 452هـ/1060م بمائة ألف دينار ولستين 453هـ/1061م و454هـ/1062م بثلاثمائة ألف دينار⁽²⁾.

2- عمارة بغداد والنظر في أعمالها.

3- استتباب الأمن والنظام في مركز الخلافة وما يتبعه من مناطق.

4- النظر في المظالم والقضاء على المفسدين.

5- الاهتمام بأمر الحج، وتعيين الخفراء للحجيج.

6- ترتيب إقامة السلطان في بغداد⁽³⁾.

ومن الجدير بالذكر أن نفوذ العميد قد تراجع وتقلصت صلاحياته مع مرور الزمن وأُنيطت كثير من مهامه بالشحنة، الذي غدا يمثل السلطان وينوب عنه في بغداد وقد ظهر هذا بجلاء في خلافة المُستَرشد؛ إذ طغى ذكر الشحنة على ذكر العميد، وقام أيضاً بأعماله .

كان أبو نصر أحمد بن علي - الذي قتله البساسيري عندما سيطر على بغداد وعزل الخليفة سنة 450هـ/1058م مستغلاً غياب السلطان طُغرُلبك(429-455هـ/1038-1064م) في الموصل - أول عميد يتولى العراق وكان هذا العميد ذا شجاعة وهو الذي بنى رباط شيخ الشيوخ ببغداد⁽⁴⁾ وفي عهد المُستَرشد غاب ذكر العميد لصالح الشحنة، ولم يعد يذكر إلا عرضياً، ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي والذهبي حديثهما عن حوادث سنة 516هـ/1123م من أن أحد عمداء العراق وهو ثقة الملوك أبو جعفر⁽⁵⁾، استطاع الحصول على فتوى تبيح قتال والي الحلة دُبَيْس ابن صدقة، الذي اتهم بسب الصحابة، وترك الصلوات والجمع ومفارقة الجماعة

(1) عقلة، الخلافة، ص71.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص62؛ عقلة، الخلافة، ص71-72.

(3) بيات، السياسة، ص108-109؛ عقلة، الخلافة، ص71-73.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص344؛ أمين، تاريخ، ص203؛ عقلة، الخلافة، ص72.

(5) لم يعثر له على ترجمة في المصادر

والتظاهر بالمحرمات، والحصول على أذن السلطان محمود بقتال دُبَيْس بالتعاون مع الخليفة⁽¹⁾.

وما ذكره الشاعر حيص بيص في قصيدته التي يمدح فيها الوزير شرف الدين انوشروان وعميد العراق علي بن علّجة⁽²⁾ ويعتب عليهما لتأخرهما في صرف إدارته⁽³⁾ منها قوله "

وما راعني إلا عميدُ مُعْظَمُ مشيرُ على السلطان بالمنع والحظر
وهبه كما قد قيل ضاق توصلًا بإطلاق نزرٍ يسترقُّ به شكري
لئن منع الإدرارَ بعد إباحةٍ لم يخشَ من نظمي الفصيح ولا نثري
ولج ابن كوزانٍ وإن لحاجبه ردئ ذاهب بالعرض منه بالعمر
ولم يتلاف الأمرَ في أخرياته عميدٌ مطاعُ القول في النهي ولأمر⁽⁴⁾
كما ورد ذكر لعميد العراق الذي كان يتولاها بعد مقتل الخليفة المُسْتَرْشِد سنة 529هـ/1135م، في بعض المصادر دون أن تسميه واكتفت بالقول أنه قد تعاون مع متولي الشحنة على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب بسوق العميد وسيطر على دار الشحنة، والقبض على ابن طوق عامل الأمير الجاولي شحنة بغداد، وأمروا ابن الحاجب ضامن بغداد بجمع الضمان وتسليمه لهم "... وثار الناس وهاجموا عساكر صاحب الشحنة والعميد لكنهم استطاعوا إخضاعهم للأمر الواقع"⁽⁵⁾، وقبضوا على أملاك الخليفة وقتلوا أناساً كثيراً⁽⁶⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 208-209؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 294.

(2) لم يعثر له على ترجمة في المصادر

(3) يقصد بإدرار الراتب.

(4) حيص بيص، ديوان، جـ 1، ص 115-118.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 296؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 275.

(6) ابن الأثير، التاريخ، ص 49-50.

2.4.2- شحنة بغداد:

الشحنكية أو الشحنة وهي لفظة فارسية تعني نائب الملك أو رئيس الشرطة وفي لسان العرب، الشحنة جمعها شحن: وهي في الأصل ما يقدم للدواب من العلف الذي يكفيها يومها وليلتها⁽¹⁾، واصطلاحاً هي: وظيفة إدارية استحدثتها السلاجقة، ويعين صاحبها من قبل السلطان السلجوقي، ويتمتع بمسؤوليات إدارية وأمنية، وهو المسئول عن إدارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها، وملاحقة الخارجين عن النظام، ومعاقبة المفسدين وغير ذلك⁽²⁾.

بدأت وظيفة الشحنكية أو الشحنة بسيطة يتولى صاحبها مهام محددة ضمن مدينة معينة، ثم أخذت بالتطور السريع، وبخاصة بعد تولي نظام الملك الطوسي (ت485هـ/1093م) الوزارة السلجوقية، حتى أصبح صاحبها بمثابة الوالي أو النائب عن السلطان في بغداد أو غيرها من المدن السلجوقية، واتسعت مسؤولياته حتى فاقت مسؤوليات العميد الذي أصبح مساعداً لصاحب الشحنة⁽³⁾.

ذكر الراوندي (ت603هـ/1207م) صاحب كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، أن أول من تولى شحنة بغداد كان الأمير ايتكين السلماي: وهو الذي فر عند استيلاء البساسيري على بغداد سنة 450هـ/1059م إلى منطقة حلون، وهناك وصلته رسالة الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1032-1075م) يطلب منه إبلاغ السلطان طغرلبيك (429-455هـ/1038-1064م) بما حدث⁽⁴⁾، في حين يذكر ابن الأثير (ت630هـ/1233م) وابن كثير (ت774هـ/1373م)، أن الأمير

(1) ابن منظور، لسان، ج-13، صص 234.

(2) الراوندي، محمد بن علي (601هـ/1205م) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، 1960م ص 173-174؛ سيشار إليه تالياً الراوندي، راحة؛ أمين، نظام، ص220؛ أمين، تاريخ، ص210؛ بيات، "السياسة"، صص 109-110؛ عقله، الخلافة، ص76؛ عمر، النظم، ص91؛ شندب، الحضارة، ص106.

(3) بيات، السياسية، ص109؛ القزاز، الحياة، ص19.

(4) الراوندي، راحة، ص 172.

برسق(ت490هـ/1097م)⁽¹⁾، كان أول من تولى شحنة بغداد، وقد ولاه إياها السلطان ألب ارسلان في شهر ربيع الأول سنة 452هـ/1061م⁽²⁾.
وقبيل خلافة المُستَرشِد(512-529هـ/1118-1135م) كان الأمير مجاهد الدين بهروز⁽³⁾، يتولى شحنة بغداد من قبل السلطان محمد(498-511هـ/1105-1118)، منذ سنة 502هـ/1109م، وقد بنى هذا الأمير دار السلطنة في بغداد بأمر من السلطان محمد، وأحسن إلى الناس، فزاد السلطان في أملاكه فولاه شحنة العراق كله⁽⁴⁾ وفي سنة 512هـ/1118م عزله السلطان محمود عن عمله وولى مكانه الأمير آقسنقر البرسقي⁽⁵⁾ وسار بهروز إلى تكريت والتي كانت إقطاعاً له⁽¹⁾.

(1) هو أحد أمراء السلطان طغرل بك (429-455هـ/1038-1061م)، تولى العديد من الأعمال، ومنها شحنة بغداد، وكان من الأمراء المشار إليهم فيها، والمعدودين من أعيانهم، قتلته الباطنية سنة 490هـ/1097م، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج9، ص12؛ ابن كثير، البداية، ج12، ص152؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد(ت681هـ/1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت(د.ت)، ج1، ص243، سيشار إليه تالياً ابن خلكان، وفيات.
(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص351؛ ابن كثير البداية، ج11، ص195؛ أمين، نظام، ص220.

(3) هو بهروز بن عبدالله أبو الحسن الخادم الأبيض الغياثي، كان يلقب بمجاهد الدين، ولي شحنة بغداد لمدة تزيد على ثلاثين عاماً، ولعدة مرات، قال عنه ابن الجوزي: ما رأيت مثل مناقضة بهروز فإنه منع أن يجتمع في السفينة النساء والرجال وجمع بينهم في الماخور، توفي في رجب سنة خمسمائة وأربعين ودفن برباط المستجد بشاطئ دجلة المعروف برباط الخدم، انظر: ابن الجوزي المنتظم، ج18، ص46؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص336؛ سبط ابن الجوزي، مرآة ق1، ج8، ص186.

(4) الأصفهاني، زبدة، ص125؛ ابن الأثير، الكامل ج9، ص133؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص33.

(5) هو أبو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي، الملقب قسيم الدولة سيف الدين صاحب الموصل والرحبة، ملكها بعد الأمير مودود سنة 507هـ/1114م، وكان قبلها يتولى شحنة بغداد منذ سنة 498هـ/1105م وقال عنه ابن خلكان: أنه أحد كبراء الدولة السلجوقية وله شهرة

إلا أن السلطان محمود عزل البرسقي في السنة نفسها وولاهها الأمير منكوبرس (ت513هـ/1120م)⁽²⁾، الذي بعث بالأمير حسين بن أزيك⁽³⁾، لينوب عنه في تولى شحنة بغداد فلم يرضَ البرسقي بذلك وطلب من الخليفة المستظهر (487-512هـ/1095-1119م) منع ذلك فأجابته إلى طلبه، وكتب به إلى السلطان محمود الذي طلب من الأمير أزيك التأخر لحين وصول أو أمره بالسير إلى بغداد أو العودة عنها؛ فتأخر مسير أزيك إلى بغداد مما دفع البرسقي إلى السير إليها، والتقى بالأمير أزيك ووقعت بينهما معركة أنتصر فيها البرسقي، وقتل أخ الأمير أزيك وذلك قبيل وفاة المستظهر وبيعة المُستترشد، مما دفع الأمير منكوبرس إلى تولى شحنة بغداد بنفسه، عرف عن صاحب الشحنة هذا الظلم والجور على الرعية، حتى أن الناس قد ضجوا منه وأغلقوا الأسواق⁽⁴⁾.

ولم تكن علاقات هذا الأمير حسنة مع الخليفة المُستترشد لما عرف عنه من ظلم وجور، وقد شكّا الخليفة ذلك إلى السلطان محمود⁽⁵⁾ لكن السلطان محمود كان مشغولاً في حربه مع عمه السلطان سنجر، وما أن انتهت الحرب حتى قبض عليه السلطان محمود فقتله سنة 513هـ/1120م لأمر أخذاً عليه⁽⁶⁾ ففوض شحنة

كبيرة بينهم، قتلته الباطنية بجامع الموصل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة 520هـ/1127م. انظر ابن خلكان، وفيات، ج1، ص242-243.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص172؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص273؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص40.

(2) أحد أمراء الدولة السلجوقية، تولى شحنة بغداد في الفترة (512-513هـ/1119-1120م) قتل بأمر من السلطان محمود سنة 513هـ/1120م لموقفه في الحرب التي وقعت بين السلطانيين محمود وسنجر 512هـ/1119م، أنظر: ابن الأثير، الكامل ج9، ص187.

(3) لم يعثر على ترجمة له في المصادر

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص187؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص279.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص187؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص279؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص228.

(6) ابن الأثير، الكامل ج9، ص178.

بغداد إلى الأمير سعد الدولة برنقش الزكوي⁽¹⁾ والذي مارس صلاحياته في حفظ الأمن وتطبيق النظام؛ ففي شهر صفر من سنة 515هـ/1122م استطاع جنوده إلقاء القبض على شخص قتل شخصاً آخر وتقديمه إلى القضاء، كما نشر جنوده في بغداد ومعهم أسلحتهم وأوكل إليهم حفظ الأمن فيها⁽²⁾، وهياً في سنة 515هـ/1122م الإقامة للسلطان محمود في بغداد، وحدث أن احترقت دار السلطنة أثناء إقامة السلطان فيها، وأتت النار عليها بالكامل فعمل صاحب الشحنة على تهيئة مكان آخر لإقامة السلطان، وتنفيذ أمر السلطان بإعادة بناء دار السلطنة من جديد⁽³⁾ كما أنه شارك في الحرب التي وقعت بين الخليفة ووالي الحلة دُبَيْس بن صدقة في الفترة (514-516هـ/1121-1123م) بصفته متولي شحنة بغداد⁽⁴⁾.

واستطاع في سنة 516هـ/1123م التوصل إلى تفاهم مع دُبَيْس اشترط عليه أن يرسل أخيه منصور رهينة عند السلطان ويلزم طاعته والخليفة، ثم عاد الزكوي إلى بغداد يقود قواته العسكرية⁽⁵⁾، وقصد دار الخلافة ومعه الأمير منصور أخ دُبَيْس وطلب من الخليفة العفو عن دُبَيْس ومصالحته⁽⁶⁾، لكن الخليفة رفض ذلك وطلب من السلطان محمود تكليف الأمير آقسنقر البرسقي محاربة دُبَيْس وتعويضه على شحنة بغداد ووافق السلطان على ذلك، وأمر البرسقي بمحاربة دُبَيْس، والتقى الطرفان يوم الخميس الأول من محرم سنة 516هـ/1123م، في معركة وانتصر دُبَيْس على البرسقي، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه الصلح ويقدم له الطاعة، واشترط عليه عزل وزيره جلال الدين ابن صدقة، وعزل البرسقي من شحنة بغداد،

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 187؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 90-91.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 192.

(3) المصدر نفسه، جـ 17، ص 194؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 211؛

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 195-197؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 193-194.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 198؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 193-194.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 213-214؛ ابن

العديم، بغية، جـ 4، ص 1963.

فوافق الخليفة على عزل الوزير ابن صدقة لكن السلطان محمود لم يعزل البرسقي، وتم الصلح بين الخليفة ودُبَيْس⁽¹⁾.

لم يلتزم دُبَيْس بما نص عليه الصلح، وأخذ يغير على بعض مناطق الخلافة في واسط، مما دعا أهلها إلى طلب العون من الخليفة والبرسقي؛ فأعلن الخليفة إنهاء الصلح معه، واتفق مع شحنة بغداد على محاربته وفي سنة 517هـ/1124م، انتظم عسكر الخليفة والبرسقي في جيش واحد فكان البرسقي في ميمنة الجيش وعماد الدين زنكي والي واسط في الميسرة والخليفة ووزيره نظام الملك احمد في الصفوف الأخيرة، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين، قاتل فيها الخليفة بنفسه، -حتى كاد ينتصر دُبَيْس-، فشجع ذلك جنود الخليفة وحملوا على جنود دُبَيْس، فهزموهم وقتل واسر عدداً كبيراً منهم وهرب دُبَيْس وانظم إلى جانب الصليبيين في حصارهم لمدينة حلب،⁽²⁾.

وفي سنة 518هـ/1125م عزل السلطان محمود(511-525هـ/1118-1131م) البرسقي عن شحنة بغداد وأمره بالعودة إلى الموصل لمحاربة الصليبيين وولى مكانه الأمير سعد الدولة برنقش الزكوي،⁽³⁾ ويذكر الذهبي أن سبب عزل

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص213-215.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-221؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-111؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ) ص297-299؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص235-236؛ النويري، نهاية، جـ23، ص265-267؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص614-615.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص229؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص112؛ ابن العديم، بغية، جـ8، ص3845؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات(501-520هـ)، ص301؛ الديوجي، سعيد، تاريخ الموصل، (د.ط) مطبوعات المجمع العراقي، بغداد1982م، ص261، سيشار إليه تالياً: الديوجي، تاريخ.

البرسقي عن شحنة بغداد، نفور الخليفة منه وطلبه من السلطان محمود عزله، فأجاب السلطان إلى ذلك وعزله⁽¹⁾.

وفي ولاية الأمير سعد الدولة برنقش الزكوي الثانية على شحنة بغداد، لم تكن علاقته حسنة مع الخليفة المُستَرشد؛ فقد سار في سنة 519هـ/1126م إلى السلطان محمود وحرضه على الخليفة وشكا له من أن الخليفة يجمع العسكر وأنه عزم على الانفصال عن السلطنة والاستقلال بالعراق⁽²⁾، فكان ذلك من الأسباب التي دفعت السلطان محمود إلى السير إلى بغداد سنة 520هـ/1127م ومحاربة الخليفة السيطرة على دار الخلافة⁽³⁾، كما أشار الزكوي على السلطان محمود قتل أهل بغداد فرفض السلطان ذلك⁽⁴⁾.

بعد سيطرة السلطان محمود على بغداد سنة 521هـ/1128م، أدرك ما وصل إليه الخليفة من قوة وأطلع على نواياه في التخلص من النفوذ السلجوقي، فعمد إلى البحث عن شخصية قوية لتولي شحنة بغداد تكون قادرة على كبت نوايا الخليفة نحو الاستقلال، وتثبيت النفوذ السلجوقي في بغداد والعراق كله، فوقع اختياره على عماد الدين زنكي لما له من خبرة كبيرة في الحروب ضد دُبَيْسٍ والصليبيين ومعرفته

(1) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 304.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 229؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 237-238؛ ابن الأثير، التاريخ، ص 28-29؛ المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 661هـ/1263م)، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1997، ج 1، ص 114، سيشار إليه تالياً المقدسي، الروضتين؛ النويري، نهاية، ج 23، ص 267؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 305-306؛ الآلوسي، "المُستَرشد"، ص 504، الزهراني، نفوذ، ص 127.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 232-233؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 237-238؛

المقدسي، الروضتين، ج 1، ص 1140.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 242.

الواسعة بالعراق والخليفة المُسْتَرْشِد، فولاه شحنة بغداد سنة 521هـ/1128م، وعاد إلى عاصمته همدان⁽¹⁾.

ضبط عماد الدين أمور شحنة بغداد وحسن علاقاته مع الخليفة المُسْتَرْشِد (512-529هـ/1118-1135م) الذي فضله على دُبَيْس في تولي الموصل بعد وفاة صاحبها مسعود بن البرسقي (520-521هـ/1127-1128)، ودفع الخليفة لقاء ذلك مبلغاً قدره مائة ألف دينار، كما أن عماد الدين توسل إلى الخليفة من أجل أن يساعده في توليته الموصل فكان له ما أراد إذ خلع عليه الخليفة وأعادته إلى الموصل⁽²⁾، وولّى السلطان محمود شحنة بغداد الأمير مجاهد الدين بهروز وذلك سنة 522هـ/1129م⁽³⁾.

كانت علاقة الأمير بهروز حسنة مع الخليفة المُسْتَرْشِد في ولايته الثانية لشحنة بغداد، لما عرف عنه من حسن التصرف والعدل الإنصاف⁽⁴⁾، وإضافة إلى انشغال السلاجقة عن أمور الخليفة في حروبهم الداخلية بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، لكن هذا لم يدم طويلاً وإذ توترت العلاقات بينهما أثر طلب الخليفة من الأمير بهروز مرافقته في حربه ضد والي الموصل عماد الدين زنكي سنة 527هـ/1133م فاعتذر بهروز بحجة كبر سنة وعدم مقدرته على الحرب، فطلب منه الخليفة تسليم القلعة والأموال التي معه والدخول في طاعة الخليفة، فأجاب إلى الطاعة، لكنه رفض تسليم القلعة والأموال⁽⁵⁾، وأرسل الخليفة العسكر وحاصر القلعة فوق القتال بين الطرفين وأجبر بهروز على تقديم الأموال، فأقدم الخليفة على طرده

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 244؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 241؛ المقدسي، الروضتين، جـ 1، ص 114؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 203؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 53؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 244؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 92.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 252-253.

(3) ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 244.

(4) الأصفهاني، زبدة، ص 125؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 133؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 33.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 276.

وسيطر على دار السلطنة⁽¹⁾، وغدا الخليفة المتصرف الوحيد ببغداد وما يتبعها من مناطق مستغلاً انشغال السلاجقة في حروبهم كما سيأتي في الفصل الثالث.

بعد وفاة السلطان طغرل بن محمد (526-529هـ/1132-1135م) سنة 529هـ/1135م وتولي السلطان مسعود (529-548هـ/1135-1154م)، حكم سلاجقة العراق، ونظراً لضعف صاحب شحنة بغداد الأمير بهروز فقد عزلته السلطان مسعود وعين مكانه الأمير الجاولي الطغرلي⁽²⁾، ولكن هذا الأمير انضم للخليفة في حربه ضد السلطان مسعود والتي أفضت إلى أسر الخليفة⁽³⁾، وبعد هزيمة الخليفة وأسره بعث السلطان مسعود الأمير ببكة أوبك المحمودي وولاه شحنة بغداد، فعمل هذا الأمير بالتعاون مع العميد على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب بسوق العميد، وسيطر على دار الشحنة، وقبض على ابن طوق عامل الأمير الجاولي شحنة بغداد السابق، وأمرُوا ابن الحاجب ضامن بغداد بجمع الضمان وتسليمه لهم وثار الناس وهاجموا عساكر صاحب الشحنة والعميد لكنهم استطاعوا إخضاعهم للأمر الواقع⁽⁴⁾، وقبضوا على أملاك الخليفة وقتلوا أناساً كثيراً⁽⁵⁾، كما عمد صاحب الشحنة إلى نقض سور بغداد وأجبر الناس على نقضه، فنقضت مواقع كثيرة منه⁽⁶⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص283.

(2) المصدر نفسه، جـ17، ص291. هو جاولي الطغرلي، أحد أمراء الدولة السلجوقية في عهد السلطان مسعود، تولى شحنة بغداد، وانضم للخليفة في حربه مع السلطان مسعود سنة 529هـ، ثم مال للسلطان، وتولى في ما بعد حكم أرنية الواقعة بين أذربيجان وأران سنة 535هـ، ثم تحرك للعصيان على السلطان مسعود فـدس له من قتله سنة 541هـ/1147م، انظر ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص317، 344.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص294، 291؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص296؛ النويري، نهاية، جـ23، ص275.

(5) ابن الأثير، التاريخ، ص49-50.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص298.

وبعد مقتل الخليفة المُستَرشِد ،أمر السلطان مسعود صاحب شحنة بغداد بأخذ البيعة لولي العهد الأمير الراشد فأخذها له⁽¹⁾.

5.2 : جيش الخلافة في خلافة المُستَرشِد

تراجعت مكانة جيش الخلافة العباسية خلال السيطرة البويهية (334-447هـ/946-1056م)⁽²⁾ واستمر هذا الحال بعد سيطرة السلاجقة على بغداد سنة 447هـ/1056م، إذ فوض الخليفة القائم (422-467هـ/1031-1075م) مهمة الدفاع عن الدولة، وتكوين الجيش لسلطين السلاجقة، ووقع لهم بذلك تفويضاً كاملاً بإدارة الدولة والمناطق التابعة لها، وجرّد نفسه من أية قوة عسكرية، إذ قال في تفويضه للسلطان طُغرُلبك (429-455/1038-1064م) " إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفضلك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عبادته، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكف الظلم، وإصلاح الرعية"⁽³⁾.

وسار من بعده الخليفة المقتدي (467-487هـ/1075-1094م) والخليفة المستظهر (487-512هـ/1094-1118م)، على هذه السياسية، فلم يذكر عنهما سعيهما لتكوين جيش خاص بالخلافة، وظلت هذه المهمة مناطة بالدولة السلجوقية ونوابها في بغداد وغيرها من المدن التابعة لها، إذ أن الدولة السلجوقية كانت في أوج قوتها في عهديهما⁽⁴⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص300؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص158؛ النويري، نهاية، جـ23، ص277.

(2) ردايده، تهاني خالد، جيش الخلافة العباسية في الفترة ما بين (447-656هـ/1055-1258م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد 1997م، ص31، سيشار إليه تالياً: ردايده، جيش.

(3) البنداري، تاريخ، ص14؛ الفارقي، تاريخ، ص157-158؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337؛ ردايده، جيش، ص32؛ القزاز، الحياة، ص17.

(4) ردايده، جيش، ص33-34.

وفي بداية خلافة المُستَرشِد، لم تكن الخلافة تمتلك أي قوة عسكرية فمع أن ابن العمراني (ت 580هـ/1185م)، انفرد بالقول أن خمسمائة فارسٍ من جيش الخلافة، قد شارك في القضاء على حركة أخي الخليفة الأمير أبي الحسن علي بن المستظهر التي قادها عند بيعة المُستَرشِد سنة 513هـ/1119م⁽¹⁾، إلا أن المؤرخين قد أجمعوا على أن المُستَرشِد قد اعتمد بصورة كاملة على جيش دُبَيْس في القضاء على حركة أبي الحسن⁽²⁾، مما يؤكد عدم امتلاك الخلافة أي قوة عسكرية في بداية خلافة المُستَرشِد.

ولكن هذا الحال لم يكن ليرضي المُستَرشِد، لما عرف عنه من صفات الشجاعة والإقدام والحزم، وسعيه للتخلص من النفوذ السلجوقي، وإعادة هئية الخلافة⁽³⁾ وحمايتها مما يهددها من أخطار الدويلات المجاورة تحاول السيطرة عليها⁽⁴⁾، فبدأ الخليفة في التفكير في بناء جيش خاص به منذ توليه الخلافة سنة

(1) ابن العمراني، الإنباء، 212.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 174؛ ابن الأثير الكامل، جـ 9، ص 174-175؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 79؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 262؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 275؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1024.

(3) الفارقي، تاريخ، ص 285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص 210؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل جـ 9، ص 283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 73؛ السبكي، طبقات، جـ 7، ص 258؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 277؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 563؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 259؛ القرمانلي، أخبار، ص 174؛ ابن دقماق، الجوهر، 163؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 62؛ السيوطي، تاريخ، ص 339؛ ابن العماد، شذرات، جـ 4، ص 86.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 205-207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 193-194؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 265؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 235-236.

512هـ/1118م، ففي هذه السنة خلع على الأمير نظر⁽¹⁾، ولقبه أمير الجيوش والحرمين وأعطاه الأعلام⁽²⁾، وعمد إلى تشكيل نواة جيشه وتسليحها، ليكونوا قادرين على حماية دار الخلافة من الهجمات التي أخذ دُبَيْس يشنها عليها منذ سنة 514هـ/1121⁽³⁾، لكن هذه القوة لم تكن كافية بالقدر الذي يجعلها قادرة على مواجهة دُبَيْس، لذلك لم يشركها المُسْتَرْشِد في المواجهة، التي وقعت بين البرسقي صاحب شحنة بغداد ودُبَيْس سنة 516هـ/1123م، والتي هزم فيها البرسقي، واستطاع فرض شروطه على شحنة بغداد والخلافة أيضاً⁽⁴⁾ واستمر في اعتداءاته على بغداد وما يجاورها.

كانت هذه الهزيمة دافعاً قوياً للخليفة لتجميع قواته، والمناداة في بغداد بالنفير العام، حتى استطاع بالتعاون مع صاحب شحنة بغداد تكوين جيش كبير تباينت الروايات في تحديد تعداده ففي حين ذكر ابن العمراني، أنه خرج مع الخليفة من بغداد نحو ثلاثين ألف شاب بعضهم من حملة السلاح وبعضهم من رماة البندق وبعضهم بأيديهم المقالع⁽⁵⁾، في حين أن ابن الأثير والنويري ذكرا: أن جيش الخليفة والبرسقي بلغ تعداده ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل⁽⁶⁾، قد شاركت في هذا

(1) هو نظر بن عبدالله الجيوشي، ولد ببغداد وسمع فيها الحديث وتفقه على علمائها، وتولى إمارة الحج لأكثر من عشرين عاماً، وتولى قيادة جيش الخليفة المُسْتَرْشِد في الفترة (512-528هـ/1119-1134م)، وتوفي سنة 544هـ/1150م ودفن ببغداد، انظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص76؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص364؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص205.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص179؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص72.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص186-187؛ ردايده، جيش، ص36.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص214؛ سبط

ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص100-101؛ ابن العديم، بغية، جـ7، ص3480.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص215.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص26-27؛ النويري، نهاية، جـ23، ص266.

الجيش مختلف الفئات السكانية في بغداد، وقاد هذا الجيش الخليفة بنفسه، وقاتل فيه، واستطاع هذا الجيش هزيمة دُبَيْس وقتل وأسر عدداً آخر⁽¹⁾.

يعد هذا الانتصار نقطة تحول في تاريخ جيش الخلافة العباسية في عهد المُسْتَرْشِد، فقد كان الخليفة قبله يعتمد بشكل كامل على قوات شحنة بغداد في حماية دار الخلافة من الأخطار التي تهددها، وحفظ أمنها، وبعدها أصبح جيش الخلافة يقوم بمهام عسكرية وأمنية داخل وخارج بغداد، كما أن الخليفة قد أولى هذا الجيش اهتماماً كبيراً؛ فقد خصص له جزءاً من نفقات الدولة كما يتضح من خطابه للسلطان محمود (512-525هـ/1118-1131م) محاولاً تثبيته عن السير إلى بغداد سنة 520هـ/1127م فقد قال له: "إنّ العراق بعد ما خربها دُبَيْس بن صدقة لا تقي بي وبكم فإما أنا أو أنتم، وعندي عساكر واحتاج إلى الإنفاق عليهم، ومعكم عساكر والبلاد خراب لا تقي بالجميع"⁽²⁾.

وعمل الخليفة كذلك على إعادة العمل بديوان العرض، وهو الديوان المخصص للجند (ديوان الجند)، ودوّن فيه أسماء الجند ورواتبهم، وما يلزمهم من السلاح وغيره⁽³⁾ وتكوّن جيش الخليفة المُسْتَرْشِد من عناصر متعددة؛ فقد أشرك فيه الهاشميين من آل العباس وآل علي، وأرباب الدولة من وزراء، وقضاة وموظفين⁽⁴⁾، وعرب من سكان بغداد وما جاورها⁽⁵⁾، والأتراك⁽⁶⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219-221؛ ابن الأثير، التاريخ، ص 26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 109-110 = الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 297-299؛ الجميلي، تاريخ، ص 67؛ ردايده، جيش، ص 36-37.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 216.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 231؛ ردايده، جيش، ص 39.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 211-212، 216؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 101؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 295.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص 211-212، 216.

(6) المصدر نفسه، ص 211-212، 216؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 101.

والأكراد⁽¹⁾ والتركمان والأعراب⁽²⁾.

كما اهتم الخليفة المُسترشد بتحصين مدينة بغداد فبعد انتصاره على دُبَيْس سنة 517هـ/1124م أمر ببناء سور حول بغداد لحمايتها من هجمات دُبَيْس أو غيره من أخطار⁽³⁾، وجمعت تكاليف بناء هذا السور من الناس في بداية الأمر إلا أنهم ضجوا من ذلك؛ فأعاد الخليفة ما جمع من الناس إليهم، وأتم بنائه على نفقته الخاصة⁽⁴⁾، كما أن وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك قد تبرع بمبلغ خمسة عشر ألف دينار من ماله الخاص في بناء السور⁽⁵⁾، ولعل ما فعله الخليفة والوزير كان دافعاً للناس للمساعدة في بناء السور إذ كان كل أهل محلة يعملون يوماً كاملاً في بنائه وبشكل دوري حتى تم بناؤه⁽⁶⁾، وقد بقي هذا السور قائماً حتى نقضه متولي شحنة بغداد الأمير بكبة على أثر أسر الخليفة المُسترشد من قبل السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م⁽⁷⁾.

وفي سنة 554هـ/1164م أتى فيضان نهر دجلة على ما تبقى منه، فأعاد الخليفة المقتفي (532-555هـ/1137-1161م) ومن بعد المستجد (555-566هـ/1161-1170م) والمستضيء (566-575هـ/1170-1179م)، بناءه من جديد⁽⁸⁾.

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص215.

(2) المصدر نفسه، ص217.

(3) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت597هـ/1201م)، مناقب بغداد، تحقيق محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد 1924م، ص15، سيشار إليه تالياً: ابن الجوزي، مناقب.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص110؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص298.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص225؛ النويري، نهاية، ج23، ص267.

(6) ابن الجوزي، مناقب، ص15-18؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص298.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص298؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص2.

(8) ابن الجوزي، مناقب، ص18.

وهكذا أصبح الخليفة المُستَرشد بالله يمتلك جيشاً قوياً يَأتمر بِأمرته ويوجه لتحقيق أهدافه؛ ففي سنة 519هـ/1126م تعرضت بغداد لهجوم مشترك من الأمير طغرل ودُبَيْس بن صدقة، فأعلن الخليفة النفير العام، وجمع الجيش، وقسمه إلى فرقتين واحدة يقودها بنفسه والأخرى بقيادة الوزير جلال الدين بن صدقة واستطاع جيش الخلافة هزيمة دُبَيْس وأسرته ثم العفو عنه بعدما توسل للخليفة، أما الأمير طُغرْلُك فقد مرض وهو في طريقه لمهاجمة بغداد؛ فلم يشتبك مع جيش الخليفة وعاد إلى بلاده⁽¹⁾، وبعد هذا الانتصار بدأ الخليفة يتطلع لضم مناطق جديد بالاعتماد على جيشه، ففي السنة نفسها أرسل الخليفة قسماً من جيشه بقيادة عفيف الخادم لاحتلال واسط لكن وليها عمادالدين زنكي استطاع هزيمته وحمايتها⁽²⁾.

بدأت السلطنة السلجوقية تستشعر قوة جيش الخلافة، وأنه بات يشكل خطراً على نفوذها في العراق، فقد اشتكى متولي شحنة بغداد إلى السلطان محمود سنة 519هـ/1126م، من الخليفة وتحركاته العسكرية وقال له: "إن الخليفة يطلب الملك، وانه خرج من داره مرتين وكسر من قصده، وإن لم يدبر الأمر في حسم، ذلك اتسع الخرق، وصعب الأمر، وسيوضح لك حقيقة ذلك إذا أردت دخول بغداد، والذي يحمله على ذلك وزيره أبو علي ابن صدقة، وقد كاتب أمراء الأطراف، وجمع العرب والأكراد⁽³⁾".

كما أن السلطان سنجر (511-552هـ/1118-1158م) حذر ابن أخيه السلطان محمود من تنامي قوة الخليفة، وأنه أصبح يشكل خطراً على الدولة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 298؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 232-233؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 241.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 238؛ ابن الأثير، التاريخ، ص 28؛ الديوجي، تاريخ الموصل، ص 262.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 219؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 237؛ إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205-1343هـ/820-1925م)، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1989م، ص 295، سيشار إليه تالياً، إقبال، تاريخ.

السلجوقية كلها، ونهاه عن الصلح معه، والركون إلى جانبه، فقد بعث السلطان سنجر رسالة إلى السلطان محمود جاء فيها: "أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك، فإذا اتفقتما علي، فرغ مني وعاد إليك فلا تلتفت إليه، وأنت تعلم أنه ليس لي ولد ذكر، وأنتك ضربت معي مصافاً، وظفرت بك، فلم أسئ إليك، وقتلت من كان سبباً لقتالنا، وأعدتكم إلى السلطنة، وجعلتكم ولي عهدي، وزوجتك ابنتي، فلما مضت إلى الله تعالى زوجتك الأخرى، ورأيي فيك رأى الوالد، فالله الله أن تعول على ما قال لك، ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد، ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة، وتقتل الأكراد الذين قد دونهم، وتأخذ النزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر، وتقول: أنا سيفك وخادمك وأنت تعود إلى دارك على ما جرت به عادة آبائك، وأنا لا أحوجك إلى تعسف فإن فعل وإلا أخذته بالشدة، وإلا لم يبق لك ولا لي معه حكم"⁽¹⁾.

وهكذا يبدو أن تنامي قوة جيش الخليفة، وشكوى متولي شحنة بغداد وتحذيرات السلطان سنجر (511-525هـ/1118-1158م) من أهداف الخليفة التوسعية والاستقلالية، قد جعلت السلطان محمود (511-529هـ/1118-1131م) يعيد النظر في علاقاته مع الخليفة، وعزم على التوجه إلى بغداد والسيطرة عليها، وتفريق جيش الخليفة، فحاول الخليفة ثني السلطان عن قصده بغداد، فأنفذ إليه كاتب الإنشاء ابن الأنباري، لكن السلطان أبى وتوجه إلى بغداد.

أمام ذلك كله قام الخليفة بتحصين بغداد وجمع العساكر واستعد للقتال، وعند وصول السلطان أطراف بغداد فرض عليها حصاراً شديداً، ووقع القتال بين الطرفين ولم يستطع السلطان هزيمة الخليفة ودخول بغداد، فاستنجد بعماد الدين زنكي والي البصرة، الذي زحف إليه بجيش كبير، وانضم إليه في حصاره بغداد، وبعد عدة أيام أجبر الخليفة على قبول الصلح الذي كان السلطان يعرضه عليه، ودخل السلطان محمود (511-552هـ/1118-1158م) بغداد، ونهبت بعض مناطقها وبعض دور

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 231.

الخلافة⁽¹⁾، واتفق الطرفان على أن لا يقوم الخليفة بتكوين جيش خاص به، وأن يسلم ما لديه من أسلحة وآلة حرب، على أن تقوم السلطنة السلجوقية بحماية بغداد من أي خطر تتعرض له خاصة من قبل دُبَيْس بن صدقة والي الحلة⁽²⁾.

وثق الخليفة هذا الاتفاق عند السلطان سنجر؛ فقد بعث إليه النقيب ابن طراد الزينبي بالخلع الأكرام، وطلب منه إبعاد دُبَيْس عن دار الخلافة، فأكرمه السلطان وأظهر الطاعة للخليفة ووعد بإبعاد دُبَيْس عن بغداد⁽³⁾، وفي سنة 522هـ/1129م قدم إلى بغداد مبعوث السلطان سنجر يسأل الخطبة له على منابرها، فكان له ما أراد⁽⁴⁾.

التزم الطرفان بما أُنْفِق عليه فالخليفة توقف عن تكوين الجيش، والسلطنة السلجوقية ممثلة بالسلطان محمود والسلطان سنجر حاولت حماية بغداد من خطر دُبَيْس بن صدقة، فقد وصلت أخبار في سنة 522هـ/1129م بتوجه دُبَيْس واستعداده لمهاجمة بغداد، فأزعج الخليفة وأهل بغداد من ذلك، وبعث الخليفة إلى السلطان محمود مطالباً إياه القيام بواجبه في حماية بغداد ويذكره ما اتفقا عليه فقال له: إنك إن لم تمنعه - ويعني بذلك دُبَيْس - من المجيء، وإلا احتجنا، أن نخرج إليه، وينقض العهد الذي بيننا وبينك" فمنع السلطان محمود دُبَيْس من مهاجمة دار الخلافة⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج-17، ص 241-242؛ زيار، حامد زيان غانم، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1983م، ص 27، سيشار إليه تالياً، زيار، الصراع.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج-17، ص 205، 253، 263.

(3) المصدر نفسه، ج-17، ص 244؛ ابن كثير، البداية، ج-11، ص 244؛ العزام، الوزارة، ص 158.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج-17، ص 250؛ ابن كثير، البداية، ج-11، ص 245.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج-9، ص 249-250.

كما أن السلطان سنجر قد بعث من يحمي بغداد حين سمع بنية دُبَيْس في مهاجمتها سنة 523هـ/1130م وهزم دُبَيْس وتاه في الصحراء حتى وقع في أسر طغتكين صاحب دمشق سنة 525هـ/1131م⁽¹⁾.

لم يدم هذا الحال طويلاً إذ استطاع الخليفة تخلص نفسه مما أُتفق عليه مستغلاً انشغال السلطان في القضاء على تمرد أخيه مسعود سنة 525هـ/1131م وخشية الخليفة من أن يستغل دُبَيْس هذا ويقوم بمهاجمة بغداد فأحل السلطان الخليفة مما أُتفقا عليه بينهما سنة 521هـ/1128م، فكان للخليفة ما أراد، وعاد إلى تكوين الجيش وأُعتبر ما أُتفق عليه بينهما منتهياً⁽²⁾، واستغل الخليفة كذلك انشغال السلاجقة في حروبهم الداخلية⁽³⁾، حول من يخلف السلطان محمود بعد وفاته سنة 525هـ/1131م، فأعاد العمل بديوان العرض وكون جيشاً خاصاً به، واستولى على جميع ما كان للأتراك بالعراق، وسير قائده إقبال المعروف بجمال الدولة إلى الحلة وأمره على بابل وضم إليه عشرة آلاف فارس من العرب والترك والأكراد وطوقه ولقبه حسام الدين سلطان الأكراد وملك العرب، كما جاءت العساكر من الشام وديار ربيعة⁽⁴⁾.

وفي سنة 526هـ/1132م تحالف الخليفة مع مسعود بن محمد وأخيه سلجوق شاة ضد عمهم السلطان سنجر وأخيه السلطان طغرل بن محمد فأرسل السلطان سنجر كل من دُبَيْس وصاحب الموصل عماد الدين زنكي لمهاجمة بغداد، فاستعدَّ الخليفة للقتال، وقاد جيشاً يتكون من ألفي فارس، واستطاع صد الهجوم وهزيمة المهاجمين، وقتل عدداً كبيراً من جنودهما⁽⁵⁾ وعزم الخليفة على معاقبة عماد الدين

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص249-258.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص263-264.

(3) EI², Saldjukids, VIII 943

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص217.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص271؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص265؛ أبو الفداء،

المختصر، ج2، ص69؛ ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت926هـ/1521م)، =

زنكي والي الموصل على أفعاله، وضم الموصل إلى أملاك الخلافة، ففي عام 527هـ/1133م قاد الخليفة جيشه لمهاجمة الموصل وحصارها، وقد تباينت روايات المصادر في تحديد حجم جيش الخليفة، فذكر ابن الأثير، وابن واصل، وابن العبري وابن خلدون أن الخليفة سار إلى الموصل ومعه ثلاثين ألف مقاتل⁽¹⁾، أما ابن الجوزي فقال أن المُستترشد قد زحف إلى الموصل ومعه نيفاً وثلاثين ألف راجل واثنان عشر ألف فارس⁽²⁾، في حين ذكر الياضي أن عدد جيش الخليفة اثنا عشر ألفاً⁽³⁾، ويبدو أن جيش الخليفة كان كبيراً، وأنه كان يزداد كلما تقدم شمالاً بسبب انضمام أعداد كبيرة من المتطوعين وأمرأء المناطق إليه⁽⁴⁾، وفرض الخليفة حصاراً شديداً على الموصل استمر ثمانين يوماً، لكنه لم يستطع دخولها لبراعة عماد الدين زنكي ونائبه فيها في الدفاع عنها، واضطر الخليفة إلى الرحيل عنها بعد وصول أخبار مفادها أن السلطان مسعود يستعد لمهاجمة بغداد وعزل الخليفة بالتحالف مع دُبَيْس بن صدقة⁽⁵⁾، ورغم أن الخليفة لم يستطع تحقيق هدفه في ضم الموصل إلا أنه استطاع إظهار قوته وقدرته على معاقبة من يقف ضده وأنه أصبح قوة لا يستهان بها، كما أجبر عماد الدين زنكي على طاعته والتحالف معه⁽⁶⁾.

صدق الأخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار جروس برس، طرابلس الشرق 1993م، ج1، ص52، سيشار إليه تالياً ابن سباط، تاريخ.

(1) ابن الأثير، التاريخ، ص 47؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص270؛ ابن واصل، مفرج،

ج1، ص52؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204؛ ابن خلدون،

العبر، ج6، ص1050؛ خليل، عماد الدين، عماد الدين زنكي، ط2، مؤسسة الرسالة،

بيروت 1982م، ص55، سيشار إليه تالياً: خليل، عماد الدين

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص266.

(3) الياضي، مرآة، ج3، ص192.

(4) خليل، عماد الدين، ص55.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص267؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص270.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص282؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص276؛ خليل،

عماد الدين، ص56؛ ردايده، جيش، ص43.

وأظهر الخليفة اهتمامه بجيشه الخاص، والذي يدين بالولاء له دون غيره، ويأتمر بأمره، فقد استعرضه في يوم عيد الفطر سنة 528هـ/1134م، وكان تعداده خمسة عشر ألف فارس مسلحين بكافة أنواع الأسلحة المعروفة في ذلك الوقت، وظهر في أبهى حلة وحضر هذا الاستعراض كافة أرباب الدولة العباسية⁽¹⁾، وخلع على قائده إقبال الخادم خلع الملوك، ولقبه ملك العرب سيف الدولة وكتب بذلك منشوراً⁽²⁾ كما لفت هذا الجيش أنظار الشعراء إليه فنظموا فيه القصائد الطوال التي تتحدث عن عظمته وقوته وأسلحته وتضحياته، وتمدح قائده الخليفة المُسترشد بالله، فهذا الشاعر حيص بيص يصفه بقصيدة طويلة منها قوله:

وعرمرم كاليم هيج بعاصف	شَرَقْتُ بِفَضْلِ عُبَابِهِ الْبَيْدَاءُ
نسج الفلا والصبح ركضُ جِيادِهِ	فَالْأَرْضُ جَوْ وَالصَّبَاحُ عِشَاءُ
طردت فوارسُهُ وما لاح العِدا	حِرْصاً فَكُلُّ كَتِيْبَةٍ دَفْـوَاءُ
تدنو له عنق القشاعم مثلمـا	تَحْتَفُّ بِالْمُتَصَدِّقِ الْفُقَرَاءُ
تجري مُسَابَقَةُ السِيُوفِ فَرَبْمَا	نَسَرَتْ وَضَرْبُهُ طَائِحِ رَعْلَاءُ
والخيلُ تَقْتَحِمُ الْغَبَارَ كَأَنَّهَا	نَبْلُ الْجَفِيرِ وَقَدْ أُجِيدَ رَمَاءُ
نزجي سنبكها سحاباً قطره	منها مسيحٌ هاطلٌ ودماءُ ⁽³⁾ .

كما أن السلطنة السلجوقية تخوفت من هذا الجيش فسعى السلطان مسعود إلى عزل الخليفة ومبايعة أخيه المقتفي⁽⁴⁾، مما دعا المُسترشد إلى التفكير في الخروج إليه وتأديبه، وقد شجعه على ذلك قدوم عدد من الأمراء الأتراك، ومناصرتهم له، وحثه على محاربتهم؛ فخرج الخليفة المُسترشد على رأس جيشه المكون من سبعة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص147؛ الذهبي، سير، جـ19، ص568.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص282.

(3) حيص بيص، ديوان، جـ3، ص28-29.

(4) البنداري، تاريخ، ص161؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293؛ الحسيني، أخبار، ص107.

ألاف فارس، وأبقى في عاصمته بغداد ثلاثة ألاف مع قائده إقبال الخادم⁽¹⁾، وكان جيش الخليفة يفوق جيش السلطان مسعود، لكن الأمراء الأتراك مالوا إلى جانب السلطان مسعود فهزِمَ جيش الخليفة وأسر الخليفة، وتم الصلح بين الطرفين، وتعهد الخليفة بعدم العودة إلى جمع العساكر وتدوينهم، وأن لا يتدخل في حرب أو فتنة تقع⁽²⁾.

6.2: القضاء:

اهتمت الدولة العباسية بالقضاء والقضاة، فقد كان الخلفاء أنفسهم يعينون القضاة ويشرفون عليهم بشكل مباشر، واستمر ذلك في خلافة الخليفة المُستترشد، الذي أظهر اهتماماً واضحاً بهذا الجهاز لما له من دور كبير في حماية المجتمع. أبقى المُستترشد عند توليه الخلافة قاضي القضاة أبا الحسن علي بن محمد الدَّامغاني⁽³⁾ على منصبه، وتولى الدَّامغاني أخذ البيعة للمُستترشد بصفته قاضي القضاء ونائب الوزير⁽⁴⁾، وعُرفَ عن هذا القاضي معرفته بالقضاء والفقهاء؛ إذ

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 294؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 281-282؛ إقبال، تاريخ، ص 298؛ السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132-656هـ/749-1258م)، جامعة الموصل، الموصل 1988م، ص 292، سيشار إليه تالياً السامرائي.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 283؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 204.

(3) هو علي بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي، أبو القاسم الأكمَل، ولد سنة 470هـ/1078م، وسمع من علماء عصره، كان قريباً من الخليفة المُستترشد، وولاه قاضي القضاة سنة 513هـ/1120م وبقي كذلك حتى وفاة المُستترشد سنة 529هـ/1135م، وبعد مقتل المُستترشد كان مؤيداً لخلع الراشد، وباع المقتفي الذي أعاده إلى منصبه وبقي يتولاه حتى وفاته سنة 543هـ انظر ابن الجوزي، المنتظم، جـ 18، ص 68-69؛ ابن تغري بردي، يوسف (ت 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة جـ 5، ص 282. سيشار إليه تالياً ابن تغري بردي، النجوم .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 81؛ الكازروني، المختصر، 223؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 81-82.

تولى القضاء لمدة تزيد على ستة عشر عاماً⁽¹⁾، وفي خلافة المُسْتَرْشِد بقي قاضي للقضاة حتى وفاته سنة 513هـ/1120⁽²⁾ وعيّن المُسْتَرْشِد بعده أبا القاسم علي بن الحسين الزينبي (ت543هـ/1149هـ)⁽³⁾، ولقبه فخر الدين، وجعله قاضي القضاة شرقاً وغرباً⁽⁴⁾، وكان الزينبي قريباً من الخليفة، فكان في من أشرف على تسليم الأمير أبي الحسن علي بعد القضاء على حركته سنة 513هـ/1112م⁽⁵⁾، وشارك في حروب المُسْتَرْشِد ضد السلاجقة، فكان معه في حربه ضد السلطان مسعود سنة 529هـ/1135م وأسر في من أسر مع الخليفة⁽⁶⁾، وكان قاضي القضاة يشرف على الأوقاف؛ ففي سنة 523هـ/1130م، أوكل إليه الإشراف على أوقاف مدرسة أبي حنيفة ببغداد، والتي كانت تغل كل سنة ثمانين ألف دينار، ينفق على المدرسة ألف دينار، ويرسل الباقي إلى السلطان⁽⁷⁾.

انحصر دور الخليفة العباسي في ظل السيطرة السلجوقية على تعيين قضاة بغداد والمناطق التابعة لها، أما قضاة الولايات والمدن الأخرى فكان يعينهم السلطان السلجوقي ونوابه فيها؛ فقد ذكر ابن الجوزي أن السلطان محمود قد خلع على قاضي القضاة أبي سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي (ت518هـ)، ونفذ أمره في

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص81-82.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص175-179؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص189؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص81-82؛ الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/) الإشارة إلى وفيات الأعيان، تحقيق إبراهيم صالح، ط1، دار ابن الأثير، بيروت (د.ت)، ص261، سيشار إليه تالياً، الذهبي، الإشارة؛ القرشي، الجواهر، ج1، ص373-374.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص171؛ الكازروني، المختصر، 223؛ الذهبي، سير، ج19، ص566؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص229.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص210.

(5) المصدر نفسه، ص210.

(6) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ 2؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص293-294؛ ابن الأثير، التاريخ، ص49-50؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص282؛ القلانسي، ذيل، ص237-238؛ الكازروني، المختصر، ص221.

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص13.

القضاء بجميع الممالك سوى العراق مراعاة لقاضي القضاة أبي القاسم الزينبي لما يعلم من ميل المُستَرشد إليه (1).

ويمكن إجمال القضاة الذين تولّوا قضاء بغداد والمناطق التابعة لها في خلافة المُستَرشد كما في الجدول الآتي:

قضاة بغداد والمناطق التابعة لها في خلافة المُستَرشد

القاضي	المنطقة التي	المصدر
--------	--------------	--------

تولاها

الحسن بن إبراهيم عزل عن ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص172؛	قضاء واسط	بط ا ب ن
---	-----------	----------

سنة الجوزي، امرأة، ق1، ج8، ص78-79

513هـ/1119

م

علي بن أحمد البخاري	تولى قضاء ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص172؛	واسط سنة	بط ا ب ن
---------------------	---	----------	----------

513هـ الجوزي، امرأة، ق1، ج8، ص78-79.

إبراهيم بن محمد نائب قاضي	ابن الجوزي،	الهيئة (ت537هـ)	القضاة ببغداد	المنتظم، ج17، ص197، ج18، ص28
---------------------------	-------------	-----------------	---------------	------------------------------

عبدالله بن محمد بن بغداد ابن الجوزي،

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص193؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (501-

520هـ)، ص286-287، وهو القاضي محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي،

تفقه على علماء عصره، قال عنه سبط ابن الجوزي: كان له اليد الباسطة في النشر

والنظم، حديد خاطر، سريع الفهم، تولى قاضي القضاة في الدولة السلجوقية، قتلته الباطنية

سنة 518هـ وهو في طريق عودته إلى بغداد من خراسان حاملاً معه جواب السلطان

سنجر على رسالة الخليفة المُستَرشد. نظر القلانسي، ذيل، ص210؛ ابن سبط ابن

الجوزي، امرأة، ق1، ج8، ص515؛ ابن قضي شعبة، الكواكب، ص91.

البيضاوي (ت537هـ) المنتظم، ج17، ص204، ج18، ص29

أبو الفرج قضاء باب ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص218.

الأزج ببغداد

عبدالله بن محمد بن قضاء ربع ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص226.

علي الكرخ ببغداد

الذامغاني (ت518هـ)

ابن يعيش باب الأزج ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص276.

بغداد والنظر

في الوقوف

والتركات

والترب

أحمد بن سلامة بن باب الحريم ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص277،

عبدالله الرطبي والحسبة ببغداد ابن الأثير، الكامل، ج9، ص272.

الكرخي (ت527هـ)

محمد بن الحسن بن قضاء بعقوبا ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص227.

كردي (ت518هـ)

فضل الله بن محمد بن قاضي العراق ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص7.

عبد العزيز (ت534هـ)

أحمد بن علي بن محمد الجانب الغربي ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص45-

الذامغاني (ت540هـ) وباب الأزج 46.

ببغداد

محمد بن احمد بن محمد باب الأزج، ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص249،

الكرخي (ت556هـ) وواسط، ج18، ص151.

وقضاء الحريم

زمن المستظهر
والمُسْتَرَشِد،
والراشد
والمقتفي

بالإضافة إلى أعمالهم الاعتيادية في القضاء، تولى القضاة زمن المُسْتَرَشِد تنفيذ مهام سياسية، ومن ذلك أن الخليفة أرسل القاضي أبا منصور إبراهيم الهيتي نائب قاضي القضاة إلى السلطان محمود سنة 515هـ/1122م يطلب منه إبعاد دُبَيْس بن صدقة عن بغداد⁽¹⁾، وأرسل القاضي أبا العباس ابن الرطبي سنة 516هـ/1123م لمعرفة أحوال المناطق التي تعرضت لفيضانات نهر دجلة في بغداد وتقدير ما تحتاجه من مساعدات⁽²⁾، كما أمر الخليفة القاضي أبا الفرج قاضي باب الأزج بجمع الأموال التي تلزم لبناء سور بغداد سنة 517هـ/1124م إلا أن الناس ضجوا من هذا الإجراء فأعاد الخليفة الأموال إلى أصحابها⁽³⁾، وفي سنة 519هـ/1126م حمل القاضي أبو سعد محمد الهروي رسالة من الخليفة إلى السلطان سنجر⁽⁴⁾ كما كان القاضي محمد بن أحمد الكرخي هو من حكم بفسخ ولاية الراشد سنة 530هـ/1136م⁽⁵⁾.

7.2: نقابات الأشراف

اعتباراً من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ظهرت في الدولة العباسية مؤسسات اجتماعية إدارية خاصة بالأشراف من بني هاشم، تولت صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافؤهم في النسب⁽⁶⁾ عرفت هذه المؤسسات

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 197.

(2) المصدر نفسه، جـ 17، ص 203.

(3) المصدر نفسه، جـ 17، ص 217-218.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 234.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 312.

(6) عقلة، الخلافة، ص 135-136.

باسم نقابة الأشراف، لكنها ومع مرور الزمن انقسمت هذه النقابة إلى نقابتين الأولى للعباسيين والثانية للعلويين .

1.7.2- نقابة العباسيين

يرأسها نقيب يسمى نقيب العباسيين ونقيب الهاشميين ونقيب النقباء⁽¹⁾، ومن مهامه الإشراف على سيرة الأشراف العباسيين، والتأكد من حسن سيرتهم وسمعتهم، وهو المسؤول عن إيقاع العقاب على من انحرف منهم عن جادة الصواب وإقامة الحدود على منتهكي الحدود من العباسيين وحماية أنسابهم وحفظ سجلات خاصة بهم خوفاً من محاولات الادعاء الانتساب إلى هذا النسب لما له من ميزات اجتماعية واقتصادية⁽²⁾

تولى نقابة العباسيين في خلافة المُستَرشد علي بن طراد بن محمد بن علي الزينبي، والذي خلع عليه المُستَرشد ولقبه الرضا ذا الفخرين، وبقي يترأسها إلى أن استوزره المُستَرشد سنة 523هـ/1130م، فتولاها بعده أخوه أبو الحسن محمد بن طراد الزينبي⁽³⁾، واستمر يترأسها حتى وفاته سنة 541هـ/1147م⁽⁴⁾.

كان نقيب العباسيين علي بن طراد من الشخصيات الهامة في حكومة المُستَرشد ففي بداية خلافته ناب في الوزارة ولفترات طويلة وأثناءها، فأرسله الخليفة إلى السلاطين والولاة⁽⁵⁾ ففي سنة 516هـ/1123م طُلب المُستَرشد من النقيب ابن طراد استدعاء الوزير أبو نصر أحمد بن نظام الملك إلى مقام الخليفة حيث خلع عليه بالوزارة⁽⁶⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص166.

(2) عقلة، الخلافة، ص136-137.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250؛ الذهبي، سير، جـ20، ص149-151.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ18، ص53.

(5) انظر نائب الوزير سابقاً

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206.

2.7.2- نقابة الطالبين

يرأسها شخص يعرف بنقيب الطالبين والعلويين يُعَيَّن بعهد من الخليفة يحدّد فيه مهامه واختصاصاته⁽¹⁾، تشعبت مهام نقابة العباسيين إلى حد بعيد وتتمثل في الإشراف على نسب الطالبين، والتأكد من حسن سيرتهم وسمعتهم، ومعاقبة من ينحرف منهم عن جادة الصواب وإقامة الحدود وحماية أنسابهم والإشراف على زيجاتهم وغير ذلك من شؤونهم⁽²⁾ وتولى هذه النقابة في خلافة المُسْتَرْشِد النقيب الطاهر أبو عبدالله بن عبيدالله⁽³⁾.

(1) عقلة، الخلافة، ص 138.

(2) المرجع نفسه، ص 138-139.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 18، ص 120.

الفصل الثالث

المُسْتَرَشِد والسلاجقة (512-529هـ/1119-1135م)

1.3 : نشأة السلاجقة وعلاقتهم بالخلافة العباسية حتى سنة 447هـ/1056م

ترجع قبيلة السلاجقة⁽¹⁾ في أصولها العرقية إلى قبائل الغز التركمانية التي كانت تقطن مناطق تركستان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي،⁽²⁾ وينسب السلاجقة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن يقاق، ويقاق هذا كان أحد أمراء ملك تركستان بېغو⁽³⁾، وهو أول من اعتنق الإسلام من السلاجقة. وبعد وفاته تولى ابنه سلجوق قيادة قبائل الغز، والذي بلغ مرتبة إمارة الجيش في عهد الملك بېغو، ولقب ببوساشي (قائد الجيش). هاجرت قبائل الغز من موطنها الأصلي في تركستان إلى بلاد ما وراء النهر بسبب كثرة أعدادها، وازدحام مناطق سكنها الأصلية، وضيق مراعيها، وحدث نزاع بين الملك بېغو وقائدها سلجوق⁽⁴⁾. وقادت قبيلة السلاجقة هجرات قبائل الغز التركية، وسكنت مناطق نور بخارا⁽⁵⁾ في بلاد ما وراء النهر، التابعة آنذاك للدولة السامانية.

EI², Saldjukids, VIII pp 936-979

(1) عن السلاجقة أنظر:

Holt, P.M, and others

The Cambridge History of Islam, Cambridge university press

London 1970, pp 141-149

(2) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 87؛ الحسيني، العراضة، ص 20؛ إقبال، تاريخ، ص 277.

(3) الحسيني، أخبار، ص 1-2؛ ابن خلكان، وفيات، ج 5، ص 64.

(4) الرواندي، راحة، ص 145، الحسيني، أخبار، ص 2، الحسيني، زبدة، ص 23؛ ابن خلكان، وفيات، ج 4، ص 63-64؛ المقرئ، أحمد بن علي (ت 845هـ) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط 2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1956م، ج 1، ق 1، ص 30-31، سيشار إليه تالياً: المقرئ، السلوك.

(5) أحدى قرى مدينة بخارى عند جبل مرتفع، انظر الحموي، ياقوت بن عبد الله (622هـ/1226م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1979، ج 5، ص 310، سيشار إليه تالياً: الحموي، معجم البلدان

سمح السامانيون لقبائل الغز الإقامة في دولتهم نظراً للتقارب المذهبي بينهم باعتبارهم مسلمين من أهل السنة، ولتعهدهم بمساعدتهم في الدفاع عن أرضهم ضد غارات القبائل التركية الوثنية⁽¹⁾. واعتباراً من سنة 375هـ/985م بدأت هذه القبائل استيطانها المنظم في موطنها الجديد، فسكنت في البداية مدينة جند⁽²⁾ على مقربة من نهر سيحون، لكنهم تركوها وهاجروا إلى مدينة بخارا؛ لخصوبة أراضيها، ومراعيها الواسعة، المناسبة لظروف معيشتهم لاعتمادهم على الزراعة والرعي⁽³⁾.

تولى الأمير أرسلان بيغو (إسرائيل) بن سلجوق زعامة السلاجقة بعد وفاة والده سلجوق، وسار على نهجه في محاربة القبائل التركية الوثنية بالتحالف مع السامانيين، وفي عهده بدأ احتكاك قبيلة السلاجقة مع الدولة الغزنوية، إذ تمكن السلطان محمود الغزنوي (389-421هـ/999-1031م) من خديعة إسرائيل وأسرته وحبسه في قلعة كالنجر في الهند، لبقى فيها حتى وفاته سنة 422هـ/1032م⁽⁴⁾ فانتقلت زعامة السلاجقة إلى أخيه ميكائيل، وبعده إلى ولديه طغرل بك وجفري بك داود⁽⁵⁾ وبخاصة الأمير طغرل بك⁽⁶⁾، والذي لم يظهر عداؤه للغزنويين، وإنما طلب منهم السماح لقبائل الغز بالعبور إلى خراسان والاستيطان فيها بحجة أن بلادهم لم

(1) الحسيني، أخبار، ص2؛ الحسيني، العراضة، ص31-32.

(2) اسم مدينة في بلاد تركستان بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء نهر

سيحون، انظر الخموي، معجم البلدان، ج2، ص169.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص174؛ الرواندي، راحة، ص145-146؛ الحسيني، أخبار،

ص2؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص64؛ الحسيني، العراضة، ص20؛ الجميلي، تاريخ،

ص29.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص174؛ الحسيني، أخبار، ص2، الرواندي، راحة، ص146.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص174؛ الحسيني، زبدة، ص35-36؛ الرواندي، راحة، ص

153-154؛ 20؛ المقرئ، السلوك، ج1، ق1، ص31.

(6) الحسيني، أخبار، ص4؛ الجميلي، تاريخ، ص31.

تعد تتسع لمواشيهم فأذن لهم⁽¹⁾ فهاجروا إليها واستطاعوا تثبيت وجودهم فيها مستغلين وفاة السلطان محمود الغزنوي سنة 421هـ/1031م وانشغال خليفته السلطان مسعود الغزنوي(421-433هـ/1031-1041م) في حروبه مع شقيقه محمد، وتراخي قبضة الدولة الغزنوية على مناطق خراسان⁽²⁾.

أدركت الدولة الغزنوية خطورة وجود قبائل الغز وسيطرتهم على خراسان، فسعت إلى القضاء عليهم، إذ أرسل السلطان مسعود(421-433هـ/1030-1041م) جيشه لمعاونة حاكم خراسان في محاربتهم، والتحم الجيش الغزنوي مع قبائل الغز في سنة 425هـ/1034م في معركة كبيرة، انتصرت فيها قبائل الغز، فاضطر السلطان مسعود إلى عقد صلح معهم، منح بموجبيه ولاية دهستان⁽³⁾ إلى الأمير جفري بك، ولاية فراوة⁽⁴⁾، إلى الأمير بيغو، ولاية نسا⁽⁵⁾ إلى الأمير طغرلبك⁽⁶⁾.

وتجدد الصراع بين الطرفين بعد عودة السلطان مسعود من حروبه في الهند، وتبادل الطرفان النصر والهزيمة في الفترة (425-429هـ/1034-1038م) لتنتهي هذه المرحلة بهزيمة ساحقة مني بها الغزنويون على يد قبائل الغز بزعامة السلاجقة في معركة داندنقان سنة 429هـ/1038م، سيطرت على أثرها قبائل الغز

(1) الحسيني، أخبار، ص 3؛ الراوندي، راحة، ص 153-154؛ ابن خلكان وفيات، ج 5، ص 63.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 188-190؛ الحسيني، أخبار، ص 3؛ الراوندي، راحة، ص 154-155. ابن خلكان، وفيات، ج 5، ص 65.

(3) بلد مشهور في طرف مازندارن قرب خوارزم وجرجان، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 492.

(4) بليدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 245.

(5) مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان بينها وبين مرو خمسة أيام، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 169.

(6) الحسيني، أخبار، ص 5؛ الراوندي، راحة، ص 156.

على خراسان وعاصمتها نيسابور⁽¹⁾، وأعلن السلطان طغرلبيك نفسه حاكماً عليها وخطب باسمه⁽²⁾، وتعد سنة 429هـ/1038م البداية الفعلية للدولة السلجوقية فقد خطب لجفري بك داود في مدينة مرو⁽³⁾، في أول جمعة من شهر رجب سنة 428هـ/1037م. وخطب لطغرلبيك في مدينة نيسابور في شهر ذي القعدة سنة 429هـ/1038م، وضربت النقود باسمه في البلاد التي أتم السلاجقة السيطرة عليها⁽⁴⁾.

أخذت الدولة السلجوقية في التوسع والسيطرة على المناطق المجاورة لخراسان، واعتمد السلاجقة في حكمهم للبلاد المفتوحة على أفراد البيت السلجوقي، بهدف ترسيخ نفوذ عائلتهم في مواجهة الجماعات الغزنوية والتركمانية الأخرى⁽⁵⁾، وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون بينهم وتجنب النزاع على السلطة، واعتبار السلطان طغرلبيك (429-455هـ/1038-1064م) قائدهم الأعلى. قام السلطان طغرلبيك على أثر ذلك بتقسيم البلاد بين أفراد البيت السلجوقي، وترك لكل منهم السلطة الكاملة على ما بيده من بلاد وما يفتح من البلاد المجاورة، فولى أخاه جفري بك داود معظم مناطق خراسان، الذي اتخذ مدينة مرو عاصمة له، وولى عمه موسى بيغو ولايتي بست⁽⁶⁾

(1) مدينة عظيمة ما بين جيحون والقادسية وبينها وبين الري مائة وستون فرسخاً ، انظر الحموي، معجم البلدان، ج5، ص331.

(2) الفارقي، تاريخ، ص159؛ البنداري، تاريخ، ص6؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص66.

(3) من مدن خراسان وقصبتها، انظر الحموي، معجم البلدان، ج5، ص115.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص226-227؛ الحسيني، أخبار، ص7-9؛ ابن خلكان، الوفيات، ج5، ص66؛ البنداري، تاريخ، ص7-9؛ الحسيني، العراضة، ص32-34؛ الياضي، عبد الله بن أسعد (ت768هـ/1367م) مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م، ج3، ص59 سيشار إليه تالياً، الياضي، مرآة؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص32؛ .

(5) الحسيني، أخبار، ص7-9.

(6) مدينة تقع بين سجستان وهرات ، انظر الحموي، معجم البلدان، ج1، ص414-415.

وهرات⁽¹⁾ ومنطقة سجستان⁽²⁾، ومنح قتلش بن إسرائيل جرجان⁽³⁾ والدماغاني، وولى شقيقه من أمه إبراهيم ينال مناطق قهستان وجرجان، وركز السلطان طغرل بك جهوده في فتح مناطق العراق أرمينية وأذربيجان والموصل وغيرها من مناطق الدولة العباسية⁽⁴⁾.

توالت فتوحات السلاجقة وانتصاراتهم، فاستولى طغرل بك على طبرستان سنة 433هـ/1041م⁽⁵⁾، وضم خوارزم والري واتخذ الأخيرة عاصمة له سنة 434هـ/1042م⁽⁶⁾ واستولى على بلاد فارس سنة 435هـ/1044م⁽⁷⁾، وسيطر إبراهيم ينال على همدان سنة 437هـ/1046م⁽⁸⁾ وفي سنة 443هـ/1052م. استولى طغرل بك على أصفهان بعد هزيمة صاحبها أبي منصور علاء الدولة بن كاكويه مُنهيًا بذلك حكم أسرة آل كاكويه الفارسية لهمدان وأصفهان⁽⁹⁾.

وجه السلاجقة جهودهم بعد ذلك للقضاء على البويهيين، فسار السلطان طغرل بك إلى أذربيجان وقصد مدينة تبريز، وأطاعه صاحبها الأمير أبو منصور

(1) هرات أو هراة مدينة عظيمة من أمهات المدن بخراسان: انظر الحموي، معجم البلدان، ج5، ص396-397.

(2) ناحية كبيرة وولاية واسعة بينها وبين هرات عشرة أيام، أو ثمانون فرسخاً، انظر الحموي، معجم البلدان، ج3، ص190.

(3) مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، انظر الحموي، معجم البلدان، ج2، ص119.

(4) الحسيني، أخبار، ص17؛ البنداري، تاريخ، ص8-9؛ الراوندي، راحة، ص167-168؛ الحسيني، العراضة، ص37.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص274؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص250.

(6) الفارقي، تاريخ، ص155؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص286؛ إقبال، تاريخ، ص231.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص266.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ص302؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص270.

(9) الفارقي، تاريخ، ص155؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص293؛ ابن حمدون، التذكرة، ص149؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص184-185؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص64. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

وخطب له على منابرها سنة 446هـ/1054م وخطب له في الأنبار بالعراق واستولى الأمير السلجوقي إبراهيم بن اسحق على مدينة الدسكرة في سنة 447هـ/1056م وضمّ مناطق خوزستان⁽¹⁾.

استطاعت السلطنة السلجوقية بعد الإعلان عن تأسيسها سنة 429هـ/1038م الاستيلاء على جميع البلاد الإيرانية، والمجاورة لمناطق الخلافة العباسية التي كانت في ذلك الوقت تعيش حالة من الضعف في عهد الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/1032-1075م)⁽²⁾. ولم يكن نفوذ القائم والذي يفترض أنه يشمل الكيانات السياسية في كل دار الإسلام في واقعه إلا نفوذاً شكلياً اقتصر على دار الخلافة ببغداد، وكانت أموره جميعها بيد أحد غلمان بهاء الدولة الديلمي، وهو أبو الحارث ارسلان البساسيري رئيس الجند الأتراك، إذ لم يكن الخليفة القائم يقطع أمراً دونه، وتراجع نفوذ الخليفة في مقابل نفوذ البساسيري وجنوده⁽³⁾.

لذا كانت الدولة العباسية بحاجة ماسة إلى قوة إسلامية جديدة تعتمد عليها في إعادة هيكلة الخلافة، فبادرت إلى الاتصال بالسلاجقة، بعد انتصارهم في معركة داندنقان سنة 429هـ/1038م ودخولهم مدينة نيسابور، فقد أرسل إليهم الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) رسالة يأمرهم فيها ويخوفهم ويذكرهم بالله، ويحملهم على رعاية عبادته، وعمارته بلاده⁽⁴⁾، وفي الوقت نفسه كان السلاجقة

(1) ابن العبراني، الإنباء، ص188؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص344؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص316-319؛ إقبال، تاريخ، ص 234-236؛ الجالودي، تطور، ص31.

(2) البغدادي، تاريخ، ج9، ص399؛ الكازروني، مختصر، ص203-210؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص199؛ القرمانلي، أخبار، ص171-173.

(3) الكازروني، مختصر؛ ص205؛. القلانسي، ذيل، ص 87؛ القرمانلي، أخبار، ص172؛ البساسيري: مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة، تقدم في الدولة العباسية حتى بلغ مرتبة قائد الجند الأتراك ببغداد، واسمه ارسلان وكنيته أبو الحرث وهو منسوب إلى مدينة نسا بلاد فارس، ابن لأثير، الكامل، ج8، ص347-348.

(4) البنداري، تاريخ، ص 7؛ الجالودي، تطور، ص32؛ وهبي، أدب سليمان محمود، مدينة الري، في العصر السلجوقي، (434-590هـ/1042-1193م) رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية 2004م، ص69، سيشار إليه تالياً وهبي، الري.

بحاجة إلى تكوين علاقة مع الخلافة العباسية والاتصال بها والذي عدّه السلاجقة بمثابة اعتراف رسمي من الخلافة بدولتهم الفتية، فقد رحبوا برسول الخليفة أبي بكر الطوسي، وخلعوا عليه ثلاث عشرة خلعة وتباهى السلاجقة برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة⁽¹⁾، واعتبر طغرل بك رسالة الخليفة اعترافاً به حاكماً على خراسان ورئيساً للسلاجقة، وأخذ يتقرب من الخليفة وأظهر نفسه حريصاً على مصالح المسلمين، فقد نهى شقيقه داود عن نهب مدينة نيسابور محتجاً برسالة الخليفة⁽²⁾.

جاء رد السلاجقة على رسالة الخليفة القائم سريعاً ومتعددًا، إذ أرسل السلطان طغرل بك رسالة باسمه أظهر فيها تبعيته للخلافة وسعيه لنيل رضى الخليفة عن أعماله بدأها بقوله: "عبدكم وتبعكم طغرل بك..."، وأرسل الأمير قزل بن يحيى زوج شقيقة طغرل بك كتاباً إلى الخليفة استهله بالقول: "عبدكم ووزيركم قزل بن يحيى..."⁽³⁾، وفي رسالة ثالثة والتي تبدو وكأنها صادرة باسم السلطنة السلجوقية برر فيها مرسلها قيام الدولة السلجوقية ومحاربة الغزنويين والتأكيد على تبعيتها للخلافة العباسية، وإظهار حرصها على إرضاء الخليفة عن طريق التمسك بأهداف الدين الإسلامي، وتنفيذ أوامره، وربط دفاعها بمبادئ الإسلام وعدله، والحديث عن مساوئ الغزنويين، وظلمهم للبلاد والعباد، وأحقية السلاجقة في حكم البلاد بدلاً منهم...⁽⁴⁾، "وأنهم لما وجدوا ابن يمين الدولة مائلاً عن الخير والسمو، مشغلاً بالشر والعتو، غاروا للمسلمين والبلاد، وهم عبيد أمير المؤمنين في حفظ البلاد

(1) البنداري، تاريخ، ص 7؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 90.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 186؛ البنداري، تاريخ، ص 7؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 90؛ بيات، فاضل مهدي، "علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية 429-447هـ/1038-1055م"، مجلة آداب المستنصرية، العدد التاسع 1984م، ص

258 سيشار إليه تالياً بيات، "علاقة"

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 90.

(4) الراوندي، راحة، ص 166-167.

والعباد، وقد سنّ سنة العدل، وأسّنوا سنا الفضل، وأبطلوا مراسم العسف وعطلوا مراسم مواسم الحيف⁽¹⁾.

استمر السلاجقة في إرسال الرسائل إلى الخلافة العباسية، وينفرد ابن العبري بإيراد رسالتين من هذه الرسائل كانت الأولى من إبراهيم ينال⁽²⁾، شقيق السلطان طغرلبيك، وأحد قادته إلى الخليفة القائم، مفادها أن السلطان طغرلبيك بعد أن انتهى من السيطرة على خراسان وخوارزم، قد عقد العزم على التوجه إلى بغداد بجيشه لتأمين طريق الحج مما يفعله البدو، وطلب من الخليفة ضرورة الاستعداد لاستقبال هذا الجيش⁽³⁾، وكانت الرسالة الثانية من السلطان طغرلبيك إلى الخليفة بعث بها سنة 435هـ/1044م يطلب فيها الحصول على أكثر مما كان يحصل عليه السلطانين محمود ومسعود الغزنويين من امتيازات وقال فيها: "إني خادم لإمام الدولة العربية وقد أذعتُ المناداة باسم الخليفة في البلاد التي ملكتها، وأنقذتُ الناس من مظالم السلطان محمود والسلطان مسعود اللذين سبقاني ولستُ أضعف منهما، فقد كانا من عبيد الخليفة، ثم استبدّا بالسلطنة، أما أنا فإني حر من عترة الملوك الهونيّين، فإذا عزّرتُموني مثلهما، أصبحتُ أفضل منهما بطاعتي وتقادمي"⁽⁴⁾. كما اهتم السلاجقة برسول الخليفة؛ إذ أظهر احتراماً كبيراً له ولقيه طغرلبيك على بعد أربعة فراسخ⁽⁵⁾ إجلالاً لرسالة الخليفة، وكان السلطان طغرلبيك يدرك ما

(1) البنداري، تاريخ، ص ص 7-8.

(2) هو شقيق السلطان طغرلبيك، كان ينافس السلطان طغرلبيك منذ أن تولى طغرلبيك زعامة السلاجقة سنة 429هـ/1038م، وثار عليه سنة 437هـ/1046م، فهزمه طغرلبيك، ثم عاد ينال، وأعلن تمرده على السلطان سنة 448هـ/1056م، فترك السلطان العراق وتوجه إلى همدان، وهزم ينال وقتله سنة 451هـ/1060م، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 341؛ الحسيني، أخبار، ص 22؛ الحسيني، العراضة، ص 44؛ الحسيني، زبدة، ص 64.

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 92.

(4) المصدر نفسه، ص 92.

(5) الفرسخ: يتألف من ثلاثة أميال، كل ميل 1000 باع، وكل باع أربعة أذرع شرعية، أي أن طول الفرسخ كان حوالي 6 كم، انظر هنتس، قالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما

قصده الخليفة من إرسال شخصية كبيرة كالماوردي سفيراً إليهم والذي عده دليلاً على الأهمية التي يعلقها الخليفة على العلاقة بين الطرفين⁽¹⁾.

على أن روايات المؤرخين قد تباينت حول رد الخليفة على رسائل السلاجقة فيذكر الراوندي: أن الخليفة أرسل هبة الله بن محمد المأمون إلى السلطان طغرلبيك، وأمره بالتقرب من السلطان حتى يحضره إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره، لكن هبة الله أقام عند السلطان ثلاث سنين لانشغال السلطان بفتح النواحي والولايات⁽²⁾، في حين ذكر ابن الأثير وابن خلكان والياضي أن الخليفة أرسل قاضي القضاة الماوردي⁽³⁾ إلى السلطان طغرلبيك سنة 435هـ/1044م قبيل وفاة جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ملك البويهيين ببغداد، وأمر الخليفة السلطان طغرلبيك أن يقرر الصلح بين الملك جلال الدولة وأبي كاليجار⁽⁴⁾، أما ابن العبري فيورد رسالة حملها الماوردي سنة 436هـ/1045م تبدو وكأنها ردٌ على رسالة طغرلبيك سألته الذكر -والتي انفرد ابن العبري بنشرها- وتضمنت رسالة الخليفة أربعة أمور يجب على طغرلبيك تنفيذها حتى يحصل على الاعتراف الرسمي من الخليفة والخلع، وهي:

1- أن أمير المؤمنين يقول لك: تكفيك أيها الأمير طغرلبيك ما احتلته من البلاد، فلا تطمعن بسائر بلاد ملوك العرب ولا تؤذنيهم.

يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية: كمال العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية، عمان(د، ت)، ص 94، سيشار إليه تالياً هنتس، المكابيل.

(1) بيات، علاقة، ص 262.

(2) الراوندي، راحة، ص 168-169.

(3) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري، كان من وجوه فقهاء الشافعية، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه، تولى القضاء ببلدان كثيرة، توفي سنة 450هـ/1059م، انظر: البغدادي، تاريخ، ج12، ص102؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص41؛ ابن خلكان، وفيات، ج3، ص282..

(4) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص266؛ ابن خلكان، وفيات، ج5، ص66؛ الياضي، مرآة، ج3، ص59.

2- أن تطيعنا وتحلف لنا شرعاً بأنك إن خالفت أمرنا لزمك أن تطلق نساءك وتعتق عبيدك وتزكي أموالك كلها.

3- أن تلزم العدل وتحجم عن الظلم، ولا تولّ الظلام شؤون أبناء الرعية.

4- أن تبعث كل سنة بجزية البلاد التي اغتصبتها كعادة من سبقك، فإذا نفذت ذلك عزّزناك بتحفٍ، وألقابٍ كريمةٍ، وأصبحت سلطنتك شرعية منزّهة عن الظلم والغدر.

ويضيف ابن العبري أن السلطان أجاب على هذا المطالب بالقول " إن جنودي كثيرون لا تكفيهم هذه البلاد، فقال السفير - الماوردي - لأنك خربتها، فلو ملكت الأرض كلها وأخربتها لما كفتك وكفت شعبك.

وقال مجيباً على الطلب الثاني: أن هذه النوع من الحلف يكاد يجهله العلماء فكيف يتيسّر لي التوقّي في تصرفاتي الأمور الزهيدة، فقال السفير: حسبك أن تعرب بكل قلبك عن طاعتك وتلزم العدل فلن تزلّ.

وعن الطلب الثالث قال: أنني أفرغ الجهد قدر طاقتي في أن ألزم العدل في حكمي، ولكن ما حيلتي إذا أذنب أحد الجياع الذين معي؟

وقال رداً على الطلب الرابع: أطلعني على مقدار الجزية، أدفعها إن تيسّر، ويعقب ابن العبري على رد السلطان طُغرُلبك بقوله: "على أن الحقيقة هي أن طُغرُلبك لم يقبل مسألة واحدة من المسائل الأربع" (1).

أفضت سفارة الماوردي إلى اعتراف الخلافة بالسلطنة السلجوقية كنظامنا سياسياً بالمشرق الإسلامي (2)، كما اطمأنّ الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) إلى طاعة السلطان طُغرُلبك (429-455هـ/1038-1064م) وتعظيمه لأوامره ووقوفه عندها؛ فكثف الخليفة اعتماده على طُغرُلبك وزالت شكوكه نحوه (3)، لكن الخطبة لم تتم لطُغرُلبك على منابر بغداد قبل سنة

(1) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 94-95.

(2) بيات، علاقة، ص 262.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص266.

447هـ/1055م⁽¹⁾ بالرغم مما ذكره الراوندي من أن الخليفة القائم أمر بالخطبة للسلطان طُغرُلبك على منابر بغداد سنة 437هـ/1046م وأن اسمه ينقش على السكة وأنه تلقب بالسلطان ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين⁽²⁾.

تراجعت العلاقة بين الطرفين في الفترة (436-442هـ/1045-1051م) إذ أن المصادر لم تشر إلى حدوث تبادل للرسائل في هذه الفترة، ولعل ذلك ناتج عن عدم التزام السلطان طُغرُلبك بما طلبه منه الخليفة القائم⁽³⁾ أو أن ذلك كان ناتج عن تأثير البويهيين على الخلافة العباسية، إذ رأى البويهيون في السلاجقة خطراً على دولتهم وبدأوا في التصدي لهم، فاستطاعوا التأثير على الخليفة القائم لمساندتهم في مواجهة السلاجقة، إذ أرسل الخليفة صاحب المردوستي⁽⁴⁾ للمشاركة في التصدي لحملة بويهية ضد لسلاجقة سنة 437هـ/1046م⁽⁵⁾ كما أن السلطان طُغرُلبك كان مشغولاً في فتوحاته وحروبه.

(1) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400؛ ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ الكازروني، مختصر، ص205؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322-323؛ الحسيني، أخبار، ص17؛ النويري، نهاية، جـ23، ص221؛ المقرئ، أحمد بن علي (845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد حلمي محمد، القاهرة 1971م، جـ2، ص233؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص339.

(2) الراوندي، راحة، ص169.

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص95؛ الراوندي، راحة، ص128-129؛ الياضي، مرآة، جـ3، ص33.

(4) هو الحسين بن علي المردوستي (ت478هـ/1085م)، خدم الدولة العباسية في زمن البويهيين وأدرك السلاجقة، وكان صاحب باب النوري. أنظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص243-244.

(5) ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت723هـ/1324م)، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، ق4، ج2، ص1136-1137، يشير إليه تالياً، ابن الفوطي، تلخيص.

على أن ذلك لم يدم ذلك طويلاً؛ إذ حاول السلطان طُغرُلبك الاتصال بالخلافة العباسية رغبة منه في الحصول على اعتراف رسمي منها به سلطاناً شرعياً للسلجقة، فيذكر ابن العبري أن السلطان طُغرُلبك سأل الخليفة في سنة 443هـ/1050م، أن يشرفه بالألقاب ملكية وفي هذه الأثناء كتب أهالي أصفهان للخليفة القائم يتوسلون إليه أن يطلب من السلطان طُغرُلبك فك الحصار عن مدينتهم، والذي دام تسعة أشهر، فرأى الخليفة أن يختبر صدق نوايا طُغرُلبك في تبعيته للخلافة، فأرسل إليه الماوردي مرة ثانية وحمله رسالة، نعت فيها طُغرُلبك بالملك الشرعي وملاذ المسلمين وركن الدين وسأله بشأن أهالي أصفهان وكان السلطان يتوقع مثل هذه النعوت منذ زمن؛ فأرسل إلى الخليفة يشكره لإنعامه عليه بالخلع والألقاب وأرسل إليه بعشرة آلاف دينارٍ باسم خزانته، وألفي دينار باسم حاشيته⁽¹⁾.

بدأت الخلافة العباسية التفكير جدياً في هذا الوقت في الارتباط بالدولة السلجوقية، واكتشف الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) تدريجياً قوة السلجقة، وخاصة بعد تغلبهم على الغزنويين وتأسيس دولتهم، فسعى إلى الارتباط بهم والإفادة من قوتهم الناشئة في إعادة هيبة الخلافة العباسية وتخليصها مما تعانيه من أخطار بويهية وفاطمية⁽²⁾، فقام بتوجيه دعوة للسلطان طُغرُلبك لزيارة بغداد حتى ينعم بالخلع والألقاب، لكن السلطان طُغرُلبك لم يتمكن من تلبية هذه الدعوة لانشغاله في تدعيم دولته، الأمر الذي جعل العلاقات بين الطرفين في الفترة (429-443هـ/1038-1052م) لا تتعدى السفراء والرسائل وتوثيق عرى التواصل بينهما حتى ساد جو من الوفاق بينهما⁽³⁾.

(1) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 97.

(2) البغدادي، تاريخ، ج 9، ص 400-401؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 300-302؛ المقرئ، السلوك، ج 1، ق 1، ص 20؛ أبو النصر، السلجقة، ص 54-60.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 15، ص 344-345؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 302-303؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 94-97، 95.

كان الخليفة القائم مضطراً إلى تقديم دعوة للسلطان طُغرُلبك للقدوم إلى بغداد سنة 447هـ/1056م إذ تراجعت قوة البويهيين وتراخت قبضتهم على العراق، وأيقن الخليفة أنهم لم يعودوا قادرين على حماية العراق، وضبط أموره، وأن دولتهم شارفت على نهايتها⁽¹⁾، خاصة بعد تزايد قوة البساسيري وإحكامه سيطرته على العراق، فغدا المتحكم بالعراق ولم يعد للخليفة والملك الرحيم إلا مجرد الاسم، كما قدّمه الخليفة على جميع القادة الأتراك: "لم يكن الخليفة يقطع أمراً دونه، ولا يحل ولا يعقد إلا عن رأيه"⁽²⁾، إضافة إلى تزايد خطره على الخلافة العباسية بعد أن وصلت إلى الخليفة أخباراً تحمل في ثناياها أن البساسيري يرسل الخليفة الفاطمي بمصر ويرغبه في تملك العراق وإنهاء الخلافة العباسية⁽³⁾، كما أن علو مكانة البساسيري أثارت حفيظة رجال الدولة العباسية وفي مقدمتهم وزير الخليفة رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن مسلمة (437-450هـ/1046-1059م)، والذي كان يتطلع للتحكم في أمور الدولة دون غيره، فعمل على التخلص من البساسيري بإفساد علاقته مع الخليفة فاتهمه بالاتصال بالفاطميين، وتشجيعهم على مد نفوذهم إلى العراق والمشرق الإسلامي⁽⁴⁾، ونجح ابن مسلمة في تحقيق مأربه، إذ أرسل الخليفة إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري عن بغداد، مما دفعه إلى الاتصال بالفاطميين، وجعل الخليفة يوجه دعوته إلى السلطان طُغرُلبك⁽⁵⁾.

(1) الفارقي، تاريخ، ص154؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط1، دار النفائس

للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1996م، ص239، سيشار إليه تالياً طقوش، تاريخ
(2) البغدادي، تاريخ، ج9، ص400؛ الفارقي، تاريخ، ص155-156؛ ابن الجوزي، المنتظم،

ج15، ص348؛ الحسيني، زبدة، ص59؛ المقرئ، ج2، ص232-233.

(3) الأربلي، خلاصة، ص265؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص156؛ المقرئ، السلوك، ج1،
ق1، ص154.

(4) ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص344؛ النويري، نهاية،
ج23، ص224.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص322؛ مرتضى، نظمى، كلشن خلفا، نقله إلى العربية، موسى
كاظم نورس، المجمع العلمي العراقي، بغداد (د.ت)، ص96-97. سيشار إليه تالياً

مرتضى، كلشن خلفا

ترك هذا الصراع السياسي بين رجال الدولة العباسية أثره السيئ على أحوال السكان في بغداد إذ شهدت في هذه الفترة انتشار الفتن المذهبية بين السنة والشيعة كما حدث في سنوات 441هـ/1050م⁽¹⁾، 443هـ/1052م⁽²⁾، 444هـ/1053م⁽³⁾، 445هـ/1054م⁽⁴⁾، 447هـ/1056م⁽⁵⁾، وبين الحنابلة والشافعية سنة 447هـ/1056م⁽⁶⁾، وبين الجنود الأتراك سنة 446هـ/1055م⁽⁷⁾. كما تزايد النفوذ الفاطمي في العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م)، واستغل دُعائه انتشار الفوضى والفتن المذهبية وثورات الجند الأتراك لنشر مذهبهم، فانتشروا في العراق وبلاد فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وإقليم الديلم، واستجاب له أناس كثيرون⁽⁸⁾. على ضوء هذه الأحداث حاولت الخلافة العباسية مقاومة المد الفاطمي، فقام الخليفة القائم بإعادة إعلان الاعتقاد القادري⁽⁹⁾ سنة 433هـ/1041م⁽¹⁰⁾، وليس هذا فحسب ففي سنة 444هـ/1053م أصدر القائم محضراً تضمن القدح في نسب الفاطميين أصحاب مصر، وأنهم كاذبون في ادعائهم النسب إلى آل البيت، ووقع

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص319؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص292.

(2) ابن حمدون، التذكرة، ص149.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص335-336؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص310.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص340؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص312.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15، ص347-348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص325.

(6) ابن حمدون، التذكرة، ص156؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص325.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص315-316.

(8) البغدادي، تاريخ، جـ9، ص400-401؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص53-54؛

المقريزي، اتعاظ، جـ2، ص232-233.

(9) نسبة إلى الخليفة القادر بالله (381-422هـ/922-1032م) والعذي كتب في خلافته

سنة 402هـ/1012م محضر تضمن القدح في نسب خلفاء مصر العلويين وعدم صحة

نسبتهم إلى آل البيت، وشهد عليه القضاة والفقهاء، ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص73.

(10) ابن الجوزي، المنتظم، جـ15؛ 279-281؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص310.

عليه الفقهاء والقضاة والأشراف والشهود وأُرسلت منه نسخ إلى بلدان الخلافة العباسية (1).

نجحت هذه الدعاية العباسية في تحقيق بعض المكاسب السياسية (2)، لكنها لم تكن كافية للحد من المد الفاطمي في العراق والمشرق الإسلامي، مما جعل الدولة العباسية في الحاجة ماسة إلى قوة سنية جديدة تساعد في الوقوف في وجه هذا المد الشيعي (3)، فلجأ الخليفة القائم إلى السلاجقة ووجه الدعوة إلى السلطان طغرلبيك للقدوم إلى بغداد (4)، فأحسن السلطان طغرلبيك استغلال هذه الدعوة؛ فبعد أن اطمأن إلى توطين أركان دولته في إيران والعراق توجه إلى بغداد متظاهراً برغبته في الحج وتأمين طريقة، ومحاربة الفاطميين والقضاء على دولتهم في الشام ومصر (5)، ودخل بغداد وخطب له فيها سنة 447هـ/1056م (6).

بدأ السلطان طغرلبيك بعد دخوله بغداد يعمل من أجل القضاء على ثورة البساسيري الذي فرّ من بغداد عندما علم بخبر تحرك السلطان نحوها، حيث اتجه إلى الموصل ونزل على نور الدولة دبيس بن مزيد (7)، لكن السلطان استطاع استمالة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 15، ص 336؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 310؛ الياضي، مرآة، جـ 3، ص 48-49.

(2) EI², Saldjukids, VIII pp 937

(3) الجالودي، تطور، ص 54.

(4) البغدادي، تاريخ، جـ 9، ص 400؛ ابن حمدون، التذكرة، ص 156؛ الكازروني، مختصر، ص 205؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 15، ص 348؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 322-323؛ الحسيني، أخبار، ص 17؛ المقرئ، اعطاء، جـ 2، ص 233؛ القلقشندي، مآثر، جـ 1، ص 339.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 322؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 98.

(6) الفارقي، تاريخ، ص 155-156؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 323؛ البنداري، تاريخ، ص 10، الحسيني، أخبار، ص 19؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 98؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص 156؛ طقوش، تاريخ، ص 240.

(7) البغدادي، تاريخ، جـ 9، ص 400؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 322؛ المقرئ، اعطاء، جـ 2، ص 233.

نور الدولة وطلب منه إبعاد البساسيري ففعل، فاتجه البساسيري إلى رحبة مالك بن طوق بالشام، وكاتب المستنصر الفاطمي ودخل في طاعته⁽¹⁾، ثم اتسع نطاق ثورته وتفاقم أمره بعد انضمام عدد كبير من أمراء العرب في العراق والشام إلى جانبه⁽²⁾، وحصوله على دعم دعاة الفاطميين في هذه المناطق⁽³⁾، ومد نفوذه إلى مناطق واسعة فيها⁽⁴⁾.

فأخذت القوات السلجوقية بملاحقة البساسيري، فاستطاعت في سنة 448هـ/1057م استعادة تكريت⁽⁵⁾ وفي سنة 449هـ/1058م وكذلك تمكنت من استعادت الموصل وسنجار، لكنها اضطرت إلى التوقف عن ملاحقة البساسيري بعد عودة السلطان طغرلبيك إلى همدان على أثر سماعه خبر عصيان أخيه إبراهيم ينال وثورته عليه⁽⁶⁾، فترك بغداد دون حماية تذكر، فاستغل البساسيري ذلك واتجه نحوها وسيطر عليها دون مقاومة وذلك في يوم الأحد الثامن من ذي القعدة سنة 450هـ/1059م⁽⁷⁾ وقطع خطبة العباسيين، وخطب باسم المستنصر الفاطمي في سائر مساجدها⁽⁸⁾، وأخذ كتاباً على الخليفة القائم أشهد فيه الشهود على أنه "لا

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص325؛ الحسيني، أخبار، ص18؛ الحسيني، زبدة، ص61-62؛ المقرئ، اتعاض، جـ2، ص233

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص8؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص331-332؛ الكازروني، مختصر، ص205؛ النويري، نهاية، جـ23، ص235.

(3) الحسيني، أخبار، ص18؛ المقرئ، اتعاض، جـ2، ص235؛ النويري، نهاية، جـ23، ص235-236.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص341؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص337-338.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص333؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص58.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص341؛ الكازروني، مختصر، ص206؛ الحسيني، أخبار، ص19؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص104.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص333-335؛ البنداري، تاريخ، ص12-13؛ النويري، نهاية، جـ23، ص227-228؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص100.

(8) ابن العمراني، الإنباء، ص192؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص340؛ البنداري، تاريخ، ص14؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص104؛ الحسيني، زبدة، ص62.

حق لبني العباس في الخلافة بوجود بني فاطمة الزهراء".⁽¹⁾ ثم أسر الخليفة وسلمه إلى حليفه قريش بن بدران⁽²⁾، الذي بدوره سلمه إلى ابن عمه مهارش بن المجلي، فسار به إلى حديثة عانة وبقي فيها حتى عودته إلى بغداد⁽³⁾، وقبض البساسيري على رئيس الرؤساء ابن المسلمة وشهر به وقتله⁽⁴⁾

استطاع السلطان طغرل بك القضاء على ثورة أخيه إبراهيم ينال وقتله بمساعدة ابن أخيه الأمير ألب أرسلان، وأعاد بذلك للدولة السلجوقية وحدتها وقوتها⁽⁵⁾، فتوجه على الفور إلى العراق للقضاء على ثورة البساسيري، ودخل بغداد دون مقاومة وإعادة الخطبة للعباسيين، وطلب من قريش بن بدران رد الخليفة إلى دار الخلافة، ففعل ووصل الخليفة القائم إلى بغداد في شهر ذي القعدة سنة 451هـ/1060م واستقبله السلطان طغرل بك في مقدمة جيشه وقبل الأرض بين

(1) المقرئزي، اتعاض، جـ2، ص234

(2) هو قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين (391-453هـ/1001-1062م)، تحالف مع البساسيري في ثورته على الخليفة القائم سنة 450هـ/1059م، لكنه حفظ الخليفة وأعادته إلى بغداد بناء على طلب السلطان طغرل بك بعد مقتل البساسيري سنة 451هـ/1060م، وتوفي بدران سنة 453هـ/1062م، انظر: ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص355.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص343-344؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص104؛ القلقشندي، عبدالله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق، عبد الستار أحمد، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت 1964م، جـ1، ص340. سيشار إليه تالياً، القلقشندي، مآثر

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص194؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص343-344؛ النويري، نهاية، جـ23، ص229-230؛ الكازروني، مختصر، ص209؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص104؛ المقرئزي، السلوك، جـ1، ق1، ص21.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص195-196؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص344-345؛ البنداري، تاريخ، ص15.

يديه سبع مرات، وأظهر طاعته وتبعيته للخليفة⁽¹⁾، وأرسل السلطان طُغرُلبك أحد قاداته إلى الكوفة فهزم البساسيري وقبض عليه وقتله وبعث برأسه إلى السلطان طُغرُلبك ببغداد⁽²⁾.

2.3 : علاقة الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية قبل خلافة

المُسْتَرشِد (447-512هـ/1056-1119م)

بدخول السلاجقة إلى بغداد وسيطرتهم عليها سنة 447هـ/1056م تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسية، خضعت لسيطرة قوة جديدة⁽³⁾، واستمر السلطان طُغرُلبك في سياسته الرامية إلى إخضاع العراق وما جاورها من بلاد الخلافة لسيطرته، إذ كان يدرك ما آلت إليه أوضاع الأمراء البويهيين من ضعف ناتج عن تنافسهم على السلطة، وما عانتها بغداد من صراعات داخلية بين السنة والشيعة⁽⁴⁾، وبين الجند الأتراك والديلم الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من الجيش البويهي⁽⁵⁾، مما دعا الخليفة القائم إلى دعوة السلطان طُغرُلبك لزيارة بغداد، فاستغل السلطان هذه الدعوة، وأعلن قدومه إلى بغداد بهدف الدفاع عن الخلافة العباسية التي تتفق معه في المذهب الديني في وجه أعدائهم البويهيين والفاطميين

(1) ابن العبراني، الإنباء، ص196؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص345-346؛ البنداري،

تاريخ، ص16-17؛ الحسيني، أخبار، ص19-20؛ الحسيني، العراضة، ص39-42؛ الأربلي، خلاصة، ص266؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص157؛ إقبال، تاريخ، ص239.

(2) البغدادي، تاريخ، ج9، ص403؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص347؛ الحسيني، زبدة، ص64.

(3) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp576.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص319، 329-331، 335-336، 340، 347-348؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص292، 301-302، 310، 312، 325.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص315-316؛ عبد الخالق، شريف، دراسة الأوضاع العلمية و التعليمية في عهد بني بويه و السلاجقة (334-656هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان 1990، ص17-18. سيشار إليه تالياً: عبد الخالق، دراسة.

الشيعة، واستعادة ما سيطروا عليه من أراض الخلافة العباسية في الشام والعراق والحجاز ومصر وإعادة الخطبة على منابرها للخليفة العباسي⁽¹⁾.

ترافق الاحتلال السلجوقي لبغداد مع حدوث عمليات سلب ونهب قامت به الجماعات الغزنوية، فنهب درب يحيى ودرب سليم وترب الخلفاء وغيرها من مناطق بغداد⁽²⁾، وامتدت عمليات السلب والنهب لتشمل مدن تكريت والموصل وسنجار وغيرها⁽³⁾، فاستغل السلطان طغرلبيك هذه الحوادث واتهم الملك الرحيم البويهى بها، وأمر بالقبض عليه وحبسه في إحدى القلاع مع أنه كان قد منحه الأمان بطلب من الخليفة⁽⁴⁾، مما أدى إلى توتر العلاقة بين الخليفة والسلطان فلم يكن خافياً على الخليفة ما قام به السلطان فأثار ذلك غضبه، حيث استدعى عميد الملك وزير السلطان وحمله رسالة إلى السلطان جاء فيها: "قد أنهى إلى ما سمعته أذني وشاهدته عيني ومن ارتفاع الدعاء، ما أنا به مطالب هذا إلى ما أخافه من سريع المكافأة، وأنا مع ركن الدين بين قسمين: إمّا اعتماد الحق واستعمال العدل وإنصاف الرعية أعفاهم من كل أذية، وإعادتهم إلى مساكنهم وصيانتهم في معاشهم وأمانتهم في نفوسهم وحراسة أموالهم أو المساعدة على مفارقتي لهذا البلد وبُعدي عن هذا البدع، ولا أقلّ من اعتزال عنها والتبري عند الله منها"⁽⁵⁾، كما طلب الخليفة من السلطان طغرلبيك إخراج الملك الرحيم وأصحابه من السجن "أنهم خرجوا إليك بأمرى وأمانى فإن أطلقتهم، وإلا أفارق بغداد، فإنى إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً منى أن تعظيم الأوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وأرى الأمر بالصد"⁽⁶⁾.

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص189؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص952-953.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348-349؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص324.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج16، ص4؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص332-333.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج15، ص348-349؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص324؛ ابن

..

خلدون، العبر، ج6، ص952-953.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ) ص7-8؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص99.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص324.

أظهر السلطان طُغرُلبك احترامه للخليفة والتزامه بأوامره، فأطلق بعض الأمراء المحبوسين، لكنه لم يطلق سراح الملك الرحيم حرصاً منه على إنهاء الدولة البويهية⁽¹⁾، كما حاول السلطان استرضاء الخليفة، وبعث برسالة إلى الخليفة عبر فيها عن تبعيته للخليفة " أنا الخادم الطائع في كل حال وما علمتُ بما جرى ولا أمرتُ به ولا من عادتِي، إلا أن هذا العسكر كثير لا قدرة لي على حفظه وربما بدت منهم أفعال لا أرحناها، وسأقدم فما يبين أثرٌ ويحسن موقعة⁽²⁾، وتوثيقاً لعلاقته مع الخليفة قبل طُغرُلبك في سنة 448هـ/1057م زواج ابنة أخيه جفري من الخليفة القائم⁽³⁾، ومع أن الخليفة بعث إليه كتاباً أمره فيه بالعدل والإنصاف والوعظ⁽⁴⁾، إلا أن العلاقات بين الطرفين بقيت متوترة؛ إذ أن السلطان بقي ثلاثة عشر شهراً في بغداد دون أن يحظى بمقابله⁽⁵⁾.

حرص السلاطين على إظهار احترامهم للخليفة العباسي بشكل واضح⁽⁶⁾، وتحسن مركز الخلافة نسبياً واستعاد الخلفاء بعض الاحترام، إذ كان السلاطين السلاجقة يحرصون على إظهار احترامهم للخليفة رغبة منهم في الظفر بموافقة الخليفة على توليهم عرش السلطنة وحتى يكسبون الصفة الشرعية، لكن ذلك لم يمنعهم من التمتع بعلامات السلطنة إذ شارك السلاطين الخليفة العباسي بعلامات الرئاسة السياسية والدينية، فكان يُخطب لهم إلى جانب الخليفة وتضرب أسماؤهم على العملة، وتضرب لهم الطبول في أوقات الصلاة. وحرص السلاطين على

(1) المصدر نفسه، جـ 8، ص 323-324؛ إقبال، تاريخ، ص 238؛ بيات، علاقة، ص 269.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ) ص 8؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 99.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 7-8؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 99.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 8.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 4؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 327؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ) ص؛ ابن العبري، تاريخ، زمان، ص 99.

(6) ابن العبري، الإنباء، ص 189-190؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 19؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 337-338.

الحصول على تفويض من الخليفة بحكم البلاد والتحكم بها⁽¹⁾، إذ طلب السلطان طُغرُلبك مقابلة الخليفة القائم لينعم عليه بالخلع والألقاب، فحصل على مراده هذا سنة 449هـ/1058م، وكان في استقباله وزير الخليفة، وعندما رأى السلطان الخليفة القائم جالساً على عرشه الذي يعلو عن الأرض سبعة أذرع، وكان معهما بعمامة موشحه برداء أسود، وبيده صولجان ذهبي وإلى جانبه حاجبان فانحنى السلطان عند دخوله وقُبِلَ الأرض دفعات وجلس على كرسي نُصب له دون عرش الخليفة⁽²⁾.

وفي مقابلته للخليفة حصل السلطان طُغرُلبك على تفويض كامل من الخليفة بحكم بلاد الخلافة العباسية نيابة عنه "إنَّ أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفضلك مستأنس بقربك وقد ولاك، جميع ما ولاه الله من بلاد، ورد عليك مراعاة عبادته، فاتق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية"⁽³⁾

اتخذ السلاطين السلاجقة هذا التفويض أساساً لعلاقتهم بالخلافة العباسية، ضمنوا بموجبه تخلي الخليفة عن السلطة الدنيوية لهم، وأعطى لهم الحق في حكم البلاد نيابة عنه، واكتفى الخلفاء بسلطتهم الدينية⁽⁴⁾، وأتاح هذا التفويض للسلاطين السلاجقة الانفراد بالحكم واتخذوه سبيلاً للحد من تطلع الخلفاء لتعزيز سلطتهم⁽⁵⁾،

(1) الفارقي، تاريخ، ص197؛ ابن العمراني، الإنباء، ص199؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص87، 145؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص322، 366-367، 394-395؛ الحسيني، العراضة، ص44؛ ابن العبر، تاريخ زمان، ص106.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص199؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص25؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص102-103.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص192؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص19-20؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ) ص25؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص102؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص33.

(4) القرز، الحياة، ص17؛ ردايده، جيش، ص32.

(5) القرز، الحياة، ص17-18..

وكما سعى السلاطين الذين نجاءوا بعد طُغْرُبُك للحصول على مثل هذا التفويض، فعندما تولى السلطان ألب أرسلان سنة 455هـ/1064م أرسل يطلب الخطبة والعهد من الخليفة القائم، فجلس الخليفة إلى رسول السلطان، وشافهه بتقليد السلطان وسملت الخلع بمشهد من الخلق، ولقبه بالولد المؤيد كما اقترح هو⁽¹⁾، وكتب إليه تفويضاً بحكم البلاد "... إن أمير المؤمنين بما وكله الله إليه من الأمور العامة للبلاد والعباد ومملكه من زمام الإصدار والإيراد، وناطه به حفظ النظام وفرضه عليه في الصلاح الشامل العام..."⁽²⁾.

كما منح الخليفة المقتدي (467-487هـ/1075-1095م)، السلطان ملكشاة مثل هذا التفويض وذلك عند قدومه لبغداد سنة 479هـ/1087م فوض بموجبه الخليفة إلى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل⁽³⁾، وفي حال حدوث النزاعات بين السلاطين السلاجقة كان الخلفاء يخطبون للمنتصر بين المتنازعين، كما حدث في النزاع الذي نشب بين ورثة السلطان ملكشاة (465-485هـ/1073-1093م) إذ خطب الخليفة المقتدي للسلطان محمود بن ملكشاة سنة 485هـ/1093م إثر وفاة والده⁽⁴⁾، وعندما انتصر بركياروق سنة 487هـ/1095م⁽⁵⁾ وفي سنة 492هـ/1099م خطب الخليفة المستظهر للسلطان محمد بن ملكشاة على إثر

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 87؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 366؛ سبط ابن

الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 112-113.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 115.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 260؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 449؛ سبط ابن

الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 115-116.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 418 الحسيني، أخبار، ص 75-79.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 493؛ الياضي، مرآة، جـ 3، ص 109. ابن الوردي، تاريخ،

جـ 2، ص 13؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 102-103.

هزيمته للسلطان بركياروق⁽¹⁾ وقطعت خطب السلطان محمد وأعيدت خطب بركياروق سنة 493هـ/1100م إثر هزيمة محمد في هذه السنة⁽²⁾.

وفي الجانب الاقتصادي وضع السلاجقة أيديهم على موارد العراق المالية، فأصبحت تحمل إلى خزينة السلطان، ضمن سياسة مالية تقوم على تضمين بغداد وغيرها من المدن العراقية لشخص معين يدفع للسلطنة مبلغاً مالياً متفقاً عليه معها مقابل قيامه بجمع ضرائب هذه المدينة، ففي سنة 452هـ/1061م ضمن السلطان طغرلبيك بغداد لأبي الفتح المظفر بن الحسين مدة ثلاث سنين بمبلغ أربعمئة ألف دينار وفي سنة 451هـ/1060م، ضمنت واسط لعلي بن فضلان بمائتي ألف دينار، وضمنت البصرة لأبي سعيد سابور بن المظفر⁽³⁾.

ولم يكن الخليفة يحصل إلا على القليل من إيرادات العراق عن طريق ما يخصه من الإقطاع والذي كان قابلاً للنقص والزيادة حسب رغبة السلطان ورضاه عن الخليفة⁽⁴⁾، يضاف إلى ذلك ما كان الخلفاء يحصلون عليه من مبالغ مالية كبيرة وهدايا من السلاطين والأمراء الطامعين بالسلطنة والساعين للحصول على رضا الخليفة، فالسلطان طغرلبيك حمل إلى خليفة القائم هدايا كبيرة من المال والثياب⁽⁵⁾ يُرغَّبُ فيها الخليفة القائم بالموافقة على تزويجه من ابنته، فكان له ما أراد رغم عدم رضا الخليفة القائم على تزويجه⁽⁶⁾، كما أن السلطان ملكشاه زاد في إقطاع الخليفة المقتدي عندما فوض إليه حكم البلاد سنة 479هـ/1087م⁽⁷⁾، وترك السلاطين

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص22؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص20.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص52-53؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص25؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص21.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص351.

(4) المصدر نفسه، جـ8، ص449؛ القزاز، الحياة، ص18.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص75.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ8، ص449؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص358.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص449؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص13.

للخلفاء حرية التصرف في إقطاعاتهم، إذ أن الخليفة القائم أعطى ضمان أملاكه في واسط إلى صرصر بن اسحاق اليهودي⁽¹⁾.

أصبحت دار الخلافة (بغداد) في عصر السيطرة السلجوقية جزءاً من الدولة وعدها السلاطين العاصمة الثانية للدولة⁽²⁾، فاتخذ طغرل بك نيسابور عاصمة له⁽³⁾، واتخذ السلطان ألب أرسلان مدينة الري عاصمة له⁽⁴⁾، في حين اتخذ السلطان ملكشاه وولديه محمود وبركياروق من مدينة أصفهان عاصمة لهم⁽⁵⁾.

واستحدثت السلاجقة في بغداد وغيرها من المدن العراقية وظائف إدارية عرفت بالعميد والشحنة واللتين يصعب التمييز بين عمل متولييهما، وكثيراً ما كان يحدث تداخل بينهما ففي بداية عصر السيطرة السلجوقية كان العميد يمثل نائب السلطان في بغداد والعراق كلها، وأنيطت به كثير من أعمال الشحنة⁽⁶⁾.

كانت العلاقات بين الخليفة القائم والسلطان طغرل بك قائمة على الاحترام المتبادل، إذ أظهر السلطان احترام الخليفة في كثير من المواضع فطلب من قریش بن بدارن الاهتمام بخدمة الخليفة وتأمين سلامته خلال فتنة البساسيري⁽⁷⁾، وكان السلطان ينحني ويُقبل الأرض كلما قابل الخليفة⁽⁸⁾، لكن هذه العلاقات لم تدم على

(1) القزاز، الحياة ص22.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص227؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص185؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص339؛

(3) الفارقي، تاريخ، ص159؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص227؛ البنداري، تاريخ، ص6؛ ابن خلکان، وفيات، جـ5، ص65؛ الحسيني، العراضة، ص34.

(4) الفارقي، تاريخ، ص186؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص368؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص185.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص425؛ ابن خلکان، وفيات، جـ1، ص268.

(6) انظر الفصل الثاني: موظفو السلطنة السلجوقية في بغداد.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص345-346؛ سبط ابن الجوزي، مآثر، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص55-56.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص20-21؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص337؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص339.

هذا الحال إذ أخذت بالتدهور وخاصة بعد أن قضى السلطان على ثورة البساسيري، وأعاد الخليفة إلى بغداد، فشرع السلطان أنه صاحب فضل على الخليفة فهو من أحيا الخلافة العباسية بعد ما قضى عليها البساسيري، ودفعه شعوره هذا إلى التقدم لخطبة ابنة الخليفة القائم، فرفض الخليفة هذا الطلب، وعدّ طلبه تجاوزاً لما جرت عليه العلاقة بين السلاطين والأمراء والخلفاء: "هذا ما لم تجر العادة به ولم يسم به أحد من الخلفاء مثله"⁽¹⁾، مما دفع السلطان إلى ممارسة مزيد من الضغوط على الخليفة عن طريق عميد العراق مما اضطر الخليفة إلى قبول هذا الزواج، وقدم السلطان فعقد قرانه على ابنة الخليفة وذلك في سنة 455هـ/1064م⁽²⁾، لكن السلطان لم يهنأ بهذا الزواج، إذ توفي في السنة نفسها⁽³⁾.

تولى السلطنة بعد وفاة السلطان طغرلبيك السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/1064-1073م) والذي سعى منذ بداية سلطته إلى تحسين علاقاته مع الخليفة القائم فأعاد ابنته إليه⁽⁴⁾، وقبض على عميد الملك وزير السلطان طغرلبيك، والذي كان له يداً في زواج السلطان طغرلبيك من ابنة الخليفة⁽⁵⁾، وأعفى شحنة بغداد

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 65؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 357؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 234؛ ابن خلكان، وفيات، جـ 5، ص 66.

(2) ابن العبراني، الإنباء، ص 198-199؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 80-81؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 360؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 106؛ ابن الدقماق، الجوهر، 1058؛ ابن خلكان، وفيات، جـ 5، ص 66؛ زيار، الصراع، ص 25-26.

(3) ابن العبراني، الإنباء، ص 199؛ الفارقي، تاريخ، ص 186؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 16، ص 82؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 360؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 107؛ الحسيني، العراضة، ص 44.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 366؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 112؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 235.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 364-365؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص 112؛ ابن خلكان، وفيات، جـ 5، ص 141-142؛ الياضي، مرآة، جـ 3، ص 60.

من منصبه وولى مكانه الأمير ايتكين السليماني؛ فرضي الخليفة عنه، وخلع عليه ولقبه بالولد المؤيد كما كان يرغب هو⁽¹⁾.

على أن ذلك لا يعني تخلي السلطان ألب أرسلان عن إدارة بغداد عن طريق نوابه فيها، والتدخل في شؤونها، وممارسة الضغوط على الخليفة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، بل وصل الأمر بصاحب شحنة بغداد إلى الاستخفاف بالخليفة نفسه، ففي سنة 464هـ/1071م أقدم متولي الشحنة الأمير ايتكين السليماني على قتل أحد غلمان دار الخلافة، ولم يستطع الخليفة الرد على هذا التصرف، واكتفى بأن بعث قميص غلامه المملوخ بالدم إلى السلطان علّه يعزل صاحب الشحنة من منصبه لتجاوزه الحد في الاعتداء على الخلافة⁽²⁾، فلبى السلطان طلب الخليفة وعزل صاحب الشحنة⁽³⁾.

توفي السلطان ألب أرسلان سنة 465هـ/1073م وملك بعده ابنه السلطان ملكشاة (465-485هـ/1073-1093م)⁽⁴⁾ وبعد عامٍ من وفاته، توفي الخليفة القائم (422-467هـ/1032-1075م) وبويع حفيده الخليفة المقتدي (467-487هـ/1075-1095م)⁽⁵⁾، فاستمرت علاقة الخلافة بالسلاجقة على حالها، إذ بقيت السلطة الفعلية بيد السلطان ونوابه: "فلم يكن للخليفة المقتدي من الأمر سوى الاسم ولا يتعدى حكمه بابه، والتدبير إلى ملكشاة"⁽⁶⁾، يؤكد ذلك أن السلطان ملكشاة ونوابه كانوا يستخفون بالخليفة المقتدي، وأن صلاحيات الخليفة تراجعت كخليفة

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص366-367.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص391؛ النويري، نهاية، جـ23، ص245؛ عقلة، الخلافة، ص305-308.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص391؛ النويري، نهاية، جـ23، ص247-248.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص394؛ الحسيني، العراضة، ص51-54؛ الحسيني، زبدة، ص119-177؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقرئزي، السلوك، جـ1، ق1، ص33-34. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص164-165؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص406-408.

(6) المقرئزي، السلوك، جـ1، ق1، ص21؛ ابن خلكان، وفيات، جـ5، ص288.

للمسلمين، من ذلك ما حدث سنة 471هـ/1078م عندما أمر السلطان ملكشاه الخليفة المقتدي على عزل وزيره فخر الدين بن جهير⁽¹⁾، فامتنع الخليفة عن تنفيذ أمر السلطان؛ فهدده السلطان "بكلام يطول شرحه"⁽²⁾، وبالحصان الشحنة في بغداد في الاستخفاف بالخليفة إذ حضر إلى دار الخلافة وهو سكران وخاطب الخليفة: "إن سلم الوزير إليّ وإلا دخلت أخذته، وإن كلمني في معناه إنسان قتلتَه"⁽³⁾، فأجاب الخليفة إلى ما طلب السلطان⁽⁴⁾، فعزل وزيره ابن جهير واستوزر مكانه محمد بن الحسين الروذراوي⁽⁵⁾، ثم عاد السلطان في سنة 476هـ/1084م ورضى على الوزير ابن جهير؛ فطلب عزل أبي شجاع وإعادة ابن جهير⁽⁶⁾، ولم يكتفِ عميد العراق أبو الفتح ابن الليث بهذا، بل تمادى في أفعاله، حتى أن الخليفة المقتدي هدد في سنة 475هـ/1083م، أن يترك بغداد إن لم يعزل هذا العميد، فلم ينفذ السلطان طلب الخليفة واكتفى بكف يد العميد عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة⁽⁷⁾.

حاول السلاطين السلاجقة توثيق علاقاتهم بالخلفاء عن طريق مصاهرتهم، ففي سنة 448هـ/1057م⁽⁸⁾ تزوج الخليفة القائم من ابنة داود أخي السلطان

(1) هو محمد بن محمد بن جهير، خدم في دولة القائم ووزر للمقتدي و المستظهر، توفي في سنة 493هـ، انظر: ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص59-60؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص28-29؛ شندب، الحضارة، ص90.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص198؛ عبد الخالق، دارة، ص22.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص201؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص198.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص202؛ الكازروني، مختصر، ص214؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص198-199.

(5) ابن العمراني، الإنباء، ص201؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص198-199؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص417.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص227.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص428؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص218.

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص327. سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات(448-480هـ)، ص213.

طُغْرُبُك، وفي سنة 480هـ/1088م، تزوج الخليفة المقتدي من ابنة السلطان ملكشاه⁽¹⁾، ولم يكن هدف السلاطين من وراء هذه الزيجات يقتصر على توثيق علاقاتهم بالخلفاء، بل تعدى ذلك إلى محاولة بعض السلاطين جمع السلطنة والخلافة في نسلهم⁽²⁾، ففي سنة 481هـ/1089م طلب السلطان ملكشاه من الخليفة المقتدي نقل ولاية العهد من ابنه المستظهر إلى ابنه جعفر⁽³⁾ من ابنة السلطان، لكن الخليفة عدّ هذا تدخلاً سافراً في شؤون الخلافة، ولم يقدّر بتنفيذ طلب السلطان، مما أغضب السلطان وطلب من الخليفة مغادرة بغداد على الفور، وأن يختار الإقامة في مكة أو المدينة أو البصرة أو أصفهان، ففضل الخليفة الإقامة في مدينة أصفهان، وطلب من السلطان مهلة عشرة أيام ريثما يُرتّب شؤونَه، فرفض السلطان ذلك وتدخل وزيره تاج الملك أبو الغنائم في الأمر، وطلب مهلة للخليفة، فقتنع السلطان بإعطاء الخليفة مهلة قدرها عشرة أيام، ولم يُنقِذ الخليفة من الطرد خارج بغداد سوى وفاة السلطان ملكشاه خلال هذه المهلة⁽⁴⁾.

تحسنت أحوال الخلافة أثر وفاة ملكشاه، ونشوب الخلافات بين ورثته حول خلافتَه، وحاول الخليفة المقتدي تدعيم قوته في مواجهة السلاجقة، فرفض أن يخطب لمحمود بن ملكشاه خاتون والذي استطاعت أمه تركان خاتون تنصيبه بعد أن نجحت بجعل أبيه يوصي له بالحكم، بحجة أنه طفلٌ صغيرٌ لا يصلح لهذا الأمر

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 451-452؛ ابن الساعي، علي بن أنجب

(674هـ/1276م)، نساء الخلفاء، المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء،

تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص 109-110، سيشار إليه تالياً،

ابن الساعي، نساء

(2) EI², Saldjukids, VIII pp 941؛ طقوش، تاريخ، ص 243.

(3) هو جعفر بن المقتدي، ولد سنة 480هـ/1088م من زوجته خاتون بنت السلطان ملكشاه،

وتوفي سنة 486هـ/1094م، انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 5؛ ابن الأثير،

الكامل، ج 8، ص 491.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص 203-204؛ الفارقي، تاريخ، ص 265؛ ابن العبري، تاريخ

زمان، ص 120؛ القرمانلي، أخبار، ص 173؛ ابن الدقماق، الجواهر، ص 160؛ مرتضى،

كلشن خلفاء، ص 111.

"ولأن السلطنة والرئاسة والمحافظة على أصول السياسة وتعمير العلم ليس أمراً هيناً، ومن الصعوبة أن يتمكن طفل عديم التجربة أن يقرر قواعد السلطنة ويدفع حساد المملكة وأعداءها، ولم يشبع محمود لبن الرضاة حتى الآن، فلا يستطيع أن يكون درعاً يصد عن الدولة سيف كل جبار، والمثل يقول: الصبي صبي ولو كان ابن نبي"⁽¹⁾، لكن الخليفة استجاب في نهاية الأمر لرغبات تركان خاتون التي مارست ضغوطاً شديدة لتحقيق غرضها، واشترط الخليفة أن يكون محمود سلطاناً بالاسم فقط، وأن ينفرد الخليفة بالخطبة وحده⁽²⁾، واستغل الخليفة المقتدي ذلك لتقليص نفوذ السلاجقة في العراق، فأصدر عملة نقدية (دينار) تخلو من أي ذكر للسلطين السلاجقة، وعرف هذا الدينار باسم دينار المقتدي وكان ذلك في سنة 486هـ/1094م، نقش عليه اسم الخليفة "الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين" واسم ولي عهده "ذخر الدين أبو العباس"⁽³⁾ وتعد هذه المحاولة الأولى من نوعها منذ السيطرة البويهية، لكنها لم تدم طويلاً إذ انتصر بركياروق على أخيه محمود سنة 487هـ/1095م وألزم الخليفة أن يقطع الخطبة لمحمود وأن يُخطب له⁽⁴⁾.

رفض الخليفة الخطبة لتتش بن ألب أرسلان الذي أعلن الثورة على السلطان بركياروق بعد توليه السلطنة، واستولى على بلاد الشام وطلب من الخليفة أن يعترف به سلطاناً على جميع الدولة السلجوقية⁽⁵⁾.

وفي خضم هذه الأحداث وصراعات البيت السلجوقي توفي المقتدي سنة 487هـ/1095م، وأثيرت حول وفاته في هذا التوقيت العديد من الشكوك ومدى صلة السلاجقة بها، ويبدو أنه من غير المستبعد أن يكون لهم يد في ذلك إذ توفي

(1) الحسيني، العراضة، ص72.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص484؛ القلانسي، ذيل، ص126؛ الحسيني، زبدة، ص155.

(3) الجالودي، تطور، ص100، نقلاً عن: الحسيني، دينار عباسي نادر، ص65-73.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص10-11؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص493؛

الحسيني، زبدة، ص156-157؛ النويري، نهاية، ج23، ص251؛ ابن الوردي، تاريخ،

ج2، ص13.

(5) ابن خلكان، وفيات، ج1، ص295.

المقتدي مسموماً على يد جاريته شمس النهار⁽¹⁾ والتي قد تكون متعاونة مع السلاجقة لقتل الخليفة.

بُويع بعد وفاة الخليفة المقتدي ابنه وولي عهد الخليفة المستظهر بالله (487-512هـ/1095-1119م)، والذي كان صغيراً لم يتجاوز عمره ستة عشر ربيعاً⁽²⁾، ولم يكن هذا الخليفة على قدر من المسؤولية؛ إذ فوض أموره إلى الوزير ابن جهير "الأمور مفوضة إليك والتعويل عليك، فدبرها بما تراه"⁽³⁾، كما أن خلافته جاءت في فترة اشتد فيها تنافس السلاطين السلاجقة الساعين إلى السلطنة (بركياروق، محمد، وسنجر) ودام هذا الصراع طوال الفترة (487-497هـ/1095-1104م)⁽⁴⁾ فلم يتدخل الخليفة بهذا الصراع⁽⁵⁾ وكان يخطب لمن ينتصر منهم فعند بيعته أقر الخطبة لبركياروق الذي خطب له أبوه المقتدي قبيل وفاته⁽⁶⁾، ثم أمر المستظهر أن تقطع الخطبة لبركياروق وأن يخطب لمحمد على أثر انتصاره سنة 492هـ/1099⁽⁷⁾ وثم أمر في سنة 493هـ/1100م بقطع الخطبة لمحمد والخطبة لبركياروق⁽⁸⁾ وبلغ به الأمر أن يخطب في سنة 498هـ/1105م للسلطانين في آن واحد؛ فخطب

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص10؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص493؛ القرماني، أخبار، ص173؛ القلقشندي، مآثر، جـ2، ص1.

(2) ابن حمدون، التذكرة، ص87؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص12؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص493؛ القلقشندي، مآثر، جـ2، ص11.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص12.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص79-80؛ الحسيني، أخبار، ص79؛ الحسيني زبدة، ص197؛ القلانسي، ذيل، ص147؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص127.

(5) حتاملة، عبد الكريم عبده، "دور الخليفة المُستَرضِد بالله في مواجهة نفوذ السلاجقة (512-529هـ/1118-1135م)"، مجلة جامعة أم القرى، السنة الحادي عشر، ع11، الشريعة

والدراسات الإسلامية (2)، 1419هـ/1999، ص272. سيشار إليه تالياً، حتاملة، "دور"

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص12-13؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص494؛ بيات، "السياسة"، ص101.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص48؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص22.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص53.

لبركياروق بن ملكشاة في الجانب الشرقي من بغداد وخطب لمحمد بن ملكشاة في جانبها الغربي (1).

لم يبدِ الخليفة المستظهر أي محاولة لاستعادة سلطاته الدنيوية بل ركن إلى الراحة وترك السلاجقة يتصارعون على السلطنة (2) وفوض إليهم أموره؛ ففي سنة 495هـ/1101م فوض الخليفة المستظهر إلى السلطان محمد بن ملكشاة سلطاته الدنيوية جميعها، وولاه ما وراء بابه (3)، وتصرف السلاطين السلاجقة بهذه السلطات كما شاءوا حتى إنَّ بغداد نفسها لم تسلم من أذى جنودهم أثناء صراعاتهم (4)، إذ وصلها الأمير ينال بن أنوشتكين الحسامي أحد أمراء السلطان محمد بن ملكشاة سنة 496هـ/1103م على رأس سبعمائة من جنوده واستولى عليها وظلم الناس وصادر أموالهم وشمل أذاهم العامة من سكانها بالضرب والقتل، فبعث الخليفة المستظهر القاضي أبا الحسن الدامغانى إلى الحسامي هذا يطلب كف جنوده عن أفعالهم لكنه لم ينهم واستمروا فيها، فاستجد الخليفة بأمر الحلة سيف الدولة صدقة، الذي حضر إلى بغداد وأخذ العهد على الحسامي بالكف عن أذى الناس، وبعد رحيل سيف الدولة عاد جنود الحسامي إلى أفعالهم، فأرسل سيف الدولة ابنه دُبَيْسَ ومعه ألف فارس، فلما سمع الحسامي بقرب وصوله فرَّ من بغداد قاصداً السلطان محمد (5).

وفي مجال الوزارة كان السلاطين السلاجقة في عهد المستظهر يولون ويعزلون من يشاءون من وزرائه، ففي سنة 493هـ/1100م بعث مؤيد الملك بن نظام الملك الطوسي وزير السلطان محمود إلى الخليفة يطلب عزل وزيره عميد الملك بن جهير فعزله الخليفة (6)، وأمر السلطان محمد سنة 501هـ/1108م، بعزل

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص80؛ القلقشندي، مآثر، جـ2، ص12.

(2) الجالودي، تطور، ص108؛ المقابلة، إحياء، ص47.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص75.

(4) المصدر نفسه، جـ17، ص12-13؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص494.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص61-62.

(6) المصدر نفسه، جـ9، ص28494؛ شندب، الحضارة، ص89.

الوزير مجد الدين بن عبد المطلب فعزله الخليفة، ثم أعيد إليها بإذن السلطان شريطة التزامه العدل وحسن السيرة ، وأن لا يستعمل أحد من أهل الذمة⁽¹⁾.

وهكذا يبدو أن الخلفاء العباسيين في هذه الفترة (447-512هـ/1056-1119م) كانوا خاضعين لإرادة السلطنة السلجوقية في عهد سلاطينها الكبار، وأن هؤلاء السلاطين كانوا يتحكمون بالخلفاء كيفما يشاءون⁽²⁾، وهذا ما ذكره المؤرخ البنداري حين قال: "كانت السدة الشريفة الأمامية، قد منيت بجور الأعاجم، ولم يزل عودها من عداوتهم تحت سن العاجم، وكان أهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده، وتمردهم عليه بأن يحصل مرادهم لا مراده، ولم تنزل بغداد مظلمة، مشحونة منهم بالشحن الظلمة، ولهم من الديوان العزيز مطالب، لا يفي بها خواصه، ومغارم تلحقه منهم يتعسر منها خلاصه، والحرَم من جُنَاياتهم خائف، والشرف لمهابتهم عائف وشريعة الشريعة مكدره، والدماء والفروج مستباحة مهدورة، والخليفة يغضى ويغضب، ويعتب ولا يُعتب ويقدر عليه ولا يُقدر ويُغدر به، وهو على العهد لا يغدر"⁽³⁾.

3.3 : سلاطين السلاجقة في عهد الخليفة المُسترشد (512-

529هـ/1119-1135م)

أدت الصراعات والحروب التي أعقبت وفاة السلطان ملكشاة إلى ضعف الدولة السلجوقية، وفقدانها لوحدها وتماسكها، وعم الفساد واضطربت أحوال السكان وهجر الفلاحون أراضيهم، وانتشرت المجاعات. وقد وصف ابن الأثير هذه الحالة فقال "... والحروب تطاولت وعم الفساد فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة والبلاد مخرّبة والقرى محرقة، والسلطنة مطموعاً فيها، وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين ... شمل البلاد الخراب وطمع عدوّ الإسلام فيه"⁽⁴⁾، واستمر هذا الحال بعد وفاة بركياروق، فمع أن السلطان محمد بن ملكشاة (498-

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص122؛ النويري، نهاية، ج23، ص258.

(2) بيات، "السياسة"، ص101-102.

(3) البنداري، تاريخ، ص214.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص70-71.

511هـ/1105-1118م) استطاع بمساعدة أخيه سنجر السيطرة على الحكم، وتتحية ابن أخيه محمود بن بركياروق⁽¹⁾، إلا أن عهده شهد العديد من حركات التمرد والعصيان، التي قام بها أمراء من العائلة السلجوقية والأمراء التابعين لهم⁽²⁾، إضافة إلى ذلك كانت الدولة قد فقدت وحدتها وانقسمت إلى دويلات متناحرة في ما بينها، فسيطر سنجر على الأجزاء الشرقية منها (خراسان وبلاد ما وراء النهر) وأصبح حاكمها الفعلي⁽³⁾، واستقل أبناء تاج الدولة تتش ببلاد الشام⁽⁴⁾ واستقل كذلك أبناء سليمان بن قتلمش بآسيا الصغرى في ما عرف تاريخياً بسلاجقة الروم⁽⁵⁾، وخضعت كرمان لأبناء قاوذر السلجوقي⁽⁶⁾، فأنحصرة سيطرة السلطان محمد في مناطق إيران والعراق مما مهد لظهور ما عرف بسلاجقة العراق والذي يمكن اعتبار السلطان محمد أول سلاطينهم⁽⁷⁾.

زاد من ضعف الدولة وانقسامها ظهور نظام الأتابكيات، والذي كان له الدور الأكبر في تفتت الدولة إلى إمارات صغيرة متناحرة في ما بينها⁽⁸⁾، وتعود نشأة هذا النظام إلى عهد السلطان ملكشاه، ويقوم على أن يعهد السلطان بتربية أبنائه الذكور لأمراء من أتباعه ويمنحهم حق الوصاية عليهم، فيتولى كل أمير تربية أحد الأبناء

(1) المصدر نفسه، جـ 9، ص 79-80؛ الحسيني، أخبار، ص 79؛ الحسيني زبدة، ص 197؛

القلانسي، ذيل، ص 147؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 127 .

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 88، ص 102-103

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 34-35؛ الحسيني، أخبار، ص 77؛ الياضي، مرآة، جـ 3،

ص 153؛ الجميلي، تاريخ، ص 55-57.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 418؛ الحسيني، أخبار، ص 63-64؛ الحسيني زبدة،

ص 131-132.

(5) الجميلي، تاريخ، ص 48-51؛ الجالودي، تطور، ص 90. أنظر الملحق: رقم (د)، ص 204.

(6) الحسيني، أخبار، ص 58.

(7) ابن العمراني، الإنباء، ص 211؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 78-79؛

الحسيني، زبدة، ص 197-199؛ الراوندي، راحة، ص 302؛ البنداري، تاريخ، ص 165؛

القلانسي، ذيل، ص 218؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 134.

(8) Lane-poople, The Mohammadan Dynasties, pp152.

وتدبير شؤونه، ويحدد له منطقة معينة يحكمها باسم ابن السلطان⁽¹⁾، لكن هؤلاء الأمراء سيطروا على هؤلاء الأبناء لصغر سنهم وحولوا هذه الأتابكيات إلى إمارات وراثية لهم ولأبنائهم من بعدهم وأصبحوا المسيطرون عليها⁽²⁾.

وفي عهد السلطان محمد استفحل الخطر الإسماعيلي، وانتشر دعائه في مناطق واسعة من الدولة، وسيطروا على كثير من القلاع الهامة، والتي شكلت نقاط ضعف في جسم الدولة وجعلت الدولة تكرر كثيراً من جهودها في محاربة هذا الخطر والحد من آثاره⁽³⁾.

كما واجهت الدولة السلجوقية في عهد السلطان محمد الخطر الصليبي إذ تمكن الصليبيون من الاستيلاء على مناطق واسعة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية واسيا الصغرى فترة قصيرة لم تتجاوز العقد (489-498هـ/1097-1105م) وأسسوا لهم إمارات حصينة في هذه المناطق كإمارات الرها وإنطاكيا وطرابلس ومملكة بيت المقدس التي احتلوها سنة 492هـ/1099م⁽⁴⁾.

توفي السلطان محمد بن ملكشاة سنة 511هـ/1118م وخلفه ابنه محمود والذي كان عمره لم يتجاوز أربع عشرة سنة وبضعة شهور⁽⁵⁾، وأعلن نفسه سلطاناً عاماً للسلاجقة⁽⁶⁾، وخطب له بالسلطنة

(1) ابن خلكان، وفيات، ج2، ص328-329؛ الجالودي، تطور، ص85.

(2) ابن الأثير، الباهر، ص71-52.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص168-169؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص2؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص22-24؛ الحسيني، زبدة، ص139-141، ابن العبري، تاريخ مختصر، ص192-193.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص47-48؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص19؛ ابن الأثير، الباهر، ص32-33؛ خليل، عماد الدين، ص135-136؛ إقبال، تاريخ، ص272-274. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

(5) أبو الفداء، المختصر، ج2، ص50؛ ابن الأثير، الباهر، ص20-21.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص167؛ القلانسي، ذيل، 199؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص136، السيوطي، تاريخ، ص338، أبو الفداء، المختصر، ج2، ص50.

ببغداد⁽¹⁾، لكن ذلك لم يكن ليرضي عمه سنجر بن ملكشاة والذي كان يعد نفسه كبير السلاجقة بعد وفاة أخويه السلطانين بركياروق ومحمد، مما دفعه إلى أن يعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة⁽²⁾، وفرض سيطرته على المناطق الممتدة من كاشغر شرقاً إلى أقصى بلاد اليمن ومكة وخطب له على منابرها⁽³⁾ ولم يتعرض لحكم ابن أخيه محمود احتراماً لأخيه السلطان محمد، وأبقى له الولايات التي كانت تحت حكم أخيه محمد⁽⁴⁾، لكن أمراء محمود، استغلوا ضعفه وصغر سنه، فأسرفوا الأموال التي كان أبوه قد جمعها واقتسموها في ما بينهم مما أحدث أزمة مالية في دولة السلطان محمود⁽⁵⁾، وحرّضوه على عمه سنجر فاستمع إليهم وأعلن تمرده عليه وسار إلى حربه والتقى معه عام 513هـ/1120م بالقرب من ساوة، لكن سنجر انتصر عليه وشتت جيشه⁽⁶⁾ واعترف الخليفة المُسترشد له بهذا النصر وخطب له ووضع اسمه مكان اسم ابن أخيه محمود، وذلك في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة 513هـ/1120م⁽⁷⁾ ثم قبل السلطان سنجر شفاعة أم السلطان محمود لابنها وسار محمود لاسترضاء عمه، فعفا عنه واتفق الطرفان أن يكون سنجر السلطان الأعظم للسلاجقة ويلقب محمود بالسلطان، ويُخطب له بعد سنجر في المناطق التي يحكمها، وأن يكون تابعاً لسنجر، وأعاد له المناطق التي كان يحكمها ما عدا مدينة الري التي

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص167؛ القلانسي، ذيل، ص198-199؛ ابن العبري، تاريخ

زمان، ص135-136، السيوطي، تاريخ، ص338.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص168؛ البنداري، تاريخ، ص115.

(3) البنداري، تاريخ، ص110، الراوندي، راحة، ص257-260؛ الحسيني، العراضة، ص178-184، إقبال، تاريخ، ص276.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص182؛ إقبال، تاريخ، ص275-276.

(5) الحسيني، أخبار، ص88-89.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص182-184؛ البنداري، تاريخ، ص113-114؛ الحسيني، أخبار، ص92.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص184؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص89؛ ابن

الوردي، تاريخ، ج2، ص41

ضمها لمناطق حكمه ليراقب منها تصرفات السلطان محمود كما نصّبه ولياً لعهدده وزوجه ابنته وعندما توفيت زوجته بأختها⁽¹⁾.

يعدّ هذا الاتفاق 513هـ/1120م التاريخ الرسمي لظهور دولة سلاجقة العراق والتي يعد السلطان محمود أول سلاطينها، كما برز في خراسان سلاجقة خراسان والذين يمثلهم السلطان سنجر، وعرفوا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن سلاجقة العراق كما سُموا بالسلاجقة العظام، وكان سلاجقة العراق يعترفون لسنجر بزعامه السلاجقة، وكما يعترف الخليفة العباسي لهم بذلك⁽²⁾، وازدادت بعد هذا الاتفاق قوة السلطان سنجر وأصبح سيد السلاجقة دون منافس واتسع سلطانه، وبعث عماله لجمع الضرائب من كل المدن العراقية وغيرها وبسط نفوذه على سائر أنحاء الدولة السلجوقية⁽³⁾.

اتّصف حكم السلطان محمود بالضعف فمع أن عمه السلطان سنجر منحه المناطق الممتدة من حدود خراسان إلى بلاد الشام، إلا أن معظم هذه المناطق تقاسمتها الأتابكيات وسلاطين السلاجقة الذين استقلوا ببعض هذه المناطق كسلاجقة الروم الذين استقلوا في آسيا الصغرى وسلاجقة الشام، واحتل الصليبيون مناطق واسعة من بلاد الشام وآسيا الصغرى، لينحصر حكم السلطان محمود في مناطق العراقيين العربي والعجمي⁽⁴⁾. كما شهد حكمه ثورات متتالية قام بها إخوته طغرل ومسعود وسلجوقشاة وأتابكتهم⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 172؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 185؛ الحسيني، أخبار، ص 88-89.280.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 185؛ حلمي، السلاجقة، ص 55.

(3) الراوندي، راحة، ص 260.

(4) أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 53؛ الحسيني، العراضة، ص 115؛ ابن الوردي، تاريخ، ج 2، ص 41.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 186؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 191-207، 192؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 53؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 181-182، 283-284؛ الأصفهاني، خريدة، =

خطب الخليفة المُستَرشد للسلطان محمود وأضفى عليه الخلع، وقلده السلطنة ببغداد بحضور أخيه مسعود⁽¹⁾، وبقي محمود يحكم سلاجقة العراق حتى وفاته سنة 525هـ/1131م⁽²⁾.

اشتد تنافس أفراد البيت السلجوقي وأتابكتهم للوصول إلى السلطنة بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، فطلب السلطنة كل من إخوة محمود، مسعود⁽³⁾ وطرغل⁽⁴⁾ وسلجوقشاة⁽⁵⁾ وأبناء محمود داود⁽⁶⁾ والطفل ألب أرسلان⁽⁷⁾، واشتبكت هذه الأطراف في نزاعات شديدة⁽⁸⁾ تمكن في نهايتها طغرل ابن السلطان محمد بمساعدة عمه السلطان سنجر تنصيب نفسه سلطانا لسلاجقة العراق وذلك سنة 526هـ/1132م⁽⁹⁾ لكن حكمه لم يسلم من ظهور منافسين له إذ ثار عليه أخوه

ص 191-192؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 233؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1031-1032، ص 1035.

- (1) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 192؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 87.
- (2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 259؛ ابن كثير، البداية، ج 11؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1046.
- (3) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 262.
- (4) المصدر نفسه، ج 9، ص 262؛ خليل، عماد الدين، ص 51؛ الوزنة، الدولة، ص 132-133؛ السامرائي، الدولة، ص 289؛ الديوجي، تاريخ، ص 271.
- (5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 270؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 263؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 68؛ ابن الوردي، تاريخ، ج 2، ص 59-60.
- (6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 259؛ ابن كثير، البداية، ج 11؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1046.
- (7) ابن واصل، مفرج، ج 1، ص 46؛ خليل، عماد الدين، ص 51؛ الديوجي، تاريخ، ص 271.
- (8) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 262.
- (9) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 270-271؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 263-265؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 68؛ ابن العماد، شذرات، ج 4، ص 77؛ الجالودي، تطور، ص 93.

مسعود وتبادلا النصر والهزيمة⁽¹⁾، حتى وفاة طغرل سنة 529هـ/1135م فاستولى مسعود على الحكم وأعلن نفسه سلطاناً لسلاجقة العراق⁽²⁾.

4.3: علاقة الخليفة المُستَرشد بالسلاجقة (512-529هـ/1119-1135م)

1.4.3- مرحلة الاستعداد للمواجهة (512-517هـ/1119-1131م)

بويق المُستَرشد بالله بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر سنة 512هـ/1119م وقبيل خلافته اشتدت حالة التنافس بين السلاطين السلاجقة الطامحين للسلطة، إذ تحارب السلطان محمود مع عمه السلطان سنجر وتمكن سنجر من هزيمة محمود، ثم عفى عنه وأعادته إلى حكمه⁽³⁾، كما ظهر منافسون آخرون للسلطان محمود هم إخوته (طغرل ومسعود وسلجوقشاه) ونشبت بين هؤلاء الإخوة صراعات امتدت طوال فترة حكم السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م)⁽⁴⁾ وأدت هذه الصراعات إلى انشغال السلاطين عن أمر العامة وتركوا إدارة الأقاليم لنوابهم، الذين استغلوا ذلك، فتعدوا على السكان ومارس العديد منهم أعمال الظلم والتعسف؛ ففي سنة 512هـ/1119م قام شحنة بغداد الأمير منكبرس بمصادرة أموال الناس وظلم الأهالي، وأشاع الرعب بينهم: "فاختفى أرباب الأموال وانتقل جماعة منهم إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه، وبطلت معاش الناس وكثر أصحاب الفساد"⁽⁵⁾ كما لجأ بعض النواب السلاجقة إلى فرض المزيد من الضرائب، ففي سنة 515هـ/1122م عزم

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 275؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 269؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 70.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 291؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 278؛ الأصفهاني، زبدة، ص 99؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 62.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 184؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 53؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 89؛ البنداري، تاريخ، ص 113-114؛ الحسيني، العراضة، ص 115؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 41.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 186؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 283-284.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 177؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 279؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 10261027.

السلطان محمود على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق،⁽¹⁾ وإلزام الباعة بدفع ثلثي ما يأخذون من الدلالة⁽²⁾ " فتزايد الأمر في ذلك وكثر الأذى " ⁽³⁾ وفي كثير من الأحيان كانت الضرائب تُجبي أكثر من مرة في العام الواحد نتيجة لتغير المحتلين في ذلك العام⁽⁴⁾، وزاد تردي أحوال الأهالي حدوث الفيضانات وغرق المحاصيل⁽⁵⁾، وانتشار الأمراض والأوبئة⁽⁶⁾ وارتفاع الأسعار بشكل كبير عجز معه الناس عن تأمين قوت يومهم⁽⁷⁾ فأمر الخليفة المُسترشد أن يتعامل الناس بالدرهم، عشرة بدينار والقراضة اثنا عشر بدينار⁽⁸⁾.

كما انحل أمن البلاد وتزايد نشاط العيارين، ففي سنة 512هـ/1119م كثر أمرهم بالجانب الغربي من بغداد ولم يستطع صاحب الشحنة القضاء عليهم، فنهبوا محال الناس واستولوا على أموالهم⁽⁹⁾ واشتد تمردهم وأخذوا يقطعون الطرق ويتعرضون للأهالي واستولوا على زوارق قادمة من الموصل إلى بغداد سنة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص211.

(2) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص290.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ القلانسي، ذيل، ص210؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1040-1041.

(5) شهدت العراق حدوث فيضانات في سنوات: 512هـ/، 515هـ/1122م، 516هـ/1123م، 520هـ/1127م، 517هـ/1124م، ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص196-197، 203-204، 232؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص211، 218.

(6) شهدت العراق انتشار الأمراض والأوبئة في سنوات: 512هـ/1119م، 517هـ/1124م، 518هـ/1125م (ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163، 224، 232؛ ابن الأثير، جـ9، ص225).

(7) ارتفعت مستويات الأسعار في سنوات: 512هـ/1119م، 516هـ/1123م، 520هـ/1127م، 517هـ/1124م، (ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207، 221؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص179؛ 225؛ القلانسي، ذيل، ص208).

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207.

(9) المصدر نفسه، جـ17، ص163؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص193، ابن كثير البداية، جـ11، ص225.

514هـ/1121م، وفتكوا بأهل السواد عدة مرات، ودخلوا بيوتهم وأخذوا ما فيها⁽¹⁾، وقد أدت هذه الأوضاع بمجملها إلى تردي أوضاع الناس المعيشية، وهجر سكان الأرياف أراضيهم، وتراجع الإنتاج الزراعي، وارتفعت معدلات البطالة⁽²⁾.

كان الخليفة المُستَرشد ورغم أن المصادر لم تذكر توليه مناصب سياسية أو عسكرية قبل خلافته، مطلعاً على ما آلت إليه علاقة الخلفاء مع سلاطين السلاجقة وتعتديهم على الخلفاء، وكان يدرك أن هذه الأوضاع المتردية ناجمة عن سياسة السلاجقة في العراق وسعيهم لتحقيق مصالحهم بغض النظر عن أحوال السكان، وعبر عن رفضه لهذا الحال حين قال: "فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وكثيراً منهم فاسقون"⁽³⁾، كما أن الخليفة المُستَرشد ولما عُرف عنه من صفات الزهد والشجاعة والتدين والإقدام وعلو الهمة⁽⁴⁾، لم يكن ليرضى بهذا الحال، بل كان يسعى إلى تقليص نفوذ السلاجقة، لكنه كان يدرك أن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى فترة من الاستعداد والتهيؤ لمواجهة السلاجقة، وفي البداية سار المُستَرشد على نهج من سبقه من الخلفاء، بهدف استرضائهم والتودد إليهم، فكان يعلن تأييده للمنتصر منهم في حال حدوث نزاع بينهم. فعندما بويع بالخلافة سنة 512هـ/1119م، كان أبوه قبله يخطب للسلطان محمود بن محمد،

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص185؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص281-282.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص177، ابن كثير، البداية، جـ11، ص256.

(3) النظامي العروضي السمرقندي، چهار مقالة، ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، ص31، نقلاً عن أمين، تاريخ، ص141.

(4) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص258؛ النويري، نهاية، جـ23، ص277؛ الذهبي، سير، جـ19، ص563؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص259؛ القرماني، أخبار، ص174؛ ابن دقماق، الجوهر، ص163؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62؛ السيوطي، تاريخ، ص339؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص86.

فاستمر في الخطبة للسلطان محمود، وفي سنة 513هـ/1120م حدث نزاع بين السلطان محمود والسلطان سنجر وانتصر سنجر فقطع خطبة محمود، واكتفى بالخطبة لسنجر وحده⁽¹⁾، ثم عفا السلطان سنجر عن ابن أخيه محمود، وأعادته إلى ملكه، فخطب الخليفة المُستَرشدُ لهما في آن واحد⁽²⁾. وفي سنة 514هـ/1121م، أعلن مسعود بن محمد تمرده على أخيه السلطان محمود، فهزمه محمود وقضى على تمرده، ثم عفا عنه وقدم معه إلى بغداد فاستقبلهما كبار موظفي الخليفة، ومثلاً بين يديه وقبلاً الأرض فخلع الخليفة على السلطان محمود ووعظه وتلا عليه قوله تعالى "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"⁽³⁾، وأمره بالإحسان إلى الرعية، فقال السلطان محمود: "وفقني الله لقبول أوامر مولانا أمير المؤمنين وارتسامها، فالسعادات معها وسلم الخليفة إلى الوزيرين سيفين، وأمرهما بتقليد السلطان بهما، فلما فعلا قال: أقمع بهما الكفار والملحدين، وعقد له بيده لوائين⁽⁴⁾، واستمر الخليفة يخطب لسلطانين سنجر ومحمود حتى وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م⁽⁵⁾.

لم يتدخل الخليفة المُستَرشدُ في نزاعات السلاجقة، وظهرا حياده، واعتمد على نوابهم في حماية بغداد، - فعندما حدث نزاع في سنة 512هـ/1119م، بين مسعود وأتابكه البرسقي من جهة ودُبَيْس ومنكبرس متولي شحنة بغداد من جهة

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص184؛ البنداري، تاريخ، ص113-114؛ الحسيني، أخبار، ص92.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص185؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص185.

(3) سورة الزلزلة، الآية 7-8.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص196؛ القلانسي، ذيل، ص238؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص287-288.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص264؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص259؛ ابن كثير، البداية، ج11؛ الحسيني، العراضة، ص115؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص1046.

أخرى، فنهبوا السواد نهباً فاحشاً، واستباحوا النساء - لم يستطع الخليفة أن يفعل شيئاً، وأرسل إليهما منكرًا عليهما ما قاما به ويأمرهما بحقن الدماء وترك الفساد (1). كما لم تذكر المصادر أن المُستَرشد قام بفعل شيء إزاء ما فعله منكبرس ببغداد في فترة توليه شحنتها (512-513هـ/1119-1120م) من ظلم وتعدي على الناس ومصادرة أموالهم، واكتفى بالشكوى إلى السلطان محمود من أفعال صاحب الشحنة (2)، واستفحل خطر دُبَيْس في 514هـ/1121م، إذ استغل صراعات السلاجقة ونهب البلاد وفعل الأفاعيل، فاكتفى الخليفة بالطلب من السلطان محمود كف دُبَيْس عن فعله (3)، ما جعل دُبَيْس يستمر في أفعاله فنهب بغداد وسواها وقتل وسفك دماء أناس كثير، ولم يستطع الخليفة الرد على هذه الأفعال، فبعث إلى دُبَيْس ينكر عليه ما يقوم به ويأمره بالكف عنها، ولم يستمع دُبَيْس إلى أوامر السلطان محمود له بالكف عن أفعاله، وسار دُبَيْس بنفسه إلى بغداد ونزل بالقرب من دار الخلافة فاضطرَّ السلطان محمود إلى أن يأمر متولي شحنة بغداد بمحاربته فهرب دُبَيْس إلى الحلة ومنها إلى واسط (4)، وفي سنة 516هـ/1123م تجدد النزاع بين البرسقي ودُبَيْس بعد أن تولى البرسقي شحنة بغداد وكلفه السلطان محمود بمحاربة دُبَيْس، والتقى الطرفان في معركة لم يشترك فيها الخليفة، انتصر فيها دُبَيْس وفرض شروطه على البرسقي والخليفة (5).

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 186-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 176-177.

(2) المصدر نفسه، جـ 9، ص 177؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 279؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1026-1027.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 186-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 194؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1033.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 195-197؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 193-194.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 213-214؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 235-236؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1036.

وفي مجال الوزراء وتعيينهم سار الخليفة المُستَرشد في هذه الفترة (512-516هـ/1119-1123م) على نهج الخلفاء السابقين، إذ امتثل لإرادتهم في تعيين من يروونه مناسباً، وعزل غيره، فبعد بيعته أقر الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين (ت561هـ/1166م) وذلك نزولاً عند رغبة أبيه وزير السلطان محمود، لكنه عاد وعزله سنة 513هـ/1120م إثر مقتل والده⁽¹⁾، وفي سنة 516هـ/1123م، عزل وزيره ابن صدقة وولّى مكانه الوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك الطوسي، بتأثير من أخيه شمس الدين عثمان بن نظام الملك الطوسي وزير السلطان محمود⁽²⁾، ثم عزله بعد عدة شهور عندما طلب منه ذلك السلطان محمود⁽³⁾.

ويبدو أن الخليفة المُستَرشد كان مضطراً إلى هذه السياسة في هذه الفترة من خلافته لإدراكه أنه لا يستطيع مواجهة السلاجقة، فعمل على إرضائهم مع الاستعداد لمواجهتهم فبعد بيعته سنة 512هـ/1119م سعى الخليفة إلى تثبيت أركان دولته فعمد إلى القضاء على حركة أخيه أبي الحسن بالاعتماد على جيش دُبَيْس بن صدقة، كما خلص إدارته من غير الموالين له، فعزل صاحب المخزن يوسف بن أحمد الخريزي (ت513هـ/1120م) وقبض على القضاة علي بن كمونة وابن غليان و الكاتب علي بن افلح البغدادي وجماعة معهم بتهمة التعاون مع حركة أخيه، ودُبَيْس ابن صدقة⁽⁴⁾.

عمل المُستَرشد على التقرب من العامة للاعتماد عليهم في ما قد يحدث من نزاعات مع السلاجقة، فأظهر تمسكه بأهداب الدين الإسلامي وأراق الخمر في

(1) ابن الديبشي، ذيل، جـ1، ص 227-228؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 293.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 516؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 250-251؛ الكازروني، المختصر، ص 223؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 248؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص 127؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص 66. أنظر الفصل الثاني: الوزارة في خلافة المُستَرشد .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 163؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص 169-170؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 83.

سوق السلطان ونقض بيوت أصحابها⁽¹⁾، وأسقط من الإقطاع المختص به كل جور، وأمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت به العادة القديمة، وأسقط ما استحدثه السلاطين ونوابهم من ضرائب فأسقط ضمان غزل الذهب، محاولاً التخفيف عن الصناع والتجار ما يلقونه من أذى العمال وخسارة أموالهم⁽²⁾. كما ضبط الخليفة أمور دار الضرب إثر ما حدث فيها من مخالفات، إذ اشتكى عمالها أنهم يخسرون، وحين عرض الأمر على صاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، فسمع الخليفة بالخبر، فأمر بإجراء تحقيق في الأمر، فأظهرت التحقيقات أن العمال يربحون، وأن صاحب المخزن يعاونهم في ذلك، مقابل حصوله على سبعين ديناراً شهرياً، فأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبي مسؤولاً عن دار الضرب، فأثر على إيرادات صاحب المخزن⁽³⁾ واستطاع بعدها عمال الضرب التأثير على الوزير ابن طراد والذي حقق الأرباح الكبيرة، بدليل أنه غزل وقبض عليه، كما قبض معه على كاتب الزمام ابن الوزان، فكانت ثروة الوزير كبيرة، "عثر عنده على سبعين قطعة فضة سوى المراكب، ونيقاً وثلاثين قطعة فضة ومعضدة وقيمتها مائة ألف دينار، واستمر نقل ما عنده من أثاث ثلاثة أيام"⁽⁴⁾، كما استغل الخليفة انشغال السلاجقة في نزاعاتهم وتهديدات دُبَّيس لبغداد وغاراته عليه لمرات عديدة، لتأسيس جيش خاص به خصص له الأرزاق والسلاح وأعاد العمل بديوان العرض الخاص بالجند، ونما هذا الجيش بسرعة حتى بلغ تعدادَه سنة 517هـ/1124م، اثني عشر ألف فارس⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 187؛ الذهبي، تاريخ، أحداث ووفيات (501-520هـ)، ص 285.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 179؛ فوزي، فاروق عمر، النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة (247-656هـ/861-1258م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد 1989م، ص 130، سيشار إليه تالياً فوزي، النهوض

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 269.

(4) ابن حمدون التذكرة، ص 173؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 272؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 140.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 179؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 109-110؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 266.

كان لهذه الإجراءات التي قام بها المُستَرشد أثرها الواضح في نفوس الناس، فازداد ولاؤهم له فأصبحوا يحبونه لرحمته بهم، والتفوا حوله في حروبه مع دُبَيْس والسلاجقة طوال فترة خلافته (512-529هـ/1119-1135م) " وكان محبباً فيهم بمرّة، لما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم" ⁽¹⁾ كما حاز المُستَرشد على ثقة السلاطين السلاجقة رغم تخوفهم منه، فأقطعه السلطان سنجر سنة 513هـ/1120م عشرة آلاف دينار، كما نال الوزير المبلغ نفسه ⁽²⁾

2.4.3- المرحلة الثانية: المواجهة الأولى (517-525هـ/1124-1131م)

كان الخليفة المُستَرشد يدرك أن السلاطين السلاجقة لم يهتموا بحماية بغداد بالقدر الكافي، وأنهم كانوا قادرين على إزالة ما يشكله دُبَيْس بن صدقة من تهديد لكنهم أرادوا إبقاءه أداة ضغط على الخليفة لتحقيق أهدافهم والحد من طموحاته، وهذا ما ذكره ابن الجوزي حين قال " فإن دُبَيْس كان يعادي المُستَرشد بالله، ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارعة المُستَرشد... " ⁽³⁾، فبادر الخليفة المُستَرشد إلى الاعتماد على جيشه الخاص في مواجهة تهديدات دُبَيْس، ومحاولة التقليل من النفوذ السلجوقي في العراق ⁽⁴⁾، فبعد هزيمة شحنة بغداد من قبل دُبَيْس سنة 516هـ/1123م، وفرض شروطه على الخليفة ومتولي الشحنة ⁽⁵⁾، أظهر دُبَيْس ولاءه للخليفة وطلب الصفح والعفو فعفا عنه ⁽⁶⁾، لكنه لم يلتزم بما أُتفق

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205-210؛ الكازروني، مختصر، ص22؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-220؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-110؛ الأزدي، أخبار، جـ2، ص443؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص297-299؛ الذهبي، سير، جـ19، ص565-566.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص173.

(3) المصدر نفسه، جـ17، ص299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص285؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204.

(4) EI², Saldjukids, VIII pp 943.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص214؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص100-101، ابن العديم، بغية، جـ7، ص3480.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص214.

عليه مع الخليفة واستمر في اعتداءاته على بغداد وما جاورها فنهب واسط وأخذ كل ما للخليفة فيها ونهب منطقة نهر مالك ببغداد وأجلى الناس عنها (1)، فاستعد الخليفة لمواجهة دُبَيْس وجمع عساكره (2)، واستغل مركزه الديني والروحي في استنهاض أهل بغداد (3)، فاستصدر فتوى شرعية تبيح قتال دُبَيْس "لأنه يسب الصحابة، ويترك الصلوات، وليس في بلاده مؤذن، ولا جمعة، وأنه يشرب الخمر في نهار رمضان، وأنه يسفك الدماء" (4)، فالتفَّ حوله العامة، وخرج الخليفة يقود جيشه بنفسه (5)، في موكبٍ عظيمٍ يضم كبار رجال دولته وعليه بردة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (6)، واشتبك مع دُبَيْس في معركة كبيرة قاتل فيها الخليفة بنفسه، وانتصر فيها، وقتل وأسر عدد كبير من عسكر دُبَيْس (7).

اكتسب هذا الانتصار أهمية خاصة في هذه الفترة من حياة الخلافة العباسية في ظل السيطرة السلجوقية، وحقق الخليفة بعض المكاسب منها:

- 1- مثل هذا الانتصار نقطة تحول في تاريخ خلفاء هذه الفترة، فلأول مرة في ظل السيطرة السلجوقية يقف الخليفة بوجه معارضييه ويحاربهم بنفسه في معركة كبيرة، فبدأت الخلافة قادرةً على أن ترد المعتدين عنها (8).

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 209؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 215.

(2) القزاز، الحياة، ص 62-63.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219؛ فوزي، النهوض، ص 131.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 100-101؛ الجالودي، تطور، ص 17.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219-221.

ابن الأثير، الباهر، ص 26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 109-110.

الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 297-299.

(8) السامرائي، الدولة، ص 284.

2- التأكيد على قوة الخليفة الروحية ودوره في إثارة العامة للمشاركة في الدفاع عن بغداد والوقوف في وجه المعتدي⁽¹⁾.

3- مواجهة التهديد الذي يمثله دُبَيْس والحد من قدرته على الاستمرار في تنفيذ مخططاته في الاعتداء على بغداد⁽²⁾.

4- شكل هذا الانتصار نقطة تحول في سير العلاقات بين الخليفة والسلطين السلاجقة، إذ أكد على قدرته على التأثير في مجريات الأحداث في العراق وجوارها، وبدأ السلاجقة يتخوفون من تأثير الخليفة على نفوذهم في العراق⁽³⁾.

عاد الخليفة بعد انتصاره إلى بغداد، وهو يدرك ما سيترتب عليه من تحول في علاقته مع السلطين السلاجقة، فأخذ يعد عاصمته لمواجهة هذه النتائج؛ فعمل على تحصينها عن طريق إحاطتها بسور يساعد في حمايتها. وبدايةً جُمعت الأموال اللازمة لهذا السور من العامة والتجار لكن هؤلاء ضجوا على ذلك، فأعاد الخليفة أموال الناس إليهم، واستمر في بنائه من ماله الخاص⁽⁴⁾، مما دفع الناس إلى الالتفاف حوله والمشاركة في بناء السور؛ إذ كان كل أهل محلة يعملون يوماً حتى تمّ بناءه⁽⁵⁾، وأدى إتمام هذا السور في زيادة تماسك أهل بغداد، ووحدتهم ومكّنهم من مواجهة الأخطار وزاد ولائهم للخليفة "... وحق الله يا مولانا أن الذي نتحدث به الناس فيما بينهم من أن أحدهم كان يعود من معيشته ويأوي إلى منزله، فيدعو بالنصر والحفظ للدولة"⁽⁶⁾. وتنبه السلاجقة لما كان يحدث في بغداد، وأدركوا أن

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 228-229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 232-233؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 241.

(3) السامرائي، الدولة، ص 285.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 110؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520 هـ) ص 298.

(5) ابن الجوزي، مناقب، ص 15-18؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520 هـ)، ص 298.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 218-219.

ال خليفة المُستَرشِد بات يشكل خطراً على نفوذهم في العراق، وأنه يسعى للاستقلال بالعراق.

كان الأمير طغرل بن محمد حاكم ساوة وآرة وزنجار أول المبادرين من السلاجقة لمحاربة الخليفة إذ أنه كان يرغب في التمرد على حكم أخيه السلطان محمود منذ عام 513هـ/1120م⁽¹⁾، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب ضعفه في مواجهة قوة أخيه محمود، وفي سنة 518هـ/1125م أُتيحت له إمكانية تحقيق هدفه بالتعاون مع دُبَيْس الذي فرّ إليه بعد هزيمته من الخليفة سنة 517هـ/1125م وحرّضه على احتلال العراق، وإجبار الخليفة على أن يخطب له بدلاً من السلطان محمود، فاتفقت مصالح الاثنين؛ فطغرل يسعى إلى الإطاحة بحكم أخيه محمود، ودُبَيْس يسعى إلى الثأر من الخليفة والعودة إلى إمارته في الحلة⁽²⁾.

وعلم الخليفة بنوايا دُبَيْس وطغرل في مهاجمة بغداد؛ فأخذ يستعد لمواجهة هذا التحالف فمن الناحية السياسية عمل الخليفة على تحسين علاقاته مع كبير السلاجقة السلطان سنجر، فسعى إلى الزواج من ابنته، وبعث قائد جيشه الأمير نظر وكاتب الإنشاء ابن الأنباري إلى خراسان لخطبتها إليه، وتم الزواج في سنة 518هـ/1125م، وكان المتولي للعقد والخطاب القاضي أبو سعيد الهروي⁽³⁾، ومن الناحية العسكرية لم يبد الخليفة أية علامات للتنازل أو المساومة، بل أمر وزيره ابن صدقة بالتأهب لمحاربتهم وجمع الجيوش، واستنجد الأجناد لمواجهة تحالف دُبَيْس وطغرل ومضى الخليفة سنة كاملة يعد جيشه ويتأهب لمواجهة⁽⁴⁾، وحرّض العامة على الاستعداد لمواجهة الخطر الذي يهدد بغداد ووزع السلاح بينهم⁽⁵⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص181-182؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-

520هـ)، ص213؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1035

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص219-220، 228؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص221. ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1040.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224-225؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232.

(5) المصدر نفسه، جـ9، ص232.

أما الدولة السلجوقية ممثلة بالسلطانين سنجر ومحمود ، فلم تذكر المصادر أي دور لهما في وقف هذا الهجوم، لا بل يبدو أن السلطان سنجر سمح لدُبَيْس وطغرل بالقيام به، إذ إنهما لجأ إليه بعد هزيمتهما من قبل الخليفة واستجاب لتحريضهما ضد الخليفة⁽¹⁾.

بعد أن أكمل الخليفة استعداداته سار على رأس جيشه والذي قدر عدده باثني عشر ألف فارس، بالإضافة إلى من شاركه من عامة بغداد، فخرج من باب النصر يرتدي السواد وعليه البردة وبيده القضيب، يرافقه كبار رجال دولته وقسم جيشه إلى فرقتين قاد الأولى بنفسه، وأوكل للوزير ابن صدقة قيادة الثانية، واتخذ من منطقة الدسكرة على مشارف بغداد معسكراً لقواته⁽²⁾، فيما نزل طغرل في منطقة جلولاء، ونزل دُبَيْس في منطقة الهارونية⁽³⁾.

تخوف طغرل ودُبَيْس من مواجهة الخليفة بعدما سمعا عن قوته، ووضعوا خطة جديدة تقوم على أن يلتفوا ويصلا إلى بغداد فينهبها، وقام دُبَيْس بتنفيذ مهمته من الخطة، في ما أعاق المرض والمطر طغرل عن تنفيذ ما تعهد به، واقتربت جنود دُبَيْس من بغداد، فخشى الناس وأخذوا أسلحتهم، وخشي الخليفة على بغداد بعدما سمع بقرب جنود دُبَيْس منها، فأسرع وأدرك دُبَيْس من غير أن يعلم به، وقبض عليه ثم عفا عنه، فهرب واتصل بطغرل الذي بقي في معسكره بعيداً عن بغداد، وسارا إلى السلطان سنجر وحرصاه على الخليفة والسلطان محمود⁽⁴⁾، كان رأي الوزير ابن صدقة قتل دُبَيْس لكن الخليفة عفا عنه وأخلى سبيله، ويبدو أن

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 233؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 241؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1042.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 224؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 232؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 241؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1041.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 228؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1041.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 229؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 241؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 232؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1042.

ال خليفة أخطأ في ذلك إذ بقي يشكل خطراً على الخلافة حتى وفاته سنة 529هـ/1135م .

أثار انتصار الخليفة مخاوف السلطانين سنجر⁽¹⁾ ومحمود، فمع أن سنجر أظهر ولاءه وتبعيته للخليفة فسجن دُبَيْسَ تقريباً له، إلا أنه بدا يفكر في الخطر الذي يشكله الخليفة وما يتمتع به من قوة روحية وعسكرية، فعزم على مهاجمة بغداد وتوعد الخليفة، ووزيره، فكتب إليه الوزير ابن صدقة مهدداً إياه قائلاً: "والله لئن تحركت لأقطعنّ جميع ما وراءك عنك، وأقطعك عنه، ولئن سرت فرسخاً لأسيرنّ إليك فرسخين"⁽²⁾، ولكنه تراجع عن تنفيذ مخططه في مهاجمة بغداد وقد يكون ذلك عائداً لانشغاله في حروبه في بلاد ما وراء النهر، وخشيته من قوة الخليفة خاصة بعدما سمعه من تهديدات الوزير ابن صدقة.

وكان الخليفة يعرف ما يكنه السلطان سنجر له من عدااء وأنه يسعى لتقليص نفوذه، والحد من طموحاته في الاستقلال بالعراق، فسعى إلى عقد تحالف مع السلطان محمود ضده، وتبادل الخليفة الرسائل مع السلطان محمود، وشكر محمود الخليفة على موقفه في وجه طغرل ودُبَيْسَ: "قد علمت ما فعلت لأجلي، وأنا خادمك وصائر إليك" واتفق الخليفة ومحمود على التحالف في وجه سنجر وأن يشتركا في قتاله ويكون محمود في السلطنة وحده⁽³⁾.

خشي السلطان سنجر من هذا التحالف، وأدرك أن الخليفة يسعى إلى التخلص من السيطرة السلجوقية، وأن تحالفه مع محمود مجرد وسيلة لتحقيق أهدافه، فأرسل إلى ابن أخيه محمود وحذره من التحالف مع الخليفة، وأن الخليفة سيغدر به بعدما يتخلص من سنجر، فقال له: "أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك، فإذا اتفقتما علي، فرغ مني، وعاد إليك، فلا تلتفت إليه، وأنت تعلم أنه ليس لي ولد ذكر، وأنتك ضربت معي مصافاً، وظفرت بك، فلم أسئ إليك، وقتلت من كان سبباً

(1) حاملة، "دور"، ص280.

(2) ابن الطقطقا، الفخري، ص305..

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)

ص308؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص242.

لقتالنا، وأعدتك إلى السلطنة، وجعلتك ولي عهدي، وزوجتك ابنتي، فلما مضت إلى الله تعالى زوجتك الأخرى، ورأيي فيك رأى الوالد، فانه الله أن تعول على ما قال لك، ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد، ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة، وتقتل الأكراد الذين قد دونهم، وتأخذ النزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر، وتقول: أنا سيفك وخادمك وأنت تعود إلى دارك على ما جرت به عادة آبائك، وأنا لا أحوجك إلى تعسف، فإن فعل وإلا أخذته بالشدة، وإلا لم يبق لك ولا لي معه حكم⁽¹⁾.

وترامنت تحذيرات سنجر مع شكوى الأمير برنقش الزكوي متولي شحنة بغداد من الخليفة، الذي جرى بينه وبين موظفي الخليفة خلافات سيطر على أثرها الخليفة على أملاك السلاجقة في بغداد، فخشي الزكوي على نفسه، وغادر بغداد واتجه إلى السلطان محمود وحذره من الخليفة ونواياه، وأنه يجمع العسكر ويعد للاستقلال بالعراق وإنهاء السيطرة السلجوقية، وأنه قاد العساكر وخاض الحروب وزادت ثقته بنفسه، وإذا لم تعالج هذا بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعاً ومنعك، وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده⁽²⁾، وأن الخليفة كون جيشاً خاصاً تألف من عناصر متعددة مثل العرب والأكراد، كما استطاع الخليفة استقطاب الأمراء المناوئين للسلاجقة، فزادت قوته بهم⁽³⁾.

كان لتحذيرات السلطان سنجر وشكوى متولي شحنة بغداد أثرها الواضح في نفس السلطان محمود فأخذ يتخوف من نوايا الخليفة⁽⁴⁾، وعزم على التوجه إلى بغداد والسيطرة عليها، والقضاء على قوة الخليفة⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 231-235؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 308.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 237؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1042-1043.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 229.

(4) الجالودي، تطور، ص 118.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 238؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1043.

أما الخليفة المُستَرشد فعمل في البداية على محاولة ثني السلطان محمود عن السير إلى العراق وأرسل إليه كاتب الإنشاء ابن الأنباري يقول له " تقنع أن تتأخر في هذه السنة عن بغداد لقلة الميرة والناس في عقب الغلاء"⁽¹⁾، وتعذر الخليفة بأن العراق لا يكفي لعسكر السلطان، وخاصة بعدما خربه دُبَيْس، كما أن الخليفة يمتلك العسكر الذي يحتاج إلى نفقات كبيرة لا يمكن للعراق أن يكفها إذا ما دخل إليه عسكر محمود⁽²⁾، لكن ذلك لم يثن السلطان محمود عن عزمه على التوجه إلى بغداد، فلجأ الخليفة إلى الاستعداد لملاقاته والدفاع عن عاصمته، فسعى إلى استقطاب العامة حوله مستغلاً مكانته الدينية وحب الناس له⁽³⁾. وفي الجانب العسكري شرع في حفر الخنادق وتوزيع الأسلحة على الناس وجمع العساكر وأمر الناس بإخلاء الجانب الشرقي من بغداد، والعبور إلى الجانب الغربي، وأغلق أبواب السور، ولم يبقَ منها سوى باب النوبة⁽⁴⁾، وحاول ضم بعض المناطق المجاورة، وفتح جبهات جديدة ضد السلطان محمود ونائبه في البصرة عماد الدين زنكي، فأرسل الخليفة قائده (عفيف) إلى واسط للسيطرة عليها، ومنع نواب السلطان من دخولها، فوصلها عفيف والتقى بعماد الدين زنكي، ووقع القتال بين الطرفين، فانتصر زنكي وفر (عفيف) وعاد إلى بغداد⁽⁵⁾.

وصل السلطان محمود إلى مشارف بغداد في الرابع من ذي القعدة سنة 520هـ/1127م وفرض عليها حصاراً شديداً، ونهب جنوده بعض دور الناس، لكنه لم يستطع دخولها⁽⁶⁾، فحاول فرض الصلح على الخليفة ودخول بغداد، وأرسل إليه

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 231؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 308.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 216.

(3) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 309.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 232 ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 238؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1043.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 238.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 232 ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 238؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1043.

شحنة بغداد الزكوي، الذي اجتمع مع الخليفة بحضور كبار موظفي دولته فرفض الخليفة عرض السلطان محمود، والسماح له بدخول بغداد، ورد على هذا العرض بالقول: "أن أقول له يجب أن تتأخر هذه السنة عن العراق فلا تقبل، ما بيني وبينك إلا السيف" وكان الخليفة في حالة شديدة من الغضب، إذ كاد يقتل الزكوي لولا أن ذكره الوزير ابن صدقة أن هذا رسول (1).

غضب السلطان من رد الخليفة، وشدّد حصاره على بغداد، وحصل بعض القتال بين الطرفين، ودخل جنود السلطان إلى دار الخلافة في الجانب الشرقي ونهبوا القصر وحجر الخليفة وذلك في الأول من محرم سنة 521هـ/1128م، فضج الناس واجتمعوا وثاروا ونادوا الغزاة الغزاة وجاءوا من كل ناحية، ولما رآهم الخليفة نادى بأعلى صوته: يالهاشم، يالهاشم، وأمر بالعبور إلى الجانب الشرقي، فعبر الخليفة ومعه ثلاثون ألفاً من العسكر والعامّة، واشتبكوا مع جنود السلطان، وقتلوا عدداً منهم وأخرجوهم من بغداد، وأمر الخليفة بحفر الخنادق؛ فحفرت بالليل ووقع القتال لعدة أيام (2)، اضطر الخليفة بعدها لقبول الصلح حقناً لدماء أهل بغداد (3) ولانسحاب بعض الأمراء من جيش الخليفة، وانضمامهم إلى جيش محمود، كما وصل عماد الدين زنكي في جيش كبير لمساعدة السلطان (4)، وأتفق الطرفان على إنهاء القتال والسماح لجنود السلطان بدخول بغداد، ومع أن المصادر لم تذكر ما أتفق عليه بشكل صريح، لكن يمكن من خلال متابعة الأحداث اللاحقة نستخلص أنهما اتفقا على:

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 232؛ المقابلة، إحياء، ص 58.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 239 ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 239؛ الذهبي،

دول، جـ 2، ص 31؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1043-1044.

(3) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 310-311.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 242-243؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 239؛

الذهبي، دول، جـ 2، ص 31؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1044؛ السامرائي، الدولة،

ص 288؛ مقابلة، إحياء، ص 58.

1- أن يتعهد الخليفة بأن لا يعود إلى جمع الجيوش، ولا يخرج لقتال ولا يقود الجيوش⁽¹⁾، ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة 525هـ/1131م، أن السلطان محمود اضطرراً لمغادرة بغداد، والتوجه لقتال أخيه مسعود الذي أعلن تمرده عليه، فخشى الخليفة أن يهاجم دُبَيْس بغداد بعد مغادرة السلطان محمود فقال للسلطان: "إنك تعلم ما بيني وبينك من العهد واليمين، وإنني لا أخرج ولا أدون عسكر، وإذا خرجت عاد العدو وملك الحلة، وربما يتجدد منه ما تعلم، فقال له: متى رحلت عن العراق وجدت له حركة وخفت على نفسك وعلى المسلمين وتجدد لي أمر مع أخي فلم أقدر على المجيء، فقد نزلت عن اليمين الذي بيننا، فمهما رأيت من المصلحة فافعله"⁽²⁾.

2- أن يدفع الخليفة مبلغاً من المال للسلطان، وأن يسلم ما عنده من سلاح وخيل وغير ذلك من معدات الحرب⁽³⁾.

3- أن يتعهد السلطان بحماية بغداد من دُبَيْس .

4- أن يقوم السلطان بعزل برنقش الزكوي عن شحنة بغداد⁽⁴⁾.

أظهرت هذه الأحداث مدى قدرة الخليفة على استنهاض العامة وتجميع الجيوش وقيادتها، وما يتمتع به من سلطات روحية جعلت أهل بغداد يلتفون حوله ويدافعون عن الخلافة بكل قوة، كما كان الخليفة قادراً على استقطاب القوى المناوئة للسلاجقة.

حقق ما أُنْفِق عليه الخليفة والسلطان محمود مصالح السلاجقة، وثبت نفوذهم في العراق، وحدّ من طموحات الخليفة في الاستقلال، ونص على ما طلبه السلطان سنجر من السلطان محمود حين أمره بالتوجه إلى بغداد سنة 519هـ/1126م، واستقرت علاقات المُسْتَرْشِد مع السلاجقة بعد هذا الاتفاق وحاول الخليفة توثيق علاقاته مع السلطان سنجر لما له من تأثير في مجريات الأحداث فبعث إليه النقيب

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 239.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 263-264.

(3) 232 ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 239؛ الحسيني، العراضة، ص 115.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 244 ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 241.

ابن طراد الزينبي ومعه الخلع وطلب منه إبعاد دُبَيْس من بلاده، فأكرم السلطان ابن طراد لكنه أبقى على دُبَيْس بجواره⁽¹⁾.

اتسمت علاقات الخليفة بالتوازن في الفترة المتبقية من حياة السلطان محمود (522-525هـ/1129-1131م)، إذ نفذ كل طرف ما أُتفق عليه وكان الخليفة يخطب للسلطان سنجر والسلطان محمود⁽²⁾، وقام السلطان بواجبه بحماية بغداد من دُبَيْس، ففي سنة 522هـ/1129م، وصلت أخبار تفيد بنية دُبَيْس مهاجمة بغداد، فانزع الخليفة وأهل بغداد وكتب الخليفة إلى السلطان محمود " إنك إن لم تمنعه من المجيء، وإلا احتجنا أن نخرج إليه، وينتقض العهد الذي بيننا " فبادر السلطان إلى المجيء إلى بغداد ومنع دُبَيْس من الاعتداء عليها⁽³⁾.

3.4.3- المرحلة الثالثة: المواجه الثانية والاستقلال (525-529هـ/1131-1135م)

سعى الخليفة المُستُرشد في هذه الفترة إلى الاستقلال بالعراق مستغلاً إنشغال السلاطين السلاجقة في نزاعاتهم حول السلطة⁽⁴⁾ بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، وحروب سنجر مع القبائل القرخائية في بلاد ما وراء النهر⁽⁵⁾. فقبيل وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، استطاع الخليفة التخلص مما أُتفق عليه مع محمود سنة 521هـ/1130م مستغلاً عدم مقدرة السلطان على الوفاء بما تعهد به من حماية بغداد من دُبَيْس بسبب انشغاله في القضاء على تمرد أخيه مسعود، وترك السلطان محمود للخليفة حرية تكوين الجيوش لحماية بغداد في

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 244.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 249.

(3) المصدر نفسه، جـ 17، ص 250-252.

(4) EI², Saldjukids, VIII pp 943

(5) إقبال، تاريخ، ص 282-283.

حال عدم مقدرته على ذلك، فلم يستطع محمود تنفيذ واجبه تجاه بغداد ولذلك اعتبر الخليفة ما اتفق عليه منتهياً⁽¹⁾.

عاد الخليفة إلى تنظيم الجند وتدوينهم في ديوان العرض، واستولى بعد وفاة السلطان محمود على جميع ممتلكات السلاجقة في بغداد، وسيّر قائده (إقبال) إلى الحلة وأمره على بابل وضم إليه عشرة آلاف مقاتل من العرب والترك والأكراد⁽²⁾، واستقطب الأمراء المناوئين للسلاجقة في الشام والعراق والجزيرة الفراتية، وجاءته العساكر من الشام وديار ربيعة وانضم إليه الأعراب والأكراد ووقعت الهيبة في قلوب السلاجقة⁽³⁾.

تجددت صراعات السلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود، إذ أوصى السلطان محمود قبل وفاته بالحكم لابنه داود، وأقيمت له الخطبة في بلاد الجبل وأذربيجان، يعاونه أتابكه آقسنقر الأحمدي ووزيره أبو القاسم الأنسابادي⁽⁴⁾، وبعث يطلب الخطبة من الخليفة، فرفض الخليفة لعلمه بمنافسة أعمامه أبناء السلطان محمد (مسعود، طغرل، سلجوقشاه) له،⁽⁵⁾ وكما رفض المسترشد طلب عماد الدين زنكي الخطبة للطفل ألب أرسلان بن محمود والذي يتولى زنكي أتابكته⁽⁶⁾، ورفض الخليفة كذلك طلب مسعود بالخطبة له⁽⁷⁾، وأخرج الخليفة نفسه من دائرة الصراع حول السلطة، وأرجع أمر تحديد سلطان سلاجقة العراق إلى السلطان سنجر، فهو

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 263-264؛ القزاز، الحياة، ص 47؛ الجالودي، تطور، ص 119؛ مقابلة إحياء، ص 58.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 217.

(3) المصدر نفسه، ص 217.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل، ص 259؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1046.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 262.

(6) أبو الفداء، المختصر، ص 66-67؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1046. السامرائي، الدولة، ص 288-289.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 262.

المتحكم بالخطبة ولا يخطب لأحد من دون علمه، كونه "عم القوم وكبيرهم" (1)، ويبدو أن الخليفة أقدم على هذا الفعل مدفوعاً بالعوامل التالية:

1- أن الخليفة يدرك أن قوة السلاجقة تكمن في سنجر الذي يمتلك خراسان ويسيطر على مناطق واسعة، فأراد الخليفة بذلك توجيه أنظار المتنافسين حول السلطة إلى هذه القوة، سعياً منه إثارة نفقتهم عليها وإحداث نزاعات معها (2).

2- أن الخليفة لا يمكنه الركون لأي من المتنافسين لتكافئهم في القوة وعدم ثقته بأي منهم لفرض سيطرته التامة على الآخرين (3).

3- أراد الخليفة إبعاد السلاجقة عن العراق و بغداد بشكل خاص خشية منه على أهلها وتجنبيها عواقب صراعاتهم (4).

كسب الخليفة بفعله هذا رضى السلطان سنجر وضمن تأييده له (5)، وأصبح يقوم بدورٍ محوريٍّ في صراع السلاجقة، وعمل على تأجيج الصراع بينهم فبعد أن رفض الخطبة لأي من السلاطين المتنافسين عاد في سنة 526هـ/1132م وخطب لداود بن محمود، مما أثار غضب مسعود بن محمد الذي طلب العون من صاحب الموصل عماد الدين زنكي، فوعده بالمساعدة واشتبك مسعود مع ابن أخيه داود وانتصر عليه (6)، وزاد عدد الساعين للسلطة؛ فطلبها بالإضافة إلى داود ومسعود سلجوقشاه بن محمد بتحريض من أتابكه قراجه الساقى صاحب فارس وخوستان، وسار سلجوقشاه إلى بغداد فأكرمه الخليفة، وتبعه أخوه مسعود، ووقع القتال بين جند زنكي المتحالف مع مسعود وجند سلجوقشاه فهزم زنكي (7).

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص47؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046

(2) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

(3) أبو الفداء، المختصر، ص66؛ السامرائي، الدولة، ص288-289.

(4) السامرائي، الدولة، ص289؛ المقابلة، إحياء، ص56.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263؛ أبو الفداء، المختصر، ص68؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.

أما السلطان سنجر فأراد القضاء على صراعات داود ومسعود وسلجوقشاه وتنصب طغرل بن محمد المقيم عنده منذ هزيمته من الخليفة سنة 519هـ/1127م⁽¹⁾ وسار إلى بغداد على رأس جيش كثيف ومعه طغرل، فحاول الخليفة تكوين جبهة مضادة لهذا التحالف، وجرى مفاوضات مطولة بين مسعود وداود وسلجوقشاه، أفضت إلى عقد تحالف بينهم، تعاهدوا فيه على الوقوف في وجه السلطان سنجر وطغرل وعلى أن يكون العراق للخليفة وحده، وتكون السلطة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولياً للعهد وتعاهدوا على محاربة سنجر⁽²⁾، بهذا يكون الخليفة قد ضم تأييد هؤلاء المتنافسين لاستقلاله بالعراق ووقوفهم إلى جانبه في وجه سنجر، ومحاولاته الحد من طموحات الخليفة.

علم سنجر بهذا التحالف فخشي على نفسه، وأرسل إلى الخليفة مظهراً طاعته له وقال "أنا العبد ما أردت مني فعلت" فلم يقبل الخليفة منه ذلك ورفض الخطبة له⁽³⁾ كما حاول سنجر تفكيك هذا التحالف عن طريق فتح جبهة جديدة ضد الخليفة فبعث دُبَيْس، وأقطع الحلة، وولى زكي شحنة بغداد، وأمرهما بالسير لمحاربة الخليفة والسيطرة على بغداد⁽⁴⁾.

سار مسعود وسلجوقشاه وقراة لملاقاة السلطان سنجر وطغرل، والتقى الطرفان بالقرب من الدينور، وكان سنجر يتفوق عليهم عدداً، واستطاع الانتصار

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 233؛ أبو الفداء المختصر، ص 68؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 241؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1042-1043.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 263؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 47-48؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1047.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 270.

(4) المصدر نفسه، جـ 17، ص 271؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 265؛ أبو الفداء المختصر، جـ 2، ص 69؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 48؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 59؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1047-1048.

عليهم وقتل قراجة ونصب سنجر طغرل على سلاجقة العراق وعفى عن مسعود وسلجوقشاه واکرمهما وأعادهما إلى إقطاعاتهم، وعاد هو إلى خراسان⁽¹⁾.

أما الخليفة فكان ينوي مرافقة مسعود وسلجوقشاه، لكنه سمع بخبر توجه زنكي ودُبَّيس إلى بغداد، فعاد إلى بغداد وعبر إلى جانبها الغربي، وحشد العامة حوله بإظهاره تمسكه بأهداب الدين الإسلامي " خرج كل من في البلد وضاع العسكر بين الخلق وأخرجوا كل ربعة ومصحف في البلد ونشروا المصاحف، وأخذوها بأيديهم مفتوحة يقرأون منها بين الصفيين"⁽²⁾، واشتبك الخليفة مع دُبَّيس وزنكي في معركة كبيرة، هزمهما فيها وقتل وأسر عدداً كبيراً من جنودهم⁽³⁾، ورفض قبول طلب السلطان سنجر بتولية زنكي شحنة لبغداد، واشترط على زنكي طرد دُبَّيس من الموصل إذا أراد مصالحة الخليفة وهدده بالزحف إلى الموصل⁽⁴⁾.

سعى الخليفة بعد هذه الأحداث إلى تثبيت استقلاله، فمع أنه أعاد الخطبة للسلطان سنجر بعد انتصاره على مسعود وسلجوقشاه⁽⁵⁾ إلا أنه رفض الخطبة للسلطان طغرل، واشترط عليه القدوم إلى بغداد وإظهار طاعته؛ حتى يحضى بالخلع والخطبة، فلم يقبل طغرل بذلك ولم يخطب له ببغداد طوال فترة حكمه (526-529هـ/1132-1135م)⁽⁶⁾ واستولى الخليفة على أملاك السلاجقة في العراق، وطالب موظفيهم في بغداد بما فيهم الشحنة، أن يكونوا تابعين له ويأتمرون بأمره، إذ طلب الخليفة من الأمير بهروز شحنة بغداد مرافقته في حربه ضد صاحب الموصل عمادالدين زنكي سنة 527هـ/1133م فاعتذر بهروز بشيخوخته،

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 263-264؛ أبو الفداء، المختصر، ص 69؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 48-49؛ البنداري، تاريخ، ص 143-145؛ ابن العماد، شذرات، جـ 4، ص 77.

(2) ابن العمراني، الإنباء، ص 217؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 50-51.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 265؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 48؛ الذهبي، دول،

جـ 2، ص 33.

(4) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 145.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 272.

(6) الحسيني، أخبار، ص 101.

وعدم مقدرته على الحرب، فطلب منه الخليفة تسليم القلعة والأموال التي معه والدخول في طاعة الخليفة، فأجاب إلى طاعة ورفض تسليم القلعة والأموال⁽¹⁾، فأرسل الخليفة العسكر وحاصر القلعة ووقع القتال بين الطرفين وأجبر بهروز على تقديم الأموال، وطرده الخليفة وسيطر على دار السلطنة⁽²⁾.

لم يكتفِ الخليفة بالسيطرة على بغداد بل بعث ولاته إلى المدن العراقية الأخرى، فكان قد سير قائده (إقبال) إلى الحلة منذ سنة 526هـ/1132م واستولى عليها وتصدى لدُبَيْس حين أراد مهاجمتها وهزمه، وسار في أثره وهزمه مرة أخرى بالقرب من واسط⁽³⁾ وفي سنة 528هـ/1134م، سير الخليفة قائده بهروز إلى تكريت فحاصرها وصالح أهلها على مال يدفعونه للمستترشد⁽⁴⁾.

حاول الخليفة في سنة 527هـ/1133م كسب عماد الدين زنكي صاحب الموصل إلى جانبه في صراعه مع السلاجقة، ووضع حدًّا لاتخاذ الموصل ملجأً لأعداء الخلافة، فأرسل إليه الشيخ بهاء الدين أبا الفتح الإسفرايني الواعظ، ولكن مهمته لم تنجح وقبض عليه زنكي وأهانته وسجنه⁽⁵⁾ فلم يرضَ الخليفة بهذا، وأخذ يفكر جدياً في ضم الموصل ومعاقبة زنكي على أفعاله، فخرج على رأس جيش بلغ تعداده اثني عشر ألف مقاتل⁽⁶⁾ وفي طريقه إليه أخضع المُستَرشِد كل المناطق التي مر بها كالرملة وتكريت والمزرقعة، لتمتد دولته من الموصل شمالاً إلى البصرة جنوباً، وفرض حصاراً شديداً على الموصل، اضطر لرفعه بعد ثمانين يوماً أثار سماعه أخبار بتوجه مسعود إلى بغداد ونيتة في السيطرة عليها⁽⁷⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 276.

(2) المصدر نفسه، جـ 17، ص 283.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 283؛ ابن الأثير، الكامل، ص 265.

(4) المصدر نفسه، جـ 9، ص 276.

(5) المصدر نفسه، جـ 9، ص 270؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 52؛ ابن خلدون، العبر،

جـ 6، ص 1050.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 266.

(7) المصدر نفسه، جـ 17، ص 276؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 52؛ الذهبي، دول،

جـ 2، ص 34؛ القلانسي، ذيل، ص 249.

ومع أن الخليفة لم يحقق هدفه في ضم الموصل إلا أن حملته جعلته موقع احترام من السلاطين والأمراء وأخذوا يتسابقون إلى توثيق صلاتهم به⁽¹⁾، وزاد ثقته بجيشه وقوته؛ فاستعرضه في عيد الفطر سنة 528هـ/1134م⁽²⁾ كما سعى زنكي إلى استرضاء الخليفة، ومصالحته فأرسل إليه في سنة 528هـ/1134م أحد قضاته حاملاً التحف والهدايا طالبا منه العفو، وعرض عليه الصلح، فوافق الخليفة شريطة أن يقدم زنكي ابنه (غازي) رهينة ليقم عند الخليفة في بغداد ليتيقن الخليفة من صدق نواياه، وقبل زنكي ذلك فتم الصلح بين الطرفين⁽³⁾.

استمر الخليفة المسترشد في هذه الفترة في العمل على تأجيج الصراعات بين السلاطين السلاجقة، فبعد انتصار السلطان طغرل على أخويه، وتنصيبه سلطاناً من قبل السلطان سنجر سنة 526هـ/1132م⁽⁴⁾ تمرد عليه ابن أخيه داود بن محمود وجمع العساكر بأذربيجان، وبلاد كنجة وسار لحرب طغرل فالتقيا بالقرب من همدان، لكن جنود داود تفرقوا عنه، وهرب أتباعه آقسنقر الأحمدي، فاتجه داود إلى بغداد فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان⁽⁵⁾، وعمل على استقطاب مسعود بن محمد والذي جاء إلى بغداد سنة 526هـ/1132م، وأجرى الخليفة مفاوضات بين داود ومسعود أفضت إلى تحالفهما مع الخليفة ضد السلطان طغرل⁽⁶⁾، نزل مسعود بدار السلطان... وخاطب في الخطبة فأجيب إلى ذلك، وخطب لداود بعده وخلع عليهما، ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما، ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود إلى

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص 218-219؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 278؛ القزاز، الحياة، ص 50؛ حسنين، إيران، ص 145؛ الجالودي، تطور، ص 212.

(2) ابن الأثير، الباهر، 47؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 204؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1050؛ خليل، عماد الدين، ص 55.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 218؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 204؛ الذهبي، دول، ج 2، ص 34.

(4) البنداري، تاريخ، 145-146؛ الذهبي، دول، ج 2، ص 34.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 266-267؛ الحسيني، أخبار، ص 101-102.

(6) الأصفهاني، زبدة، ص 184-187؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 269؛ الحسيني، أخبار، ص 102؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1049.

أذربيجان وأن يرسل الخليفة معهما عسكر⁽¹⁾ وخاطب الخليفة مسعود قائلاً " تلق هذه النعمة بشكرك وأتق الله في سرك وجهرك....وقلده بسيفين، وعقد له لواءين بيده..وسلم الملك داود بن محمود، وأوصاه به مشافهة ، وقال له: انهض وخذ ما آتيتك بقوة وكن من الشاكرين"⁽²⁾.

سار على أثر ذلك مسعود وداود إلى أذربيجان، واستطاعا هزيمة طغرل مستغلين انشغال السلطان سنجر في محاربة القبائل القرخائية⁽³⁾، واستولى مسعود على همدان، وتبع طغرل الذي فر إلى أصفهان، ومنها إلى فارس، وانتصر عليه مسعود مرة أخرى ثم عاد مسعود واستقر في همدان⁽⁴⁾، لكن طغرل أعاد تجميع قواته من جديد، واستمال بعض أمراء مسعود والتقى معه بالقرب من قزوین وهزمه لقلّة جنوده، فأرسل مسعود إلى الخليفة يستأذنه في القدوم إلى بغداد فأذن له وجاء معه نائبه في أصفهان وأخوه سلجوقشاة وأكرمهم الخليفة، وأعطى لسلجوقشاة عشرة آلاف دينار، وقدم لمسعود الخيام و السلاح والدواب وكثير من الأموال⁽⁵⁾ بقي الصراع محتدماً بين مسعود وطغرل وتبادلا النصر والهزيمة حتى وفاته في أوائل سنة 529هـ/1135م⁽⁶⁾.

4.4.3- الحرب مع السلطان مسعود ومقتل الخليفة (529هـ/1135م)

أصبح الخليفة مع نهاية سنة 528هـ/1134م يحكم دولةً تمتد من الموصل شمالاً حتى البصرة جنوباً، كما كوّن جيشاً قوياً يأتّمر بأمره أخضع به معظم مناطق

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269 .

(2) الحسيني، أخبار، ص102.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269-270؛ الحسيني، أخبار، ص103-104.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ القلانسي، ذيل، ص238؛ الحسيني، أخبار، ص103-

104؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص53؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1050

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص274؛ القلانسي، ذيل، ص237-238؛ ابن سباط، تاريخ،

جـ1، ص56؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1051.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ9، ص283.

العراق،⁽¹⁾ وهابية السلاطين ودانت له البلاد⁽²⁾، ولكن ذلك لم يكن يرضي السلاجقة، ولولا انشغالهم في حروبهم، وما كانوا يسمحوا للخليفة القيام بما قام به، فقبيل وفاة السلطان طغرل وعلى الرغم من تحالف مسعود مع الخليفة إلا أن مسعود بدأ يفكر في الخروج على الخليفة، والقضاء على قوته الفتية، ففي بداية سنة 529هـ/1135م، نشب خلاف بين الخليفة ومسعود وكاد القتال أن يقع بين الطرفين لولا مغادرة مسعود لبغداد بعد سماعه نبأ وفاة أخيه السلطاناً طغرل⁽³⁾.

بعد ذلك استطاع مسعود السيطرة على همدان وأعلن نفسه سلطاناً واعترف السلطان سنجر له بذلك وبقي الخليفة ملتزماً له بالخطبة منذ سنة 527هـ/1133م⁽⁴⁾ لكن علاقاته مع الخليفة تأزمت أثر تواتر الأنباء بتغير مسعود وأنه جمع العساكر، وينوي قصد بغداد⁽⁵⁾ وزاد من ذلك انضمام بعض الأمراء السلاجقة إلى جانب المُستَرشد وهم الجاولي شحنة بغداد وكنجه وأرغش وجماعة من السلاجقة في ألفين وخمسمائة فارساً وكذلك انضم إليهم البازدار وابن برسق وقزل ويرنقش، وسنقر الخامارتكين والي همدان وعبدالرحمن بن طغايرك وغيرهم وتحريضهم الخليفة على مسعود وتهوين أمره عنده⁽⁶⁾.

بادر الخليفة إلى الاستعداد لملاقاة مسعود وقتاله، فرحب بالأمراء الخارجين على سلطته وبعث إليهم ابن الأنباري بالأمان والخلع باستثناء دُبَيْس الذي رجع وانضم إلى مسعود⁽⁷⁾، وعند قدومهم اجتمع معهم فحرضوه على قتال مسعود

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 266.

(2) المصدر نفسه، جـ 17، ص 293؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 58؛ البنداري، تاريخ، ص 161؛ ابن الحسيني، أخبار، ص 107.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 291؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 278؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1052.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 278.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 293.

(6) المصدر نفسه، جـ 17، ص 293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 281؛ الحسيني، العراضة، ص 118.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 293.

وسهلوا عليه أمره وحاول الخليفة استقطاب العامة، وإيجاد غطاء شرعي لقتال مسعود، فاستنقى الفقهاء في أمر مسعود؛ فأفتوا بعزله وقتاله⁽¹⁾ وكاتب أمراء الأطراف محاولاً تشجيعهم على الانضمام إليه في حربه ضد مسعود، فحصل على تأييد صاحب البصرة⁽²⁾ وكاتبه أكثر أمراء الأطراف⁽³⁾، وبعث إلى عماد الدين زنكي الذي كان يحاصر دمشق وطلب إليه رفع الحصار والخطبة لصبي ألب أرسلان بن محمود وأن يأتي معه إلى العراق ليخطب له الخليفة في بغداد فرد عليه زنكي بالسمع والطاعة⁽⁴⁾، وقبل مغادرته بغداد تشاور المُستَرشد مع كبار موظفيه؛ فأشار عليه الوزير ابن طراد، بعدم ترك بغداد، والتحصن بها وقال: "إلى أين تمضي وبمن نعتضد إلى من نلتجئ، ومقامنا ببغداد أمكن لنا، ولا يقصدنا أحد، والعراق فيه لنا الكفاية، فإن الحسين بن علي لما خرج إلى العراق جرى عليه ما جرى، ولو أقام بمكة ما اختلف عليه أحد من الناس"⁽⁵⁾ ووافقه على هذا الرأي صاحب المخزن، وكاتب الإنشاء⁽⁶⁾.

يرى بعض الباحثين أن المُستَرشد كان متهوراً ومتسرعاً في سيرة لمحاربة السلطان مسعود وأنه كان عليه أن يتحصن في بغداد، كما أشار عليه كبار رجال دولته⁽⁷⁾، ولكن ذلك لا يمكن أن ينطبق على المُستَرشد وتجربته مع السلاجقة بخاصة وأنه كان يتحين الفرص المناسبة لتحقيق هدفه المتمثل في استقلال العراق

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص294.

(2) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1053.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282؛ الحسيني، العراضة، ص118-119.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص263؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص154؛

القلائسي، ذيل، ص248؛ ابن العديم، تاريخ، جـ2، ص450-451.

(5) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59.

(6) الذهبي، سير، جـ19، ص161؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59. الزهراني، نفوذ،

ص161.

(7) الجالودي، تطور، ص126، السامرائي، الدولة، ص290؛

EI², AL-Mustarshid, VII pp 735.

عن نفوذ السلاجقة، ويبدو أن المُستَرشد اعتقد أن هذه هي فرصته المناسبة لتحقيق هدفه وذلك للأسباب التالية:

1- أن السلطان مسعود مازال حديث العهد بالسلطنة، ولم تتح له الفرصة الكافية لتثبيت أركان دولته كما أن كثيراً من الأمراء انشقوا عليه وأعلنوا انضمامهم إلى المُستَرشد⁽¹⁾.

2- أن جيش الخليفة يفوق جيش السلطان مسعود من حيث العدد والعدة إذ كان جيش مسعود لا يتعدى في بداية الأمر ألف وخمسمائة فارساً، بينما وصل جيش الخليفة إلى سبعة آلاف مقاتل⁽²⁾.

3- أن الأمراء الذين انشقوا على مسعود قد حرضوا الخليفة عليه وسهلوا عليه أمره.

4- أن السلطان سنجر كان مشغولاً في حروبه في بلاد ما وراء النهر ولا يستطيع تقديم أي عون لمسعود⁽³⁾.

5- أن المُستَرشد استطاع حشد قوة كبيرة تكونت من جيشه والقوى المناوئة للسلاجقة وأمراء الأطراف والأمراء الذين انشقوا على مسعود، كما أن زنكي وداود بن محمود⁽⁴⁾ وعدوا بإمداده الخليفة بالجنود عند سيره لمحاربة مسعود⁽⁵⁾.

بناءً على هذا سار المُستَرشد لملاقاة السلطان مسعود وهو واثق بالنصر، وخرج من بغداد في شعبان سنة 529هـ/1135م، يقود جيشه الذي زاد تعداده على سبعة آلاف فارس سوى الراجلة وعامة أهل بغداد، في حين كان جيش عدوه مسعود

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 281؛ الحسيني، العراضة، ص 118.

(2) الفارقي، تاريخ، ص 250؛ ابن العمراني، الإنباء، ص ؛ ابن الكازروني، تاريخ، ص 222؛ البنداري، تاريخ، ص 160-162.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 269-270؛ الحسيني، أخبار، ص 103-104.

(4) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp579.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 282.

لا يتجاوز ألف وخمسمائة فارساً⁽¹⁾، ولكن مسعود أخذ يكاتب الأمراء ويستملهم إلى جانبه فمالوا إليه "فمال الجنس إلى الجنس"⁽²⁾، ونما جيشه بسرعة على حساب جيش الخليفة، كما بعث السلطان سنجر بتعزيزات عسكرية لتقوية جيش مسعود، فوصل جيش مسعود قبيل المعركة إلى خمسة عشر ألف مقاتل، ولم يبق مع الخليفة سوى خمسة آلاف مقاتل، كما لم يصله مدد زنكي وداود⁽³⁾، والتقى الفريقان في العاشر من رمضان سنة 529هـ/1135م في منطقة بدايمرج بالقرب من همدان، ومالت ميمنة الخليفة التي كان يقودها الأمير البازدار والأمير قزل ونور الدولة شحنة همدان إلى جانب مسعود، وقاتلت ميمنة الخليفة ميسرة السلطان قتالا ضعيفاً، وحاصر عسكر السلطان الخليفة الذي بقي صامداً، فأسر هو ووزيره وابن الأنباري وصاحب المخزن وغيرهم من كبار رجال دولته⁽⁴⁾، وتشتت جيش الخليفة وعاد من كتبت له النجاة إلى بغداد في أسوء حال⁽⁵⁾، وبعث السلطان مسعود الأمير بك المحمودي شحنة لبغداد وكلفه بنهبها وهدم سورها فنُهبت أموال الخليفة والعامّة⁽⁶⁾. وعندما وصل خبر أسر الخليفة إلى أهالي بغداد ضج العامة، وثاروا فكسروا المنبر ومنعوا الخطبة وخرجوا في الأسواق يحثون التراب على رؤوسهم ويكفون واقتتلوا مع أصحاب الشحنة حتى قتل ما يزيد عن مائة وخمسين رجلاً من العامة⁽⁷⁾ ولم يقتصر الاحتجاج على أسر الخليفة في بغداد وحدها بل تعداها ليشمل معظم

(1) الفارقي، تاريخ، ص250؛ ابن العمراني، الإنباء، ص219؛ ابن الكازروني، تاريخ، ص222؛ البنداري، تاريخ، ص161-162.

(2) البنداري، تاريخ، ص162.

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص147.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص295؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص282؛ البنداري، تاريخ، ص162؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص73؛ ابن واصل، مفرج، ج1، ص59-60؛ الحسيني، العراضة، ص118-119. ابن خلدون، العبر، ج6، ص1053-1054.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص282؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص47.

(6) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، ص282؛ الذهبي، سير، ج19، ص568.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص298؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص282-283.

مناطق العالم الإسلامي كما يظهر من رسالة السلطان سنجر إلى مسعود "... ساعة وقوف الولد غياث الدين والدنيا على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الأرض بين يديه، ويسأله العفو والصفح، ويتصل غاية التصل، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية، ما لا طاقة لنا بسماع مثلها، فضلاً عن المشاهد من العواصف والبروق والزلازل دام ذلك عشرين يوماً وتشويش العساكر وانقلاب البلدان وقد خفت على نفسي من جانب الله وظهور آياته وامتناع الناس عن الصلاة في الجوامع، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله فالحمد لله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت عادة آبائنا"⁽¹⁾.

أنزل الخليفة بعد هزيمته وأسرته في خيمة خاصة به، في حين أخذ كبار دولته وسجنوا بقلعة سرجهان⁽²⁾، وجرت مفاوضات مطولة بين الخليفة والسلطان مسعود فرض خلالها السلطان شروطه على الخليفة كما يظهر من قوله "... يا مولانا، أليس الله تعالى كان أغناك عن هذا، وهب أنك احتويت على ملك الدنيا، أكان يمكنك المقام بكل مكان، تستولي عليه أو تقيم بمدينة الملك، وتولي عليها غلمانك الذين ربما نصحوك وربما خانوك، وقد تأدى إليك ما تم على الخلفاء قبلك من غلمانهم، ونحن كنا عبيدك وطوع أمرك، وجدنا أعاد هذه الدولة بعدما ذهبت، فما حملك على ما فعلت ... ولم يتكلم الخليفة بشيء ... إلا أنه قال: كان ذلك في الكتاب مسطوراً"⁽³⁾.

أدت هذه المفاوضات إلى عقد اتفاق بين الطرفين يطابق ما كان السلطانين سنجر ومسعود يرغبان في فرضه على الخليفة ونص على:

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 298؛ السيوطي، تاريخ، ص 340، ابن قاضي شهبة؛ الكواكب، ص 100-101؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 567؛ ابن العماد، شذرات، جـ 4، ص 87-88؛ الجالودي، تطور، ص 123.

(2) ابن الأثير، الكامل، ص 282؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 60؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 568.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 220.

- 1- أن لا يعود الخليفة إلى جمع العساكر⁽¹⁾.
 - 2- أن لا يخرج الخليفة على رأس جيشه خارج دار الخلافة
 - 3- يتعهد السلطان بإعادة الخليفة سالماً إلى بغداد⁽²⁾.
 - 4- أن يقدم الخليفة أربعمئة ألف دينارٍ للسلطان⁽³⁾
- أرسل السلطان مسعود الأمير ببكة أوبك المحمودي وولاه شحنة بغداد، وأمره أن يتعاون مع العميد على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب بسوق العميد والسيطرة على دار الشحنة، والقبض على ابن طوق عامل الأمير الجاولي شحنة بغداد السابق، وأخذ ما مع ابن الحاجب من ضمان بغداد⁽⁴⁾، والقبض على أملاك الخليفة⁽⁵⁾، ونقض سور بغداد⁽⁶⁾.
- طالت مدة أسر الخليفة حتى بلغت سبعة وستين يوماً، قضاها يتنقل برفقة جيش مسعود من منطقة إلى أخرى بانتظار إعادته إلى بغداد تنفيذاً لما أُتفق عليه مع السلطان مسعود⁽⁷⁾، لكن ذلك لم يحدث بحجة انشغال السلطان في القضاء على تمرد بعض الأمراء ضده وخاصة ابن أخيه داود بن محمود⁽⁸⁾، وخشي السلطان سنجر من إطالة مدة أسر الخليفة فبعث إلى مسعود رسالتين كانت الأولى علنية حملها أحد المتصوفة، حثَّ فيها مسعود على الإسراع في إعادة الخليفة إلى بغداد⁽⁹⁾، أما الثانية فكانت سرية حملها الأمير يرناقش قرآن خوان، والتي يبدو أنها نصت على أوامره

(1) ابن الأثير، الكامل، ص 283.

(2) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 101.

(3) ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 103-104.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 296؛ النويري، نهاية، ج 23، ص 275.

(5) ابن الأثير، الباهر، ص 49-50.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 298.

(7) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 101.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 283.

(9) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 298؛ ابن واصل، مفرج، ج 1، ص 61؛ ابن قاضي

شهبه، الكواكب، ص 101-10؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 340.

بالتخلص من الخليفة وقتله إذ رافق حاملها جماعة الباطنية التي نفذت قتل الخليفة في خيمته المنفردة عن المعسكر⁽¹⁾.

استغلت جماعة الباطنية والذين تراوح عددهم ما بين سبعة عشر وأربعة وعشرين رجل انشغال العسكر بملاقاة رسل سنجر وانفراد خيمة الخليفة وخلوها من أي حماية فهجموا عليه في خيمته وقتلوه ومثلوا بجسده؛ فجدعوا أذنيه وأنفه وتركوه عارياً وقتلوا معه مرافقه ومعلمه عبدالله بن سكينه، وكان ذلك يوم الأحد العاشر من ذي القعدة سنة 529هـ/1135م، بالقرب من مدينة مراغة وترك الخليفة حتى دفنه أهل مراغة⁽²⁾.

أثار مقتل الخليفة المُستَرشِدَ هلعاً وغضباً واسعاً بين المسلمين في مختلف مناطق العالم الإسلامي "وشاع الخبر بذلك واستبشع الناس هذا الفعل الشنيع والقصد الفضيع بحق خليفة الزمان وابن عم رسول الله عليه - أفضل الصلاة والسلام- وأكبروا الجرأة على الله والإقدام على هذا المنكر في الإسلام والدم الحرام وأطلقوا الألسنة بالدعاء والذم على من استحسّن هذا الفعل الفضيع ودبر هذا الخطب الشنيع"⁽³⁾، ففي بغداد جزع أهلها لمقتل خليفتهم الذي أحبوه "وكثر البكاء والصراخ...وأصبح الناس حفاة، النساء منشرات الشعور يلطمن وينشدن الأشعار التي تنشد في المآتم ويقلن فيه المراثي على عادتتهن؛ لأن المُستَرشِدَ كان محبباً فيهم

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص60-61؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص162.

(3) القلانسي، ذيل، ص250.

لما فيه من الشجاعة و العدل و الرفق بهم⁽¹⁾، وفي مراغة حيث قتل الخليفة خرج الناس يحثون الرماد على وجوههم وهم يستغيثون⁽²⁾.

اختلفت المصادر في تحديد المسؤول عن مقتل المُسْتَرْشِد؛ فمنها من اتهم السلطان مسعود باتفاقه مع الباطنية على قتل الخليفة، وأنه أقدم على هذا الفعل لخوفه من الخليفة الذي اعتاد جمع الجيوش وقيادتها، وأن مسعود لا يستطيع تنفيذ قتل الخليفة بشكل مباشر فلجأ إلى الباطنية⁽³⁾ وبرأً آخرون مسعود من دم الخليفة وحملوا مسؤولية قتله لدُبَيْس لما بينهما من عداوة مستحكمة⁽⁴⁾، وذهب آخرون إلى اتهام سنجر ومسعود باتفاقهما على مقتل الخليفة، لما عرف عن سنجر من مناهضته لجهود الخليفة في السعي للاستقلال بالعراق، وإعادة هيبة الخلافة العباسية وإحياء مجدها⁽⁵⁾.

ومع أن الخليفة قد قتل في ظروف غامضة؛ إلا أن الراجح أن السلطان سنجر اتفق مع مسعود على التخلص من الخليفة، وقتله بالاعتماد على الباطنية⁽⁶⁾، يؤيد ذلك مجموعة من القرائن التي أحاطت بمقتل الخليفة وهي:

1- أن السلطان مسعود أفرد للخليفة خيمة بعيدة عن المعسكر وتركها دون

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص157-158؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص

102-103، شاکر، تاريخ، ج1، ص260

(2) الأصفهاني، خريدة، ج1، ق1، ص29؛ ابن سباط، تاريخ، ج1، ص58.

(3) ابن الطقطقا، الفخري، ص303؛ السيوطي، تاريخ، ص341؛ العبود، نافع توفيق، "جهود

الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري"، مجلة المورد

العراقية، العدد الأول، 1990، م1، ص50، سيشار إليه تالياً العبود جهود

(4) الحسيني، زبدة، ص209.

(5) الأصفهاني، خريدة، ج1، ق1، ص29؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص157-

158 القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 102-103 البنداري،

تاريخ، ص 162.

(6) EI², Saldjukids, VIII pp 944

- حماية تذكر وخاصة في يوم تنفيذه المهمة من قبل الباطنية⁽¹⁾.
- 2- أن جماعة الباطنية التي نفذت الجريمة جاءت إلى المعسكر برفقة رسول السلطان سنجر إلى مسعود، وأن هذا الرسول حمل رسالة سرية لم يتم الكشف عن محتواها لما تضمنته من اتفاق على قتل الخليفة⁽²⁾.
- 3- أن السلطان مسعود أقدم على قتل دُبَيْس محاولاً تبرئة نفسه من تهمة الخليفة وتحميل دُبَيْس مسؤولية ذلك⁽³⁾.
- 4- أن السلطان مسعود أطال مدة أسر الخليفة حتى وصلت إلى سبعة وستين يوماً تمكن خلالها من الاتفاق مع عمه السلطان سنجر على قتل الخليفة⁽⁴⁾.
- 5- أن السلطان مسعود قد اعترف بقتله الخليفة المُسْتَرْشِد في حديثه مع كاتب الإنشاء ابن الأنباري، حول صفات الخليفة الذي ترغب السلطنة السلجوقية ممثلة بسنجر ومسعود بتوليته بعد مقتل الخليفة المُسْتَرْشِد وعزمه على خلع الراشد سنة 530هـ/1136م⁽⁵⁾ إذ ذكر ابن الأنباري أن مسعود قال له: "ما الرأي وما التدبير في أمر الخلافة ومن ترون؟ فقالوا: "يا مولانا، الخلافة لولي العهد - يعني الراشد بالله - وقد بويع له بالخلافة" فقال السلطان - مسعود -: "ما إلى هذا سبيل، ولا أقره عليها، فإنه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه المُسْتَرْشِد، ومن حين تولي أبيه لم يترك الخروج علينا؛ كان قد خرج على أخي محمود مرتين، وعليّ مرة، وهذه أخرى، وتم عليه ما تم، وبقيت

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 283؛ القلانسي، ذيل، ص 250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ 1، ص 60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 149؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 73؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 283؛ الأربلي، خلاصة، ص 273؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 61.

(3) ابن العديم، بغية، جـ 7، ص 3491؛ ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 61؛ ابن خلدون، العبر، جـ 6، ص 1055.

(4) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.

(5) EI², AL-Mustarshid VII pp 734-735.

علينا شناعة عظيمة وسبة إلى آخر الدهر، فإنه يقال: قتلوا الخليفة، وهم كانوا السبب في عود الخلافة إلى هذا البيت، ولا أريد أن يلي الأمر إلا رجل لا يدخل نفسه في غير أمور الدين، ولا يجمع ولا يخرج عليّ، ولا على أهل بيتي، وفي دار الخلافة جماعة، فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي تدبير، يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا، ولا يخرج من داره؛ ولا تعرجوا عن هارون بن المقتدي بأمر الله، فهو شيخ كبير، ولا يرى الفتنة، وقد أشار به عمي سنجر" (1)

(1) ابن واصل، مفرج، جـ 1، ص 61-62، نقلا عن ابن الأثير .

الفصل الرابع

علاقة الخلافة العباسية بالقوى المجاورة لها في خلافة المُسْتَرْشِد

تمهيد

كانت الدولة السلجوقية قد وصلت إلى أقصى اتساع لها في عهد السلطان ملكشاه (465-485هـ/1073-1093م) إذ شملت حكمها البلاد الواقعة من كاشغر شرقاً إلى أنطاكية غرباً، ومن بحيرة خوارزم شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً، وضمن أقاليم ما وراء النهر، وفارس، والعراق، وبعض أقاليم آسيا الصغرى وبعض إمارات بلاد الشام⁽¹⁾، لكنها أخذت بالتراجع السريع بعد وفاته لما شهدته من نزاعات شديدة بين ورثته؛ فانقسمت على نفسها إلى دويلات متناحرة، تحكمها أسر سلجوقية وعربية وفارسية وتركية وغيره، وبالرغم من تفككها إلا أنها بقيت تخطب باسم الخليفة المستظهر (487-512هـ/1095-1119م) واستمر هذا الحال في عهد الخليفة المُسْتَرْشِد⁽²⁾، والذي خُطب له في مختلف بقاع هذه الدولة، إلا أن علاقات الخلافة الخارجية في عهده انحصرت -بالإضافة إلى السلاجقة- مع بعض الإمارات المجاورة لمناطق سيطرته، والتي كان لها تماس مباشر بدولة الخلافة في عهده وهي الإمارة المزيدية وatabكية الموصل والحروب الصليبية والحركات الباطنية الأسماعلية.

1.4 : الإمارة المزيدية (387-558هـ/998-1163م)

تراخت قبضة الدولة البويهية في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وانحصرت سلطتها الفعلية في مناطق بغداد وما حولها، وانشغل حكامها في

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ 8، ص 396؛ الحسيني، أخبار، ص 56-58؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ق 1، ص 33-34، 273، EI², Malik-Shah, VI pp 273.34؛ أنظر الملحق: رقم (و)، ص 208-209.

(2) القلقشندي، مآثر، جـ 2، 24-31

صراعاتهم في مناطق الري وفارس والأهواز وكرمان والجزيرة⁽¹⁾، فنجم عن ذلك نشوء إمارات شبه مستقلة تسعى إلى التوسع على حساب الدولة البويهية، والتي دعمت ظهور مثل هذه الإمارة لحاجتها لها في حماية مناطقها من هجمات البدو، ففي منطقة الفرات الأوسط ظهرت الإمارة المزيديّة⁽²⁾ التي أسسها بنو مزيد في هذه المنطقة، ويعد علي بن مزيد (387-408هـ/998-1018م)، مؤسس هذه الإمارة، حيث ورث أملاك أبيه مزيد الذي كان يتقلد بصورة رسمية حماية منطقة سور⁽³⁾ من الفرات الأوسط، ويدفع مقابل ذلك مقداراً من المال سنوياً إلى الدولة البويهية، واستطاع علي بعد توليه مكان أبيه سنة 387هـ/998م توسيع حدود إمارته لتشمل مناطق كوثي⁽⁴⁾، ونهر الملك⁽⁵⁾، وواسط، واعترفت به الدولة البويهية، شريطة أن يدفع لها أربعين ألف دينار سنوياً⁽⁶⁾، وحضي علي بن مزيد باعتراف الخلافة العباسية به؛ إذ منحه الخليفة القادر (381-422هـ/922-1032م) في سنة 403هـ/1013م، لقب سند الدولة مقابل تعهده بحماية مناطق إمارته من غارات القبائل البدوية، وتأمين طريق الحج في منطقتة⁽⁷⁾، وأصبحت إمارته تشكل قوة مهمة في منطقة الفرات الأوسط، وعدّها الشيعة حامية لهم في هذه المنطقة وما جاورها، وبقي علي بن مزيد يحكمها حتى وفاته سنة 408هـ/1018م⁽⁸⁾.

(1) ناجي، عبد الجبار، الإمارة المزيديّة، دار الطباعة الحديثة، بغداد 1970م، ص 59-63. سيشار إليه تالياً: ناجي، الإمارة.

(2) عن الإمارة المزيديّة انظر: ناجي، الإمارة، ص 59-160؛

El², Mazyad, VI, pp965-968.

(3) سور أو سورا: مدينة قريبة من الحلة المزيديّة، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 278.

(4) بلدة في سواد العراق في أرض بابل، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 487.

(5) كورة واسعة ببغداد، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 324.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 65.

(7) المصدر نفسه، ج 8، ص 77.

(8) المصدر نفسه، ج 8، ص 120؛ ناجي، الإمارة، ص 74.

أوصى علي بن مزيد قبل وفاته بالحكم لابنه نور الدولة أبي الأغر دُبَيْس (408-474هـ/1018-1082م) الذي واجه في بداية حكمه، تمرد أخوه المقلد ابن أبي الحسن سنة 424هـ/1032م⁽¹⁾ وأبناء عمه حماد سنة 420هـ/1030م⁽²⁾، فقضى على هذه الحركات واستغلها لتوسيع حدود إمارته، وضم إليها مناطق نهر الصلة⁽³⁾ ونهر الملك، وأضحت إمارته تتمتع بقوة كبيرة كان لها دوراً كبيراً في مجريات الأمور في الفترة التي سبقت انهيار السلطة البويهية في العراق⁽⁴⁾، وفي فترة حكمه شهد العراق انتهاء السيطرة البويهية وخضوع العراق لسيطرة السلاجقة، الذين أبقوا على مثل هذه الكيانات شبه المستقلة ولم يرغبوا في القضاء عليها، بل هادئوها، واعترفوا بوجودها مقابل أن تدفع مبلغاً من المال⁽⁵⁾ وعمل دُبَيْس بن علي على تحسين علاقاته مع السلاطين السلاجقة، والخلفاء العباسيين⁽⁶⁾، لضمان استمرار إمارته فكان ممن حضر لمبايعة المقتدي بالخلافة سنة 467هـ/1075م⁽⁷⁾ واستمر يخطب للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي طوال فترة إمارته التي استمرت حتى وفاته سنة 474هـ/1082م⁽⁸⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 155-156، 212.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 173-173.

(3) يمر بواسط أمر بحفره الخليفة المهدي ، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 5، ص 321.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 322-323؛ البنداري، تاريخ، ص 9-10؛ ناجي، الإمارة، ص 84-85.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص 54-55.

(6) المصدر نفسه، جـ16، ص 220؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 425-426؛ ابن

العبري، تاريخ مختصر، ص 192؛ EI², Mazyad, VI pp 965

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص 165؛ البنداري، تاريخ، ص 49؛ ناجي، الإمارة، ص 93.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص 220؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 425-426؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص 192.

تولى الحكم بعد وفاة دُبَيْس ابنه بهاء الدولة منصور (474-478هـ/1082-1086م) واعترف به السلطان والخليفة وخلعا عليه⁽¹⁾، واستمر يدفع ما كان يدفعه أبوه دُبَيْس⁽²⁾، وشهدت إمارته استقراراً أوضاعها حتى وفاته⁽³⁾، فتولى الحكم من بعده ابنه سيف الدولة صدقة (478-501هـ/1086-1108م) والذي تزامنت فترة إمارته الأولى من بلوغ الدولة السلجوقية أوج قوتها في عهد السلطان ملكشاه (465-485هـ/1073-1093م)⁽⁴⁾ فسار دُبَيْس في عهد السلطان ملكشاه على نهج أسلافه في تبعيتهم للدولة، وتقديم ما يترتب عليهم من التزامات مالية⁽⁵⁾، وأسس في سنة 492هـ/1099م مدينة الحلة واتخذها عاصمةً له⁽⁶⁾.

استغل الصراعات التي شهدتها الدولة بعد وفاة السلطان ملكشاه، فوقف إلى جانب الطرف الأقوى لتحقيق أهدافه في توسيع إمارته؛ ففي الفترة (487-493هـ/1095-1100م) كان صدقة يعلن ولاءه للسلطان بركياروق (487-498هـ/1105-1109م) كونه كان الأقوى، وحين أن أخذت كفة الصراع تميل إلى صالح السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) مال صدقة إلى جانبه في مواجهة السلطان بركياروق⁽⁷⁾، وليس هذا فحسب بل استفاد من هذه الصراعات في توسيع إمارته؛ فإضافة إلى ما ورثه عن أبيه، استولى صدقة على مناطق هيت⁽⁸⁾،

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 425؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص192.

(2) البنداري، تاريخ، ص 9-10.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص252؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص 445.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص396؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقرئزي، السلوك، جـ1، ق1، ص33-34.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص445.

(6) الذهبي، سير، جـ19، ص265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص26.

(7) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص34، 62-64.

(8) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص64-65. هيت: بلد على الفرات من نواحي بغداد، فوق الأنبار، نظر الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص420-421.

وواسط⁽¹⁾ وعانة⁽²⁾ والبصرة⁽³⁾ وتكريت⁽⁴⁾ كما سعى أيضاً إلى تحسين علاقاته مع الخليفة المستظهر الذي اعتمد على قوات صدقة في حفظ أمن مناطق بغداد وجوارها⁽⁵⁾، وأقطعه الأنبار والفلوجة، وخلع عليه خلعا لم يخلع على أمير قبله⁽⁶⁾. تعاظمت قوة الإمارة المزيديّة في نهاية حكم صدقة، وأصبحت ذات نفوذ كبير، وسيطرت على كثير من المدن الهامة، كما خضعت لها القبائل العربية في العراق، لكن ذلك تزامن مع استقرار أوضاع الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان بركياروق وانفراد السلطان محمد بن ملكشاة (498-511هـ/1105-1118م) في حكمها، والذي رأى في قوة الأمير صدقة بن دبيس خطراً على نفوذه ومنافساً قوياً له، فسعى إلى القضاء عليها⁽⁷⁾، كما أن ازدياد قوة صدقة جعلته يفكر في الاستقلال عن الدولة السلجوقية والوقوف في وجهها⁽⁸⁾، فبادر إلى تأخير إرسال الأموال المقررة عليه، خاصة وأنه لم يكن يدفعها أثناء فترة الصراعات التي أعقبت وفاة السلطان ملكشاة⁽⁹⁾، فهيات هذه الظروف لحدوث نزاع بين الطرفين إذ استغل السلطان محمد رفض صدقة تسليم الأمير أبي دلف سرخاب بن كيخسرو حاكم ساوة وآبة، والمطلوب للسلطان الذي هرب واستجار بصدقة فأجاره، فأرسل السلطان في طلبه، فرفض صدقة تسليمه بحجة أنه ضيفه ومن عادة العرب أن لا تسلم من يلتجأ إليه فوق القتال

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص74-75؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص604.

(2) بلد مشهور بين الرقة وهيت، يعد من أعمال الجزيرة، وهي مشرفة على الفرات، نظر

الحموي، معجم البلدان، ج4، ص72.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص90-91؛ ابن العديم، تاريخ، ج2، ص28.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص100-101؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص604.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص34، 61-62، 64.

(6) المصدر نفسه، ج9، ص81.

(7) ناجي، الإمارة، ص124-125.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص111-112؛ القلانسي، ذيل، ص159-160.

(9) ناجي، الإمارة، ص103-123.

بين الطرفين سنة 501هـ/1108م وانتهى بهزيمة وقتل صدقة واستيلاء جيش السلطان على الحلة وتعين موظفيه عليها⁽¹⁾.

وضع السلطان محمد يده على الحلة بعد هزيمته لصدقة، وأصبحت تدار من قبل موظفيه، فيما أسر أبناء صدقة⁽²⁾، فظهر من بينهم دُبَيْس بن صدقة الذي تقرب إلى السلطان محمد؛ فأقطعه إقطاعات كثيرة، لكنه لم يعده إلى الحلة وبقي إلى جانبه في ما يشبه الأسر حتى وفاة السلطان محمد سنة 511هـ/1118م⁽³⁾.

استغلَّ دُبَيْس بن صدقة (501-529هـ/1108-1135م) وفاة السلطان محمد وانشغال السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) في صراعه مع عمه السلطان سنجر (511-552هـ/1118-1158م) وإخوته مسعود وطغرل وسلجوقشاة فطلب منه العفو والعودة إلى الحلة؛ فوافق السلطان محمود على طلبه، فعاد دُبَيْس إلى الحلة سنة 512هـ/1119م، واستطاع استقطاب الكثير من سكانها العرب والأكراد الذين التفوا حوله⁽⁴⁾، وتزامن ذلك مع وفاة الخليفة المستظهر وبيعة المُسْتَرشِد؛ لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات العباسية المزيدية غلب عليها التوتر والحروب "كان عقبها موت السلطان محمد، موت المستظهر ثم جرى من الحروب والفتن للمسترشد مع دُبَيْس بن مزيد"⁽⁵⁾.

(1) ابن العمراني، الإنباء، ص207؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص108-109؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص113؛ الذهبي، سير، جـ19، ص264-265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص32؛ الحسيني، زبدة، ص169؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص606-609.

(2) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص113؛ الذهبي، سير، جـ19، ص264-265؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص32؛ الحسيني، زبدة، ص169؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص606-609.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص175؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص609.

(4) الأصفهاني، زبدة، ص129؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص51؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص40؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص609.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص156.

كان دُبَيْس منذ عودته إلى الحلة يفكر في إحياء أمجاد أبيه صدقة وتوسيع إمارته بالسيطرة على ما يجاورها من مناطق الخلافة وغيرها من ولايات الدولة السلجوقية، وانتهج في سبيل ذلك سياسة تقوم على بثّ النزاعات بين مختلف الأطراف المتنازعة لاستغلال هذه النزاعات في تحقيق أهدافه⁽¹⁾. قال ابن الجوزي ".... وكان سيف الدولة يعجبه اختلاف السلاطين ويعتقد أنه ما دام الخلاف قائماً بينهم فأمره منتظم، كما استقام أمر والده صدقة عند اختلاف السلاطين"⁽²⁾ وقال ابن الأثير ".... وكان غرض دُبَيْس أن يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركياروق ومحمد ابنا ملكشاه"⁽³⁾.

ففي بداية إمارته استغل دُبَيْس حركة أبو الحسن علي بن المستظهر أخو الخلية المُسْتَرْشِد، الذي خرج على الخليفة، ولجأ إلى دُبَيْس، فأكرهه وقدم له الرجال والسلاح⁽⁴⁾، واتخذته وسيلة لضغط على المُسْتَرْشِد ليحصل ربما على اعتراف الخليفة بتوليهِ إمارة الحلة.

هادن الخليفة دُبَيْس في سبيل القضاء على حركة أخيه أبي الحسن فأرسل إليه نقيب النقباء وابن السبي ومعهما الخلع له، وطلب منه البيعة وتسليم أبي الحسن⁽⁵⁾، فأظهر دُبَيْس طاعته، وأعلن بيعته لكنه لم يسلم الأمير أبا الحسن بحجة أنه ضيفه، ولا يستطيع إجباره على العودة إلى الخليفة⁽⁶⁾، ولم يكن الخليفة قادراً على استرجاع أخيه لعدم امتلاكه القوة الكافية لتحقيق ذلك، خاصة بعد سيطرة الأمير أبو الحسن على واسط، وكثرة أتباعه فيها فقطع خطبة المُسْتَرْشِد وخطب لنفسه، وعاد الخليفة وأرسل ابن الأنباري كاتب الإنشاء إلى دُبَيْس وألح عليه في إعادة أخيه وأنه

(1) ناجي، الإمارة، ص134.

El², Mazyad, VI , pp 965-968

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص187

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص191.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ الآلوسي، "المُسْتَرْشِد"، ص498.

(6) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية، جـ23، ص262؛ الذهبي،

دول، جـ2، ص27؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1024.

يعول عليه في هذا الأمر⁽¹⁾، وأراد دُبَيْس كسب الخليفة إلى جانبه في صراعه مع البرسقي صاحب الموصل، فوافق على طلب الخليفة وبعث قائد جيشه عنان إلى الأمير أبي الحسن، فهزمه وقبض عليه، وسلمه إلى دُبَيْس الذي أعاده إلى الخليفة بعد أن حصل مقابل ذلك على مبلغ من المال تراوح بين عشرين⁽²⁾ إلى ثلاثين ألف دينار⁽³⁾، كما أظهر حرصه على التمسك بالتقاليد العربية حين اشترط على الخليفة ضمان سلامة الأمير أبي الحسن⁽⁴⁾، وفي علاقته مع السلاطين السلاجقة، بادر دُبَيْس إلى استغلال النزاع بين السلطان محمود وعمه السلطان سنجر سنة 513هـ/1120م، فمال إلى جانب سنجر لاعتقاده أن سنجر هو الأقوى، لما يمتلكه من نفوذ؛ فانضم إلى جيش سنجر، وبعد انتصار سنجر طلب دُبَيْس من الخليفة قطع خطب السلطان محمود، وأن يخطب للسلطان سنجر وحده فخطب له الخليفة، لكن دُبَيْس لم يحقق ما أراده من وقوفه إلى السلطان سنجر إذ سرعان ما تصالح سنجر مع محمود وعفا عنه وأعاده إلى ملكه وخطب لهما الخليفة في آن واحد⁽⁵⁾، فلجأ دُبَيْس إلى الإيقاع بين السلطان محمود وأخيه مسعود بن محمد، فكتب جيوش بك أتابك مسعود، وحرصه على طلب السلطنة لمسعود بدلاً من محمود، والقبض على البرسقي عدوه، ووعدته بالنصر والمساعدة، وهون عليه أمر محمود، فاستمع مسعود وأتابكه جيوش بك إلى هذه التحريضات، وأعلن مسعود تمرده على محمود، وطلبه السلطنة بدلاً منه⁽⁶⁾،

(1) ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 171؛ الذهبي، تاريخ، حوادث (501-520هـ)، ص 275.

(2) ابن حمدون، التذكرة، ص 169؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 171؛ الذهبي، تاريخ، حوادث (501-520هـ)، ص 275.

(3) ابن العمراني، الإنباء، ص 212.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 172-173.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 184؛ أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 53؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 89؛ البنداري، تاريخ، ص 113-114؛ الحسيني، العراضة، ص 115؛ ابن الوردي، تاريخ، ج 2، ص 41.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 186؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 283-284.

وحين سمع محمود بهذا، تحالف مع البرسقي وزاد في أملاكه (1)، واستطاع هزيمة مسعود وقتل أتابكه جيوش بك (2).

أما دُبَيْس فلم يوف بوعده لجيوش بك بالمساعدة، وإنما انشغل في نهب مناطق الخلافة ومناطق السلطان محمود وتوسيع حدود إمارته، فسيطر على المدائن ويعقوبيا (3)، وشملت إمارته البصرة وأعمالها، وهيت والأنبار وأعمال الفرات والرحبة وعانة (4)، وسبى النساء والذراري واقترب النساء (5).

وبعد انتصار السلطان محمود، حاول الخليفة والسلطان محمود استرضاء دُبَيْس، وطلب منه الخليفة التوقف عن ما يقوم به من عمليات السلب النهب، إلا أنه استمر في أفعاله هذه، وأخذ يهدد دار الخلافة نفسها إذ ضرب سرادقه مقابلها، واعتدى على أهل بغداد مطالباً الخليفة بثني السلطان محمود عن القدوم إلى العراق، فسعى الخليفة إلى ما طلبه في تأخير قدوم السلطان محمود إلى بغداد لكن السلطان أبي إلا أن يفد إلى بغداد، ويحارب دُبَيْس فهرب دُبَيْس إلى الحلة (6)، وأدرك أن السلطان محمود ينوي إنهاء تمرده وأنه -دُبَيْس- لا يمتلك القوة الكافية لمواجهته فحاول مصالحته، وبعث زوجته المسماة (شرف الدين خاتون) إليه ومعها عشرون ألف دينار، وثلاثة عشر رأس خيل، لكن السلطان لم يرض، وسار إلى الحلة، وسيطر عليها وهرب دُبَيْس ملتجئاً إلى الأمير إيلغازي صاحب حلب وماردين (7) كونه صهر

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص191-192.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص186؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص191-192؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص1031-1032؛ الجميلي، الموصل، ص148؛ حسنين، إيران، ص126.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص90.

(4) البنداري، تاريخ، ص122-123.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص90.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص186-187؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص193؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص90؛ القلانسي، ذيل، ص202.

(7) ماردين قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة ما حولها، انظر الحموي، معجم البلدان، ج5، ص39.

على ابنته، فطلب الخليفة من إيلغازي إبعاده من بلاده⁽¹⁾، فاعتذر إيلغازي عن ذلك، وحاول دُبَيْسُ استرضاء الخليفة لكنه أصر على إبعاده وعدم العفو عنه وبقي دُبَيْسُ مقيماً عند إيلغازي حتى سنة 515هـ/1122م، حين حاول العودة إلى الحلة، ولكن الأمير برنقش شحنة بغداد حاربه وهزمه، وسار برنقش في أثره، وجرت بينهما مفاوضات تعهد فيها دُبَيْسُ بتقديم أخيه منصور رهينة للسلطان مقابل منحه الحلة، فرضي السلطان محمود بهذا الاتفاق، وعاد دُبَيْسُ إلى الحلة⁽²⁾.

أما الخليفة فلم يرضَ بهذا الاتفاق، وطلب من السلطان عزل شحنة بغداد وتوليبتها للأمير البرسقي وأمره بمحاربة دُبَيْسُ، فلبّى السلطان طلب الخليفة وأوكل للبرسقي بعد أن عينه شحنة لبغداد محاربة دُبَيْسُ، وتجهز البرسقي لذلك والتقى بدُبَيْسُ عند نهر بشير شرق الفرات واقتتلوا فهزم البرسقي واستغل دُبَيْسُ هذا النزاع فوسع أملاكه بضم واسط، وفرض شروطه على الخليفة والمتضمنة إبعاد البرسقي عن شحنة بغداد، وعزل وزير الخليفة ابن صدقة فعزل ابن صدقة، لكن السلطان أبقى على البرسقي⁽³⁾.

لم يكتفِ دُبَيْسُ بهذا؛ بل استمر في نهب مناطق الخلافة، فنهب واسط والنعمانية، فأرسل الخليفة إليه القائد (عفيف) الخادم مقبلاً لهما يقوم به من أفعال فقبض دُبَيْسُ على (عفيف) واتهم الخليفة بعدم الوفاء بما تعهد به إذ أنه لم يؤدِ ابن صدقة وإنما أخرجه من الضيق إلى السعة، ولم يبعد البرسقي عن شحنة بغداد، وتهاون في أمر إطلاق أخيه منصور المعتقل عند السلطان محمود، وتمادى دُبَيْسُ في عمليات النهب، فنهب مناطق الخلافة، وأخذ يهدد دار الخلافة نفسها، وأنذر الخليفة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 197؛ ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت 684هـ/1286م) الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1978م، جـ 3، ق 2، ص 340-341، سيشار إليه تالياً، ابن شداد، الأعلام.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 198؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 193-194.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 213-215.

بضرورة تنفيذ ما أُتفق عليه في موعد أقصاه خمسة أيام، وإلا جاء إلى بغداد ونهبها، فوجد الخليفة نفسه مجبراً على محاربة دُبَيْس بالاعتماد على جيشه الخاص بعد أن تيقن من أن سلاطين السلاجقة لم يهتموا بحماية بغداد بالقدر الكافي، مع أنهم كانوا قادرين على إزالة ما يشكله دُبَيْس من تهديد؛ لكنهم أرادوا إبقاءه أداة للضغط على الخليفة ومنعه من تحقيق أهدافه الاستقلالية " فإن دُبَيْس كان يعادي المُسْتَرْشِد بالله، ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارعة المُسْتَرْشِد... (1) استعد الخليفة لهذه الحرب، فسعى لكسب العامة إلى جانبه عن طريق القيام بمجموعة من الإصلاحات الاقتصادية، واستغلال موقعه الروحي (2)، فحصل على فتوى شرعية تُبيح محاربة دُبَيْس مما جعل العامة يلتفون حوله (3)، واستدعى العساكر من الأطراف فأتاه مهارش صاحب الحديثة (4) في عقيل، وأتاه قورش بن مسلم (5)، وتحالف مع شحنة بغداد، فجمع جيشاً كبيراً، وخرج يقوده بنفسه، وعليه بردة الرسول صلى الله عليه وسلم (6)، وبيده القضيب، والتقى بدُبَيْس، وهزمه، وقتل وأسر كثيراً من عسكره، وأرسل قائده (إقبال) للسيطرة على الحلة، فضمها إلى أملاك الخلافة (7).

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 285؛ الجالودي، تطور، ص 118.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 100-101؛ الجالودي، تطور، ص 17.

(4) بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى من أراضي الموصل، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 2، ص 230.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219؛ عمر، فاروق، الخلافة العباسية، السقوط والانحيار، ط 1، دار الشروق، عمان 1998م، جـ 2، ص 180. سيشار إليه تالياً عمر: الخلافة.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219؛ السامرائي، الدولة، ص 284.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219-221؛ ابن الأثير، الباهر، ص 26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 109-110؛

أدى انتصار الخليفة إلى زيادة ثقته بنفسه، وقدرته على الرد على المعتدين والوقوف في وجههم، والقضاء على التهديد الذي كان يُشكّله دُبَيْس⁽¹⁾، وشاع أمر مقتل دُبَيْس أثر هزيمته، لكنه نجا وقصد غزنة في صحراء نجد، وعرض على أهلها التحالف معه، لكنهم رفضوا معاداة الخليفة والسلطان، فسار عنهم وهاجم البصرة، ونهبها، فأرسل الخليفة في أثره البرسقي، فلما سمع به دُبَيْس ترك البصرة إلى قلعة جعبر، وانضم إلى الصليبيين في حصارهم لحلب بعد أن وعدهم بالمساعدة وكسب الشيعة فيها إلى جانبه⁽²⁾، لكن تحالفه مع الصليبيين فشل في دخول حلب بعد أن سلمها أهلها إلى البرسقي⁽³⁾.

لجأ دُبَيْس بعد هزيمته في حلب إلى الملك طغرل بن محمد حاكم ساوة وآرة وزنجار، وحرّضه على التمرد على أخيه السلطان محمود، وهوّن عليه أمر العراق ومحاربة الخليفة، ووجد ذلك أثراً في نفس طغرل الذي كان يرغب ومنذ سنة 512هـ/1119م بالتمرد على أخيه محمود⁽⁴⁾؛ فأكرم دُبَيْس وجعله من أعيان دولته، واتفقا على السير إلى بغداد والسيطرة عليها⁽⁵⁾. وسارا بالفعل إليها في سنة

الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 297-299؛ الجميلي، تاريخ، ص 67؛ ردايده، جيش، ص 36-37.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 228-229؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 232-233؛ ابن كثير، البداية، ج 11، ص 241؛ ابن العماد، شذرات، ج 4، ص 53؛ ناجي، الإمارة، ص 139؛ السامرائي، الدولة، ص 285.

(2) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp 579, EI², Mazyad, VI, pp 966.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 219-220؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 221؛ ابن أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 59-60؛ العديم، تاريخ، ج 7، ص 3481.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 181-182.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 219-220، 228؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 221؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 1040.

519هـ/1125م، لكنهما فشلا في احتلالها، واستطاع الخليفة هزيمتهما فهربا إلى السلطان سنجر في خراسان⁽¹⁾.

في خراسان - استمر دُبَيْس على نهجه في تأجيج الصراعات- فحرض السلطان سنجر على السلطان محمود والخليفة، واتهمهما أنهما يسعيان إلى الاتفاق ضده وهون عليه السيطرة على العراق، فاستمع سنجر إلى تحريض دُبَيْس وسار إلى العراق سنة 520هـ/1127م، عازماً السيطرة عليها والحد من قدرات الخليفة لكن السلطان محمد استبق الأحداث وتوجه لملاقاة عمه سنجر بالقرب من همدان، وأقنعه ببطلان مزاعم طغرل ودُبَيْس ووعدته بالتوجه إلى بغداد بنفسه، والحد من قدرات الخليفة ووزيره ابن صدقة⁽²⁾. فعاد سنجر إلى خراسان بعد أن سَلَّم دُبَيْس إلى السلطان محمود وأوصاه بمنحه ولاية الموصل والشام وعزل زنكي عنها، وأن يسأل الخليفة الرضا عنه⁽³⁾.

لم يرضَ الخليفة بذلك وتعاون مع عماد الدين زنكي في إقناع السلطان بعدم تسليم الموصل لدُبَيْس، وأن زنكي هو الأقدر على مجابهة الصليبيين، في حين كان دُبَيْس يميل إلى التحالف معهم، كما حدث في مساعدتهم في حصارهم حلب سنة 518هـ/1125م، فدفَع كل من الخليفة وزنكي مائة ألف دينار للسلطان محمود الذي أبقى على زنكي في الموصل⁽⁴⁾، ولم يولِّ دُبَيْس شيئاً، وأبقاه معه في ما يشبه الأسر، وتراجعت مكانة دُبَيْس عند السلطان محمود سنة 523هـ/1130م أثر وفاة

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص247-248؛ ابن العديم، تاريخ، جـ7، ص3481؛ ناجي، الإمارة، ص139-140.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص253؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص142؛ ابن خلكان، الوفيات، جـ2، ص328؛ ابن العديم، تاريخ، جـ7، ص3482؛ ناجي، الإمارة،

ص141.

زوجة السلطان محمود ابنة سنجر التي كانت تدافع عنه وتقف إلى جانبه⁽¹⁾، فلم يرضَ دُبَيْسُ بهذا الواقع، واستغل مرض السلطان محمود سنة 523هـ/1130م فهرب إلى الحلة وطرد شحنتها بهروز وسيطر عليها، ومنها حاول استرضاء الخليفة، ووعده أن يدفع له أضعاف ما كان يدفع أبوه، فلم يرضَ الخليفة بذلك، وطلب من السلطان محمود محاربة دُبَيْسٍ فهرب دُبَيْسُ من الحلة، ودخل البصرة، ونهب منها أموالاً كثيرة، ثم غادرها إلى الكوفة وفيما بعد قدم البادية وانقطع خبره⁽²⁾ وتاه في الصحراء، فوقع في سنة 525هـ/1131م في قبضة والي دمشق بوردي بن طغتكين (522-526هـ/1129-1132م)⁽³⁾ الذي استغل أسره فباعه إلى عماد الدين زنكي والي الموصل مقابل إطلاق سراح ابنه سونج المعتقل عند زنكي⁽⁴⁾، وأن يدفع زنكي بالإضافة إلى ذلك مبلغ خمسين ألف دينار⁽⁵⁾، أما الخليفة فما أن سمع خبر أسر دُبَيْسٍ لدى والي دمشق حتى أرسل كاتب الإنشاء في طلبه، لكن ابن الأنباري وصل إلى دمشق بعد تسليم دُبَيْسٍ إلى زنكي؛ فغضب وذم زنكي وعاد إلى بغداد؛ فقبض زنكي عليه، وهو في طريق عودته⁽⁶⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 249؛ ابن خلدون، العبر، جـ 7، ص 1045؛ ناجي، الإمارة، ص 141.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 253-254؛ ابن العديم، تاريخ، جـ 7، ص 3481-3482.

(3) المنجد، صلاح الدين، ولاية دمشق في العهد السلجوقي، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر، ط 2، دار الكتاب الجديد، بيروت 1975م، 21، سيشار إليه تالياً المنجد، ولاية.

(4) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 258؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 135-136؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب؛ ابن العديم، تاريخ، جـ 2، ص 440؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 143.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 263. ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 258؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 94؛ العديم، تاريخ، جـ 7، ص 3489.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 263؛ ابن الأثير، الباهر، ص 64-47؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 258-259.

يبدو أن زنكي لم يكن راغباً في حماية دُبَيْس، بالقدر الذي أراد استخدامه للضغط على الخليفة المُسْتَرْشِد ليكسبه إلى جانبه في الصراعات التي نشبت بين السلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م إذ حاول زنكي الاستفادة من ذلك بجعل الخليفة المُسْتَرْشِد يخطب للطفل ألب أرسلان الذي يتولى أتابكته، ليتسنى له التحكم به، لكن الخليفة رفض ذلك⁽¹⁾، وفي سنة 526هـ/1132م أمر السلطان سنجر كل من دُبَيْس وزنكي بالتحالف ضد المُسْتَرْشِد والسير معاً إلى بغداد بهدف السيطرة عليها وإحداث شرخ في تحالف الخليفة مع مسعود وسلجوقشاة⁽²⁾ ضده كونه كان يدعم تولية طغرل بن محمد سلطاناً لسلاجقة العراق⁽³⁾، لكن الخليفة استطاع هزيمة دُبَيْس وزنكي، وقتل وأسر الكثير من جنودهم⁽⁴⁾، فعاد زنكي إلى الموصل فيما هاجم دُبَيْس الحلة التي كانت بيد (إقبال المُسْتَرْشِد) من قبل الخليفة، ولم يستطع دخولها إذ هزمه إقبال فغادرها، وهاجم واسط واستولى عليها لفترة قصيرة، حيث أخرجه منها برنقش بازدار وإقبال المُسْتَرْشِدِي بأمر من الخليفة المُسْتَرْشِد⁽⁵⁾.

واتجه بعدها دُبَيْس إلى همدان واستأنف سياسته في تأجيج الصراعات، فاشترك في حرب السلطان مسعود ضد الخليفة المُسْتَرْشِد سنة

(1) السامرائي، الدولة، ص288-289؛ خليل، عماد الدين، ص51؛ الديوجي، تاريخ، ص271.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص263؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص1047؛ الجالودي، تطور، ص120-121.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص271؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص265؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص69؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص59؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص1047-1048.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص265؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص60؛ ناجي، الإمارة، ص156.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص271، 276؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص265؛ ناجي، الإمارة، ص156.

529هـ/1135م⁽¹⁾ والتي هزم وأسر فيها الخليفة، وأفضت إلى مقتله⁽²⁾ واتهم السلطان مسعود بالتعاون مع الباطنية النزارية في قتل الخليفة، فأراد تخليص نفسه من هذه التهمة، فأقدم على قتل دُبَيْس سنة 529هـ/1135م وتحمله قتل الخليفة⁽³⁾.

2.4 : أتابكية الموصل (521-631هـ/1128-1234م)

تعود نشأة الأتابكيات في الدولة السلجوقية إلى عهد السلطان ملكشاه (465-485هـ/1073-1093م) إذ أراد وزيره نظام الملك الطوسي (ت485هـ/1093م) تخفيف المسؤوليات الإدارية والعسكرية عن الحكومة المركزية، فعمّم نظام الإقطاع على مختلف أنحاء الدولة⁽⁴⁾، والذي قسّمت بموجبه الدولة إلى إقطاعاتٍ تعطى لكبار الأمراء السلاجقة، وتدار من قبلهم بتفويضٍ من السلطان السلجوقي، وفي حالة كانوا صغار السن يتولى تربيتهم وإدارة شؤونهم أمراء من المقربين للسلطان، فأدى ذلك إلى ظهور نظام الأتابكيات، ومفردتها أتابكية: وهي كلمة تركية تعني مربّي الملك⁽⁵⁾، ويقوم هذا النظام على أن يعهد السلطان بتربية أحد أولاده الذكور لأحد الأمراء المقربين ويمنحه حق الوصاية عليه، وتدير شؤونهم، وتنشئته تنشئة عسكرية، ويصدر السلطان كتاب لأتابك يفوضه فيه بتولي تربية أبنه، وعادة ما يتزوج الأتابك من أم ابن السلطان الذي تولى رعايته، بعد وفاة السلطان، فتتحول العلاقة بينهما إلى ما يشبه علاقة الأبوة⁽⁶⁾، وبعد وفاة الأتابك تنتقل رعاية ابن السلطان إلى ابن الأتابك، وهكذا حتى تحولت هذه الأتابكيات إلى إمارات وراثية

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص281؛ ابن العديم، تاريخ، ج7، ص3489؛ ناجي، الإمارة، ص157.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص299؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص283؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط، تاريخ، ج1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص73؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص162.

(3) ابن العديم، بغية، ج7، ص3491؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص1055.

(4) أمين، تاريخ، ص210.

(5) ابن خلكان، وفيات، ج2، ص328-329؛ EI², Atabak, V1, pp 731-732.

(6) القلانسي، ذيل، ص218.

يتوارثها أبناء الأتابك ويحكمونها كيفما يشاءون، ولم يكن لابناء السلاطين فيها سوى الاسم دون المعنى⁽¹⁾.

انتشرت هذه الأتابكيات حتى عمت مختلف مناطق وولايات الدولة السلجوقية التي تحولت إلى ما يشبه الإمارات المستقلة؛ منها أتابكية الموصل (521-631هـ/1128-1234م) مؤسسها عماد الدين زنكي (521-541هـ/1128-1147م) وatabكية دمشق (498-549هـ/1105-1155م) مؤسسها الأتابك طغتكين (498-522هـ/1105-1129م)⁽²⁾ وatabكية سنجار (566-617هـ/1171-1221م) مؤسسها عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود المعروف بعماد الدين الثاني، وatabكيات أذربيجان⁽³⁾ ولورستان، واربل وديار بكر والجزيرة وفارس وكرمان وغيرها⁽⁴⁾.

أما الموصل فكانت قبل ظهور الدولة السلجوقية، تحكم من قبل قبيلة عقيل العربية، والتي اعترف السلاجقة بها عند دخولهم العراق سنة 447هـ/1056م، كما فعلوا مع بقية الإمارات العربية التي كانت منتشرة في أنحاء العراق، وحصلوا مقابل هذا الاعتراف على إعلان الخطبة باسم السلطان إلى جانب الخليفة العباسي⁽⁵⁾.

بقي بنو عقيل يتوارثون هذه الإمارة حتى سنة 489هـ/1097م، حين احتلها الأمير كربوقا (489-495هـ/1097-1102م) بأمر من مولاه الأمير تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي⁽⁶⁾، وبقي يحكمها حتى وفاته سنة 495هـ/1102م⁽⁷⁾، وتولى حكمها بعده الأمير جكرمش (495-500هـ/1102-1107م)،

(1) الجالودي، تطور، ص85.

(2) الذهبي، الإشارة، ص265.

(3) Lane-poople: The Mohammadan Dynasties, pp171.

(4) أمين، تاريخ، ص211-212.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص317.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص4-5؛ مرتضي، كلشن خلفا، ص103.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص54-55.

فأحسن السيرة في حكمها لذلك أبقاه السلطان بركياروق (487-498هـ/1095-1105م) ومن بعده السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) على رأس هذه الإمارة حتى وفاته سنة 500هـ/1107م⁽¹⁾ واستولى عليها بعده الأمير جاولي سقاور، والذي حاول الاستقلال بها⁽²⁾، لكنه فشل في ذلك، واستطاع الأمير مودود أعادتها إلى الدولة السلجوقية⁽³⁾ فولّه السلطان محمد عليها ليبقى يحكمها حتى مقتله على يد الحركة الباطنية سنة 508هـ/1115م⁽⁴⁾ فولّها بعده الأمير أفسنقر البرسقي⁽⁵⁾ والذي لم يدم حكمه لها طويلاً؛ إذ عُزل عنها في سنة 509هـ/1116م، وأقطعها السلطان محمد لأمير (جيوش بك) وعُهد إليه مهمة تربية ابنه مسعود⁽⁶⁾، وأبقى على البرسقي إلى جانبه، فسار البرسقي إلى الرحبة⁽⁷⁾، ثم ولاه شحنة بغداد سنة 512هـ/1119م⁽⁸⁾، ثم عزل عنها في السنة نفسها⁽⁹⁾ ثم أعيد إليها سنة 516هـ/1123م، وأدى البرسقي في هذه الفترة دوراً كبيراً إلى جانب الخليفة المُسترشد في حروبه ضد دُبَيْس بن صدقة أمير الحلة⁽¹⁰⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص78-79.

(2) المصدر نفسه، ج9، ص106-107.

(3) المصدر نفسه، ج9، ص129-130.

(4) المصدر نفسه، ج9، ص149-150؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص50-52؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص37.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص153؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص37.

(6) ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص37؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص272.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص161؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص119.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص213-215.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص172؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص242-243.

(10) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص219-221؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8، ص109-111؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص297-299؛ ابن كثير، البداية، ج11، ص235-236.

أما (جيوش بك) فبقي يتولى أتابكية مسعود في الموصل وينوب عنه في حكمها، وحرّضه بالتعاون مع دُبَيْس على التمرد على أخيه السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م) فأعلن مسعود تمرده على أخيه سنة 514هـ/1121م، لكن محمود استطاع إنهاء هذا التمرد بعد هزيمة أخيه مسعود وعفا عنه ⁽¹⁾، وقتل (جيوش بك) ⁽²⁾، وأقطع الموصل للبرسقي، وأمره بمحاربة الصليبيين ⁽³⁾.
كان البرسقي صاحب مكانة كبيرة عند السلطان محمود لما يقوم به من دور في محاربة الصليبيين ⁽⁴⁾ وتثبيت الحكم السلجوقي في العراق ⁽⁵⁾ فزاد السلطان في أملاكه فولاه شحنة بغداد في الفترة (516-517هـ/1123-1124م) بالإضافة إلى ما بيده ⁽⁶⁾.

-
- النويري، نهاية، جـ 23، ص 265-267؛ ابن خلدون، العبر، جـ 7، ص 614-615؛ الجميلي، تاريخ، ص 67-68.
- (1) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 191-192؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 89-90؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 138.
- (2) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 217.
- (3) المصدر نفسه، جـ 9، ص 207؛ ابن الأثير، الباهر، ص 24؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 57؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 290؛ ابن قاضي شهاب، الكواكب، ص 92-93؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 128؛ ابن العديم، تاريخ، جـ 2، ص 438-439.
- (4) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 229-230؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 306.
- (5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219-221؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 109-111؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص 297-299؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 235-236؛ النويري، نهاية، جـ 23، ص 265-267؛ ابن خلدون، العبر، جـ 7، ص 614-615؛ الجميلي، تاريخ، ص 67-68.
- (6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 214.

بقي البرسقي يحكم الموصل من قبل السلطان محمود حتى مقتله على يد الباطنية سنة 520هـ/1127م⁽¹⁾ فتولى حكمها بعده ابنه مسعود(520-521هـ/1127-1128م)، والذي لم يدم حكمه لها طويلاً إذ توفي سنة 521هـ/1128م⁽²⁾، فحاول الأمير جاولي الذي كان يدبر شؤون مسعود بن البرسقي قبل وفاته، أن يحصل على تفويض من السلطان محمود بحكم الموصل بعد وفاة مسعود بن البرسقي، فأرسل الرسل بذلك إلى السلطان، وبذل له المال والهدايا، لكن رسله انقلبوا عليه، وشجعوا السلطان بالتعاون مع وزيره ورجال الخليفة المسترشد على عدم تولية الأمير الجاولي، وتولية عماد الدين زنكي لما له من خبرة وتجربة في محاربة الصليبيين، بخاصة وأن الصليبيين قد احتلوا كثيراً من البلاد الإسلامية في الشام والجزيرة الفراتية⁽³⁾، فأجاب السلطان إلى تولية عماد الدين على ولاية الموصل لما عُرف عنه من كفاءة، ودعمه لحكم السلطان محمود، وأصدر له بذلك منشوراً⁽⁴⁾ وعهد إليه بأتابكية ابنه ألب أرسلان، وفروخ شاه المعروف بالخفاجي⁽⁵⁾.

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص236-237؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص116-117-111؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص61؛ القلانسي، ذيل، ص214؛ ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص242-243؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص53

(2) القلانسي، ذيل، ص216-217؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص62؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص203..

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص242-244؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص62؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص203؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص92-93.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص244؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص242-244؛ الجميلي، رشيد الدين عبدالله، إمارة الموصل في العصر السلجوقي(489-521هـ)، ط1، جامعة بغداد، بغداد1980، ص158، سيشار إليه تالياً: الجميلي، إمارة؛ خليل، عماد الدين، ص49-50؛ الديوجي، تاريخ، ص263

(5) الفارقي، تاريخ، نقلاً عن حاشية القلانسي، ذيل، ص218؛ ابن خلكان، وفيات، جـ2، ص328؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص46؛ الديوجي، تاريخ، ص264.

كان عماد الدين زنكي قبل توليه أتابكية الموصل من كبار أمراء الدولة السلجوقية في العراق والموصل خاصة، إذ عاش فيها منذ وفاة أبيه آقسنقر الحاجب، سنة 487هـ/1095م⁽¹⁾ حتى سنة 515هـ/1122م، عاصر خلال هذه الفترة حكم ولايتها السلاجقة، وشارك معهم في حروبهم ضد الصليبيين ودُبَيْس، وأثبت كفاءته وشجاعته⁽²⁾، فعلت مكانته عند السلطان محمود، ففي سنة 515هـ/1122م رفض زنكي مرافقة البرسقي عندما ولاه السلطان الموصل والتحق بالسلطان فقربه حتى صار من خاصته ثم ولاه البصرة سنة 518هـ/1125م⁽³⁾ وأضاف إليه واسط⁽⁴⁾، وفي سنة 520هـ/1127م، لعب زنكي دوراً كبيراً في مساعدة السلطان على دخول بغداد، وإخضاع الخليفة المُستَرشِد، فاختره السلطان لتولي شحنتها لما عهد فيه من كفاءة وخبرة وقدرة على الحد من طموحات الخليفة الاستقلالية⁽⁵⁾.

(1) ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص241، هو أبو سعيد آقسنقر بن عبدالله قسيم الدولة المعروف بالحاجب، كان مملوك للسلطان ألب أرسلان، ثم عهد إليه تربية السلطان ملكشاه، وولاه الكثير من المناصب كان آخرها حكم ولاية حلب التي تولاها سنة 479هـ/1087م، وبقي يحكمها حتى مقتله سنة 487هـ/1095م، انظر ابن خلكان، وفيات، جـ1، ص241؛ الديوجي، تاريخ، ص257.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص206-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-221؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-111؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص297-299؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص235-236؛ النويري، نهاية، جـ23، ص265-267؛ ابن خلدون، العبر، جـ7، ص614-615؛ الجميلي، تاريخ، ص67-68.

(3) ابن الأثير، الباهر، ص24؛ الديوجي، تاريخ، ص259-262.

(4) الذهبي، تاريخ، وفيات وحوادث (501-520هـ)، ص304؛ الديوجي، تاريخ، ص259-262.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص244؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص241؛ المقدسي، الروضتين، جـ1، ص114؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص203؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص53؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص244؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص92.

سار عماد الدين إلى الموصل؛ فوصلها وتسلمها من الأمير جاولي وأقطعها الرحبة وأعمالها⁽¹⁾، وقرر قواعد الحكم فيها، واختار لذلك رجالاً يثق بهم ونظم أمور الإمارة عسكرياً وإدارياً وأحكم قبضته عليها؛ لتكون إمارة له ولابنائها من بعده⁽²⁾.

اتسمت علاقة الخليفة المسترشد مع زنكي بالاستقرار بعد توليه ولاية الموصل؛ إذ تخلص المسترشد من شخصية قوية يمكن أن يكون لها دوراً كبيراً في الحد من مشاريع الخليفة الاستقلالية فيما لو بقي يتولى شحنة بغداد⁽³⁾ فكان الخليفة من مؤيدي بقاء زنكي على ولاية الموصل ففي سنة 522هـ/1129م، استطاع دُبَيْس المقيم عند السلطان سنجر في خراسان تحريضه على السلطان محمود والخليفة المسترشد، وحذره من أنهما يعدان العدة للتخلص منه، وهون عليه أمر السيطرة على العراق، فمال السلطان سنجر إلى قبول هذا الرأي، وتوجه من خراسان قاصداً العراق، لكن السلطان محمود سمع بخبر تحرك عمه سنجر فمضى إليه والتقى معه وتصالحا وطمأنه على العراق، فرضي سنجر بهذا، وسلم دُبَيْس إلى محمود، وأمره بتوليته الموصل بدلا من زنكي، وأن يسأل الخليفة الرضا عنه⁽⁴⁾.

استجابة لأوامر السلطان سنجر توجه السلطان محمود إلى بغداد، وطلب من الخليفة الرضا عن دُبَيْس ومن زنكي التخلي عن الموصل لدُبَيْس، فيما بقي دُبَيْس خارج بغداد ينتظر الرد، لكن الخليفة لم يرضى بالعفو عن دُبَيْس، وتعاون مع زنكي -الذي جاء إلى بغداد مسرعاً- في إقناع السلطان بعدم تولية دُبَيْس، وإبقاء زنكي على الموصل، كونه الأقدر على مجابهة الخطر الصليبي بعكس دُبَيْس الذي تحالف مع

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص243؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص62.

(2) خليل، عماد الدين، ص49؛ الجميلي، دولة، ص46-47.

(3) الجالودي، تطور، ص90.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص249؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص142.

الصلبيين وبذل كل من الخليفة زنكي مائة ألف دينارٍ للسلطان ⁽¹⁾ كما أن أهل بغداد تظاهروا ضد دُبَيْس، ومنعوه من دخول بغداد، وشتموه وامتدحوا زنكي، لجهاده ضد الصليبيين ⁽²⁾، فاقتنع السلطان بضرورة إبقاء زنكي على الموصل لمواجهة الخطر الصليبي، وخلع عليه، وأقره على ولايته، وكتب له منشوراً جديداً بحكمها تأكيداً لمنشوره الذي أصدره سنة 521هـ/1128م ⁽³⁾

يبدو أن السلطان محمود كان يميل إلى جانب زنكي لما له من مواقف إلى جانبه، كما أنه يدرك أن السلطان سنجر أراد من تولية دُبَيْس أن يكون عيناً له على السلطان محمود والخليفة ⁽⁴⁾.

تحسنت علاقات زنكي بالخليفة بعدما أيد الخليفة تثبيت زنكي على ولاية الموصل واستمرت كذلك، لكنها أخذت بالتوتر بدءاً من سنة 525هـ/1131م، حين أقدم زنكي على شراء دُبَيْس المعتقل عند والي دمشق بخمسين ألف دينار، وحرّم الخليفة من فرصة القبض على عدوه دُبَيْس، إذ أن الخليفة أرسل ابن الأنباري في طلب دُبَيْس فور سماعه خبر اعتقاله لدى والي دمشق ⁽⁵⁾ لكن ابن الأنباري وصل إلى دمشق متأخراً بعدما كان زنكي قد اشترى دُبَيْس، فغضب ابن الأنباري، وأغلظ القول لزنكي فقبض عليه زنكي وهو في طريق عودته إلى بغداد وسجنه وأهان ⁽⁶⁾.

ويبدو أن زنكي أقدم على هذه الخطوة لاستخدام دُبَيْس في الضغط على الخليفة، وهذا ما حدث في سنة 525هـ/1131م حين توفي السلطان محمود وتنازع

⁽¹⁾ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، 252-253؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 249؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 247؛ الذهبي، دول، جـ 2، ص 31؛ خليل، عماد الدين، ص 50-51؛ رنسيان، تاريخ، جـ 2، ص 290.

⁽²⁾ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 247؛ خليل، عماد الدين، ص 51.

⁽³⁾ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 249؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 247.

⁽⁴⁾ خليل، عماد الدين، ص 51.

⁽⁵⁾ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 135-137؛ القلانسي، ذيل، ص 230-231؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 58.

⁽⁶⁾ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 2258-259؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 66-67؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 58.

السلاجقة على من يتولى بعده؛ فأراد زنكي اغتنام هذه الفرصة في تولية من يُمكنه من تحقيق أهدافه، فبعث إلى الخليفة يطلب منه الخطبة للطفل ألب أرسلان الذي يتولى زنكي أتابكيته⁽¹⁾، فرفض الخليفة طلب زنكي بحجة صغر سن الطفل ألب أرسلان، وأن السلطان محمود كان قد أوصى بالحكم لابنه داود والذي خطب له بالفعل في بعض المناطق، وارجع الخليفة أمر تولية السلطان الجديد إلى السلطان سنجر فهو عم القوم وكبيرهم⁽²⁾، فلجأ زنكي في سنة 526هـ/1132م إلى التحالف مع مسعود بن السلطان محمد، وأتفق معه على السعي لتصيب مسعود سلطاناً للسلاجقة، مقابل تنازله عن مدينة أربيل لصالح زنكي، وتوجهها بالفعل إلى بغداد لمطالبة الخليفة بالخطبة لمسعود⁽³⁾ إلا أن منافساً آخر كان قد سبقهما إليها، وهو سلجوقشاة بن السلطان محمد مدعوماً باتابكه قراجه الساقى صاحب فارس، وطالب الخليفة بالخطبة له⁽⁴⁾، وعند وصول قوات زنكي إلى مشارف بغداد اشتبكت مع قوات الساقى، وهزم زنكي، وهرب إلى تكريت، ومنها عاد إلى الموصل⁽⁵⁾.

أدرك زنكي بعد هزيمته هذه أن قوة السلاجقة تكمن في السلطان سنجر الذي يسيطر على خراسان، فمال إلى جانبه وقام في سنة 526هـ/1132م بالتعاون مع دُبَيْس بتنفيذ أوامره بالتوجه نحو بغداد؛ بهدف تفكيك التحالف الذي شكّله الخليفة مع كل من مسعود وسلجوقشاة ابني السلطان محمد، وهاجم زنكي ودُبَيْس بغداد في الوقت الذي سار فيه زنكي لملاقاة الخليفة وحلفاءه مما جعل الخليفة يترك حلفائه

(1) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص46؛ السامرائي، الدولة، ص288-289؛ خليل، عماد الدين، ص51؛ الديوجي، تاريخ، ص271.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص264؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص46؛ ابن كثير، البداية، جـ11؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص269-270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263-263؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص59؛ خليل، عماد الدين، ص52؛ رنسيما، تاريخ، جـ2، ص308-309.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص269-270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263.

ويعود لحماية بغداد من زنكي ودُبَيْس حيث استطاع صدهما وهزيمتهما وقتل كثير من جنودهما وأسّر بعضهم⁽¹⁾.

حاول زنكي استرضاء الخليفة فأرسل إليه أحد قضاته يطلب عفوّه وينتظر أمره لتولي شحنة بغداد من قبل السلطان سنجر، فرفض الخليفة ذلك واشترط على زنكي تسليم دُبَيْس ليتمّ الصلح بينهما، وهدده إن لم يفعل ذلك، سيتمّ مهاجمته في الموصل⁽²⁾، ولم يكتفِ الخليفة بهذا بل بعث الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الإسفرايني الواعظ إلى زنكي، وحملّه رسالة تضمنت عباراتها التهديد والوعيد، وتقبيح فعله بحماية دُبَيْس، وتحالفه مع سنجر ضد الخليفة، وزادها الإسفرايني خشونة وقبح فعل زنكي مظهراً قوة الخليفة وقدرته وناموس الخلافة، فرد زنكي علي هذا بالقبض على الإسفرايني وسجنه وإهانته⁽³⁾.

أراد الخليفة استغلال هذه الحادثة، وانشغال السلاجقة في نزاعاتهم لتحقيق أهدافه التوسعية والاستقلالية بضم الموصل والمناطق الواقعة على الطريق إليها، وتأديب زنكي على أفعاله بحماية دُبَيْس، والتحالف مع أعداء الخلافة، ووضع حداً لاتخاذ الموصل ملجأ لأعداء الخلافة، وإظهار قوته بعد أن أصبح يمتلك جيش يعدّه للقيام بدور محوري في المنطقة⁽⁴⁾، فنادى الخليفة بالنفير العام فجمع جيشه، وكاتب الولاية، واستطاع جمّع جيش كبير وصل تعداده إلى نيف وثلاثين ألف راجل واثنى عشر ألف فارس⁽⁵⁾ وتوجه إلى الموصل⁽⁶⁾ وفي طريقه إليها أخضع المُستَرشِد كل

(1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص47-51.

(2) ابن الأثير، الباهر، ص45-46؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص69؛ ابن العبري،

تاريخ زمان، ص145؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص60.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص52؛ الزهراني،

نظام، ص54.

(4) ابن الأثير، الباهر، ص47؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ ابن العبري، تاريخ

مختصر، ص204؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1050؛ خليل، عماد الدين، ص55؛

الآلوسي، "المُستَرشِد"، ص506.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص266.

(6) EI², AL-Mustarshid, VII pp 734

المناطق التي مر بها كالرملة⁽¹⁾ وتكريت والمزرق⁽²⁾، ووصل إلى الموصل في العشرين من رمضان سنة 527هـ/1133م وفرض عليها حصاراً مشدداً⁽³⁾.

أما زنكي فقد استعد لملاقاة الخليفة، وحماية الموصل من الوقوع في قبضته فأخذ قسماً من جيشه، وخرج به إلى سنجار خارج الموصل، وترك ما تبقى من جيشه فيها، وأمره بالدفاع عن الموصل⁽⁴⁾.

وصلت قوات الخليفة إلى الموصل وانضم إليه أبو الهيجاء الكردي أحد أمراء الأكراد، ومعه جيوش كثيفة⁽⁵⁾، وأخذ جيش الخلافة يشن هجماته على الموصل، لكن نائب زنكي استطاع الصمود في الدفاع عنها، فيما كان زنكي يقطع خطوط إمدادات الخليفة ويشن الغارات عليه، وأرسل زنكي إلى الخليفة يعرض عليه المال والهدايا مقابل رفع حصاره عن الموصل؛ فرفض الخليفة هذا العرض⁽⁶⁾، وجرت محاولة لتسليم الموصل بالتعاون مع بعض حماتها الذي توأطوا مع جنود الخليفة لتحقيق ذلك، لكن هذا المؤامرة اكتشفت قبل أن تتحقق أهدافها⁽⁷⁾، وطال أمد الحصار حتى بلغ ثمانين يوماً، لم يستطع الخليفة إزائها تحقيق شيء، ولم يظهر على الموصل ما يشير إلى ضعفها؛ مما اضطر الخليفة إلى تركها، والعودة إلى بغداد؛ أثر سماعه أخبار عن تغير السلطان مسعود عليه، وعزمه إلى مهاجمة بغداد مستغلاً غياب الخليفة عنها، ووجوده خارجها أثناء حصاره للموصل⁽⁸⁾.

(1) محلة على شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد، انظر الحموي، معجم البلدان، ج3، ص69-70

(2) قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاث فراسخ، انظر الحموي، معجم البلدان، ج5، ص121.

(3) ابن الأثير، الباهر، ص47-48.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص276؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص270؛ ابن واصل، مفرج، ج1، ص52.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص276؛ خليل، عماد الدين، ص55.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص276؛ الزهراني، نفوذ، ص131؛ خليل، عماد الدين، ص56.

(7) ابن واصل، مفرج، ج1، ص52-53.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص276؛ القلانسي، ذيل، ص249.

إن ازدياد قوة مسعود بن السلطان محمد بعد انتصاراته على أخيه طغرل وكونه عدواً مشتركاً للخليفة وزنكي؛ جعلهما يسعيان إلى التحالف من أجل تكوين جبهة مضادة قادرة على الصمود في وجهه، فبادر الخليفة إلى الاتصال بزنكي يعرض عليه رغبته في الصلح؛ فأجاب زنكي إلى ذلك، وتم الاتفاق بين الطرفين، وقدم زنكي ابنه غازي رهينة عند الخليفة، وبعث الخليفة الهدايا والخلع إلى زنكي⁽¹⁾.

واستمر التحسن في علاقات الجانبين حتى وصلت سنة 529هـ/1135م إلى حد التحالف، ومشاركة زنكي في حرب الخليفة ضد السلطان مسعود، إذ أرسل الخليفة إلى زنكي الذي كان يحاصر دمشق، وطلب منه فك الحصار عنها، والقدوم إلى بغداد والمشاركة في حرب الخليفة ضد مسعود، ووعدته بتلبية طلبه القديم بالخطبة لطفل ألب أرسلان فأجاب زنكي إلى ذلك وفك الحصار عن دمشق، وخطب باسم الطفل ألب أرسلان وخطب الخليفة باسمه وذلك يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة 529هـ/1135م⁽²⁾ فأرسل زنكي قواته لمساعدة الخليفة ضد مسعود لكنها لم تشترك في الحرب بسبب وصولها بعد هزيمة الخليفة وأسر⁽³⁾ه، والذي أفضى في ما بعد إلى مقتله على يد الباطنية النزارية سنة 529هـ/1135م⁽⁴⁾.

(1) ابن العبراني، الإنباء، ص218؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص282؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص204؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62؛ رنسيما، تاريخ، جـ2، ص309.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص263؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص154؛ القلانسي، ذيل، ص248؛ ابن العديم، تاريخ، جـ2، ص450-451..

(3) ابن العبري، تاريخ زمان، ص147.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص162.

3.4 : الحروب الصليبية وموقف الخليفة المُستَرشد منها

انطلقت الحملة الصليبية الأولى من غرب أوروبا سنة 490هـ/1099م واجتازت آسيا الصغرى، ثم تغلغت في الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ونجحت في تأسيس أربع كيانات سياسية⁽¹⁾ لها في كل من الرها⁽²⁾ وأنطاكية⁽³⁾ وطرابلس⁽⁴⁾ (492هـ/1098م) والقُدس (492هـ/1099م)⁽⁴⁾ وانتهجت هذه الكيانات سياسةً عسكريةً تقوم على الإغارة على المناطق الإسلامية المجاورة لها، والقيام بعمليات القتل والنهب ونشر الرعب في نفوس الناس والتحصن في قلاعها؛ لحماية نفسها من حملات

(1) الحسو، احمد عبدالله، الكرك عبر العصور، وزارة الثقافة الأردنية، عمان 2005م، ص37. سيشار إليه تالياً الحسو، الكرك. أنظر الملحق: رقم(و)، ص208-209.

(2) عن إمارة الرها انظر: رنسيما، تاريخ، جـ1، ص287 وما بعدها؛ الرويضي، محمود محمد، إمارة الرها الصليبية (1097-1155م/490-550هـ)، ط1، وزارة الثقافة، عمان 2002م سيشار إليه تالياً الرويضي، إمارة.

(3) عن إمارة إنطاكية انظر: الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م 1980م، جـ1، ص256-283؛ رنسيما تاريخ، جـ1، ص303، 327-334.

(4) عن مملكة بيت المقدس اللاتينية انظر : رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية مملكة بيت المقدس (1100-1187م)، نقله إلى اللغة العربية الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت 1968م، جـ1، ص375 وما بعدها؛ سيشار إليه تالياً، رنسيما، تاريخ

(5) عن إمارة طرابلس انظر: الصوري، تاريخ، جـ2، ص279-287؛ زكار سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط3، دار الفكر، بيروت 1975، 242-247. سيشار إليه تالياً: زكار، مدخل.

المسلمين⁽¹⁾، وطلب العون من ملوك غرب أوروبا الذين استمروا في إرسال الحملات الصليبية إلى مناطق بلاد الشام ومصر⁽²⁾.

كانت السلطنة السلجوقية - والتي من مهامها الدفاع عن بلدان الخلافة العباسية في حالة تعرضها للخطر - غارقة في مشاكلها الداخلية، وصراعاتها حول السلطة⁽³⁾ إذ تزامن الغزو الصليبي مع اشتداد الصراعات السياسية التي شهدتها الدولة السلجوقية عقب وفاة السلطان ملكشاه (465-485هـ/1073-1093م)، والتي تجددت، وازدادت شدتها بعد وفاة السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) ووفاة السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م)⁽⁴⁾ فلم تقم بواجبها تجاه بلاد

(1) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 16، 19-20، 43، 56-57، 67-68، 72، 70، 85-86،

93-94، 128-131؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، ص 92-93.

(2) عن الحملات الصليبية انظر: رنسيمن، تاريخ الحروب الصليبية؛ سميل، ر.سي، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982م، ص 28-39. سيشار إليه تالياً سميل، الحروب.

(3) الحسو، الكرك، ص 53.

(4) عن صراعات السلاجقة عقب وفاة السلاطين السلاجقة ملكشاه ومحمد ومحمود انظر الفصل الثالث من هذه الأطروحة: السلاجقة في عهد المُستَرشِد

الشام والجزيرة الفراتية وإثما تحملت القوى المحلية -في دمشق⁽¹⁾ وحلب⁽²⁾ والموصل⁽³⁾ ومصر⁽⁴⁾- العبء الأكبر في مواجهة هذا الخطر .

أما الخلافة العباسية فكانت أضعف من أن تشارك عسكرياً في مواجهة هذا الخطر⁽⁵⁾، إذ كان الخليفة المستظهر (487-512هـ/1095-1119م) واقعاً تحت النفوذ السلجوقي، الذي جرده من إي قوة عسكرية، مما جعله يكتفي باستغاثة السلاطين السلاجقة لمواجهة الخطر الصليبي ففي سنة 491هـ/1098م، وبعد أن ظهر الخطر الصليبي، وملك الصليبيون أنطاكية، ومعرة النعمان، أرسل الخليفة رسولاً إلى السلطان بركياروق "مستنفراً على الفرنج ومبالغاً في تعظيم الأمر،

(1) أسس هذه الأتابكية في دمشق الأمير السلجوقي طغتكين الذي كان أتابكاً للأمير دقاق بن تتش بن السلطان ألب أرسلان، فلما توفي هذا سنة 497هـ/1103م أسنأثر طغتكين بحكمها، وتوارثها أبنائه حتى سقوطها بيد نور الدين محمد سنة 549هـ/1105م، انظر المنجد، ولاية، ص 17-26؛ وعن دورها في مواجهة الخطر الصليبي انظر: القلانسي، ذيل، ص 133-267.

(2) خضعت ولاية حلب في سنة 512هـ/1119م، لحكم عائلة تركمانية عرفت بالأرناؤقة، والتي بقيت تحكمها حتى سقوطها بيد آقسنقر البرسقي سنة 518هـ/1125م، نظر ابن شداد، عز الدين بن محمد (684هـ/1285م) الأعلام، ج 3، ق 2، ص 428-437؛ وعن درها في مواجهة الخطر الصليبي انظر: الرويضي، إمارة، ص 455-493.

(3) عن دور الموصل في عهد الولاة السلاجقة (489-521هـ/1097-1128م) في مواجهة الخطر الصليبي انظر: الرويضي، إمارة، ص 381-493، 410-525؛ وعن دورها في عهد أتابكية الموصل (521-631هـ/1128-1234م)، انظر خليل، عماد الدين، ص 134 وما بعدها؛ الجميلي، رشيد، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، ط 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1970م، سيشار إليه تالياً: الجميلي، دولة

(4) عن موقف الخلافة الفاطمية في مصر من الحملة الصليبية الأولى، نظر غوانمة، يوسف، "الأفضل بن بدر الجمالي وموقفه من الحملة الصليبية الأولى"، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود 1983، م 10، ص 71-91. سيشار إليه تالياً: غوانمة، الأفضل.

(5) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1975م، ج 1، ص 535. سيشار إليه تالياً عاشور، الحركة.

وتداركه قبل أن يزداد قوة⁽¹⁾. وبعد احتلال الصليبيون لبيت المقدس سنة 492هـ/1099م، ووضعهم السيف في رقاب أهلها، جاء المستنفرون من الشام إلى بغداد، فوجههم المستظهر إلى السلطان بركياروق⁽²⁾ وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد بصحبة القاضي أبي سعيد الهروي، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والأولاد ونهب الأموال، فلشدة ما أصابهم أظفروا، فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاسي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعيد الحلواني وأبو الحسين بن سماك، فساروا إلى حلون فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني... فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة، واختلف السلاطين..... فتمكن الفرنج من البلاد⁽²⁾.

أما الخليفة المسترشد فمع أنه قد نشط في محاولة تقليص النفوذ السلجوقي في العراق، وتكوين قوة عسكرية خاصة به، إلا أن المصادر لم تُشير إلى أي دور عسكري له في مواجهة الخطر الصليبي⁽³⁾ وربما يعود ذلك؛ لانشغاله في محاولته

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 43؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 17.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 47-48؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 19-20؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 20.

(3) الصوري، تاريخ، جـ 1، ص 256-283؛ الشارترى، تاريخ الحملة إلى القدس، ص 1 وما بعدها؛ ابن حمدون، التذكرة، 168-175؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 161-300؛ الفارقي، تاريخ، 152-300؛ ابن العمراني، الإنباء، ص 188-225؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 174-284؛ ابن الأثير، الباهر، ص 5-25؛ الكازروني، مختصر، ص 219-225؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 70-160؛ أبو الفداء المختصر، ص 5076؛ ابن قاضي شهبه، الكواكب، 81-103؛ ابن كثير، البداية، جـ 11، ص 223-259؛ ابن شداد، الأعلام، جـ 3، ق 2، ص 428-437؛ البنداري، تاريخ، ص 109-171؛ الحسيني، أخبار، ص 84-123؛ القلانسي، ذيل، ص 198-253؛ الحسيني، راحة، ص 35-50؛ النويري، نهاية؛ ابن العبري، تاريخ زمان، 86-151؛

الحد من النفوذ السلجوقي، وتحقيق استقلال العراق، ومواجهة الخطر الذي كان يشكله دُبَيْس بن صدقة أمير الحلة على دار الخلافة، والذي دام طول فترة خلافته. كما أن الخليفة المُسْتَرْشِد كان يرى أن مواجهة هذا الخطر من مهام السلطنة السلجوقية، وولاتها في حلب والموصل ودمشق، ففي سنة 512هـ/1119م وصلت رُسُل إيلغازي صاحب حلب وماردين إلى بغداد يستقر على الصليبيين، ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجرزية، وأنهم ملكوا قلعة الرها وقتلوا أميرها، فما كان من الخليفة المُسْتَرْشِد، إلا أن أرسل الرسل بذلك إلى السلطان السلجوقي محمود⁽¹⁾، في سنة 514هـ/1121م، وبعد أن استطاع إيلغازي تحقيق انتصار على الصليبيين، وأصاب منهم، أرسل إليه الخليفة المُسْتَرْشِد ابن الأنباري يحمل الخلع إليه، ويشكره على غزو الصليبيين ويأمره بإبعاد دُبَيْس عنه⁽²⁾.

وعندما فوض المُسْتَرْشِد للسلطان محمود حكم البلاد سنة 515هـ/1122م، سلمه سيفين... وقال له أقمع بهما الكفار والملحدين، وعقد له بيده لوائين⁽³⁾، ودعم الخليفة في سنة 523هـ/1123م تثبيت عماد الدين زنكي في حكم ولاية الموصل لما له من دورٍ كبيرٍ في حماية البلاد من الصليبيين بعكس دُبَيْس الذي كان قد تحالف معهم ضد المسلمين⁽⁴⁾.

الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 273-300؛ ابن الوردي، تاريخ،

ج2، ص 40-62؛ السيوطي، تاريخ، ص 335-343.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 169؛ الذهبي، سير، ج20، ص 103-104.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 194-195.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص 196؛ القلانسي، ذيل، ص 238؛ الذهبي، تاريخ،

حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 287-288.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص 252-253؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 249؛ ابن

كثير، البداية، ج11، ص 247؛ خليل، عماد الدين، ص 50-51؛ رنسيما، تاريخ، ج

ص2، ص 290.

4.4 : الحركة النزارية وعلاقتها بالخليقة المُستَرشد

تعددت فرق الشيعة ومذاهب أهلها، فكان منها الإسماعيلية والمباركية واليزيدية والقرمطية والخرمية والنزارية⁽¹⁾ والباطنية، والذي أطلق على جميع هذه الفرق، لأنها جعلت لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً⁽²⁾.

فالنزارية⁽³⁾ فرقةٌ شيعيةٌ إسماعيليةٌ ظهرت في مناطق شمال إيران على يد الداعي الشيعي الحسن الصباح (483-518هـ/1091-1125م)⁽⁴⁾ في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي والذي تهيأت له فرص التحرك، فاستطاع نشر دعوته في مناطق أذربيجان وإيران والعراق والشام، وتبعه أناسٌ كثيرٌ وسيطر على

(1) الغزالي، محمد بن محمد بن أحمد (ت505هـ/)، فضائح الباطنية وفضائل المستظهيرية، تحقيق عبد الكريم الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م، ص23-27. سيشار إليه تالياً الغزالي، فضائح.

(2) الغزالي، فضائح، ص23؛ الجويني، عطا ملك (ت681هـ/)، جهانگشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، ط1، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق 1985م، ج2، ص308-309، سيشار إليه تالياً الجويني، جهانگشاي. حلمي، السلاجقة، ص168، حسنين، إيران، ص77-78. عن مبادئ وأفكار الفرق الشيعية انظر، الغزالي، فضائح؛ الجويني، جهانگشاي. المجلد الثاني.

(3) نسبة إلى نزار ابن الخليفة الفاطمي المستنصر (427-487هـ/1036-1095م)، والذي عهد إليه أبيه بالخلافة بعده ولقبه المصطفى لدين الله، لكن قائد الجيوش بدر الجمالي (ت487هـ/1095م) استطاع التأثير على المستنصر؛ فنقل ولاية العهد إلى ابنه أحمد المستعلي (487-495هـ/1095-1102م)، انظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص496-498؛ الجويني، جهانگشاي، ج2، ص303-307.

(4) هو الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن الصباح الحميري من دعاة الشيعة الإسماعيلية النزارية، استطاع السيطرة على قلعة ألموت، ونشر دعاته منها وبقي يتولى قيادة هذه الفرقة حتى وفاته سنة 518هـ/1125م، انظر: الجويني، جهانگشاي، ج2، ص302-320.

قلعة ألموت سنة 483هـ/1090م⁽¹⁾ واستقر فيها، ومنها أخذ يرسل أتباعه إلى مناطق المشرق الإسلامي فسيطروا على كثيرٍ من القلاع الحصينة⁽²⁾.

كان ذلك في أواخر حكم السلطان ملكشاة (465-485هـ/1073-1093م) الذي أدرك خطر هذه الحركة على الدولة والمجتمع، وبدأ بالاعتماد على وزيره نظام الملك الطوسي (ت485هـ/1093م) محاولاً استئصالها، والقضاء عليها والسيطرة على قلاعها، وقتل كثيراً من أتباعها؛ فعمدت هذه الحركة إلى انتهاج سياسة التخفي (التقية) وتنفيذ اغتيالات سياسية ضد كبار رجال الدولة، وعلماء وفقهاء العالم السني بشكل عام⁽³⁾.

كان الوزير نظام الملك الطوسي أول ضحايا الحركة النزارية إذ أمر الحسن الصباح بقتله سنة 485هـ/1093م، مستغلاً الصراع الذي نشب بين الوزير، والسلطان ملكشاة حول ولاية العهد⁽⁴⁾، وبعده بفترة وجيزة وفي ظروف غامضة مات السلطان⁽⁵⁾.

استغلت الحركة الإسماعيلية النزارية الصراعات الشديدة التي شهدتها الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاة؛ فوسعت من نشاطاتها، واستطاعت السيطرة على مزيدٍ من القلاع الحصينة، كما عملت على إذكاء الصراعات بين أبناء السلطان ملكشاة؛ فانضمت إلى السلطان بركياروق ضد أخيه محمد، وكوّنت جزءاً كبيراً من جيشه، مما أثار الناس ضد بركياروق، الذي أدرك الأثر السيئ لانضمام هذه

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص38؛ الجويني، جهانگشاي، ج2، ص308-309؛ حسنين، إيران، ص80.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص40.

(3) حول هذه الاغتيالات انظر الملحق رقم (هـ)، ص205-207.

(4) ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ الحسيني، زبدة، ص139-141؛ ابن العبري، تاريخ، مختصر، ص192-193؛ أبو النصر، السلاجقة، ص106-108؛ حلمي، السلاجقة، ص42-43.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص481-484.

الحركة إليه، فانقلب عليها، وقتل أعداداً كبيرةً من أتباعها فيما عرف في مذبحة أصفهان سنة 494هـ/1101م⁽¹⁾.

بعد وفاة السلطان بركياروق وانفراد السلطان محمد بالحكم، كانت النزارية قد اتسعت أملاكها وكثر أتباعها وعم البلاد ضررها، فهاج السلطان محمد ما وصلت إليه هذه الحركة من قوة وسيطرة فقرر القضاء عليها، وكانت سياسته في ذلك تقوم على التصدي لها فكرياً وعسكرياً، فكان يرسل مع حملاته العسكرية الفقهاء والعلماء ويأمرهم بمناظرتهم وإبطال معتقداتهم، فاستولى في سنة 500هـ/1107م، على قلعة شاهز⁽²⁾ وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش⁽³⁾، وأرسل حملة أخرى بقيادة وزيره لحصار قلعة ألموت، لكنها عادت دون أن تتمكن من فتحها⁽⁴⁾، فأعاد الكرة مرة أخرى في سنة 505هـ/1112م وفرض حصاراً مشدداً على هذه القلعة، فاستمر هذا الحصار حتى سنة 511هـ/1118م، وكادت أن تستسلم لولا وفاة السلطان -في هذا الوقت- مما اضطر قائد جيشه إلى الانسحاب عنها⁽⁵⁾.

توقف تنفيذ خطة السلطان محمد في القضاء على النزارية بعد وفاته، وانشغل السلاجقة في نزاعاتهم حول السلطان، ووجد النزارية الفرصة من جديد لتقوية حالهم، فاستولوا على كثير من القلاع، وأضافوها إلى ما بأيديهم، ومع أن السلطانين سنجر ومحمود حاربا هذه الحركة، فقد ذكر أن السلطان سنجر في سنة 521هـ/1128م، قتل اثني عشر ألفاً من الباطنية في أصفهان⁽⁶⁾، كما قيل أن

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 62-63؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 43-44.

(2) قلعة حصينة على جبل في أصفهان كانت معقل ابن عطاش وهو أحمد بن عبد الملك مقدم الباطنية، استحدثها السلطان ملكشاه، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ 3، ص 316.

(3) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 107-109؛ اليافعي، مرآة، جـ 3، ص 124؛ القلانسي، ذيل، ص 151؛ حلمي، السلاجقة، ص 182.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 99-101؛ حلمي، المختصر، ص 53.

(5) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 169؛ الجويني، جهانگشاي؛ جـ 2، ص 317؛ حلمي، السلاجقة، ص 182.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 244؛ اليافعي، مرآة، جـ 3، ص 173.

السلطان محمود استولى في سنة 524هـ / 1130م، على قلعة ألموت⁽¹⁾، إلا أن الدولة السلجوقية في عهدهما، لم تول أمر القضاء على هذه الحركة الأهمية الكافية، كما كان أيام السلطان محمد، لا بل إن الذهبي ذكر أن السلطان سنجر تحالف مع الباطنية وأنهم كَوَّنوا جزءاً كبيراً من جيشه في حربه مع السلطان محمود سنة 513هـ / 1120م⁽²⁾ الأمر الذي مكَّن هذه الحركة من توسيع نشاطها وزيادة خطرها فاستولى أتباعها على كثير من القلاع الحصينة في مناطق واسعة من المشرق الإسلامي⁽³⁾.

كانت الخلافة العباسية ترى أن مجابهة الخطر الباطنيّ الإسماعيليّ والتصدي له من مهام السلطنة السلجوقية، ومع ذلك كانت تقف إلى جانب السلطان محمد في محاربة الحركة الإسماعيلية، فعمل الخليفة المستظهر على حث العلماء والفقهاء على محاربة أفكار الإسماعيلية وبيان خطرها وإصدار الفتاوي التي تبيح قتالهم⁽⁴⁾، ودعا إلى مخالفتهم في جميع أفعالهم وطرق تأدية العبادات⁽⁵⁾، كما نشط رجال الخليفة بالتعاون مع أصحاب شحنة بغداد في تتبع أتباع الحركة النزارية والفتك بهم، ففي سنة 503هـ / 1110م، أقدم أحد النزارية على طعن وزير السلطان محمد فقبض عليه، وأقر على جماعة من النزارية، الذين كانوا في أحد مساجد بغداد فقتلوا وقتل معهم⁽⁶⁾.

وفي خلافة المُستَرشِد اتسع خطر النزارية، وسيطروا على كثير من القلاع المنتشرة في إيران وأصفهان وأذربيجان والشام⁽⁷⁾، ونشروا فدائيتهم بين الناس في

(1) اليافعي، مرآة، ج 3، ص 175.

(2) الذهبي، دول، ج 2، ص 28.

(3) حلمي، السلاجقة، ص 185.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 62-63.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 66؛ ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 44؛ اليافعي،

مرآة، ج 3، ص 173.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 117.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 231.

زي التجار والحجاج وقتلوا كثيراً من رجال الدولة والفقهاء والعلماء والقضاة⁽¹⁾، ومال نشاطهم إلى نوع من الاستقرار بعد وفاة الحسن الصباح سنة 518هـ/1125م، وتولي خليفته كيازرگ اميد(518-532هـ/1125-1138م)⁽²⁾، واستولى أتباعه على قلاع طالقان⁽³⁾ وغنم كثيراً وعظم أمر أتباعه في الشام وخافتهم العامة والحكام⁽⁴⁾.

نشط الخليفة المسترشد في محاربة هذه الحركة؛ فأمر رجاله بتعقب أتباعها وفدائييها وقتلهم، ولم يمنعه انشغاله في محاربة دُبَيْس من الحذر منهم، وتتبعهم. ففي سنة 517هـ/1124م، وبينما كان الخليفة يتهياً للخروج لمحاربة دُبَيْس وصلت أخبار مفادها أن رجالاً من النزارية، جاءوا إلى بغداد في زي الأتراك؛ يقصدون الفتك، وقتل الخليفة، فأمر الخليفة أن يبعد كل مستعرب من الأتراك عن جيش الخلافة⁽⁵⁾، وفي سنة 518هـ/1125م استطاع رجال الخليفة تعقب مجموعة من النزارية الذين انضموا إلى قافلة تجاريه قادمة إلى بغداد من خراسان وكانوا يقصدون قتل أعيان الدولة مثل الوزير ابن صدقة، والقائد نظر، فقبض عليهم قبل تنفيذ مخططهم، وتم استجوابهم، فأقروا على مجموعة من أتباع الحركة النزارية في بغداد، فقبض عليهم جميعاً وصلبوا ثم قُتلوا أمام الناس⁽⁶⁾.

(1) الأصفهاني، زبدة، ص 171-172؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 50-51؛ ابن

الوردي، تاريخ، ج 2، 37؛ للمزيد انظر الملحق رقم (هـ)، ص 205-207.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 231. اسم فارسي بمعنى الأمير أمل الكبير، دخل قلعة ألموت

إلى جوار الحسن الصباح سنة 494هـ/1101م، وتولى حكمها بعد وفاة الحسن سنة

518هـ/1125م، وبقي يحكمها حتى وفاته سنة 532هـ/1138م، الجويني، جهانگشاي،

ج 2، ص 315-323.

(3) قرية من قرى بلخ بخراسان، انظر الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 12.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 118-119؛ القلائسي؛ ذيل، ص 142.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 216.

(6) المصدر نفسه، ج 17، ص 225؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 113؛

الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 302.

يبدو أن الخليفة المُستَرشد قد شدد على هذه الحركة؛ فاعتبرته أخطر أعدائها، وخاصة بعد أن نجح الخليفة في استقطاب العامة حوله الذين عاضدوه في حروبه مع دُبَيْس والسلاجقة وزنكي⁽¹⁾، فحاولت اغتياله سنتي 517هـ/1124م و518هـ/1125م، لكنها فشلت في ذلك بسبب تيقظ رجاله والتفاف العامة حوله⁽²⁾، وفي سنة 529هـ/1135م، بالاتفاق مع السلطان سنجر والسلطان مسعود، اغتنم النزارية فرصة هزيمة الخليفة من قبل السلطان مسعود بالقرب من مراغة، ووجوده في خيمة دون حماية تذكر؛ فهاجمته جماعة كبيرة منهم على خيمته وقتلته ومثلّت بجثته⁽³⁾

إعتبر أتباع النزارية اغتيال الخليفة نصراً عظيماً لهم، فأمر قائدهم (كيايزرك) بإقامة الاحتفالات لمدة أسبوع ابتهاجاً بهذا النصر⁽⁴⁾.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 219.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 225؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، جـ 8، ص 113؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص 302.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص 283؛ القلانسي، ذيل، ص 250؛ ابن سباط، تاريخ، جـ 1، ص 60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 149؛ الذهبي، دول، جـ 2، ص 35؛ أبو الفداء، المختصر، جـ 2، ص 73؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ 2، ص 62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162؛ الجويني، جهانگشاي، جـ 2، ص 322.

(4) الجويني، جهانگشاي، جـ 2، ص 321؛ حلمي، السلاجقة، ص 186.

الخاتمة

عالجت هذه الدراسة الأحداث المختلفة في خلافة المُسْتَرْشِد (512-529هـ/1119-1135م)، ودوره في مواجهة السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية، وتخليص العراق من نفوذهم، وتحديد أبعاد هذا الدور وأهميته، وقد خلصت الدراسة الى النتائج التالية:

أولاً: إختار المُسْتَرْشِد شخصيات مثقفة ذات خبرة في العمل الإداري والسياسي لتولي وزارته والوظائف المهمة في حكومته، وراقب عملهم بشكل مستمر فكان يعاقب المقصر، ويخلع على المحسن، مما دفعهم الى القيام بعملهم على الوجه المطلوب، فكانوا له عوناً في مقاومة النفوذ السلجوقي، والتقليل من آثاره على العراق.

ثانياً: جرد السلاطين السلاجقة الخلافة العباسية من أي قوة عسكرية، لكن الخليفة المُسْتَرْشِد -ولما إمتاز به من صفات كبيرة - ما كان ليرضى بهذا؛ فعمل على تكوين جيش خاص به، اعتمد عليه في تحقيق أهداف الخلافة.

ثالثاً: كانت خلافة المُسْتَرْشِد (512-529هـ/1119-1135م) مليئة بصراعات السلاجقة ونزاعاتهم حول السلطنة، وخاصة تلك التي كانت الدولة السلجوقية تشهده عقب وفاة السلاطين والتي تركت آثارها السيئة على أحوال الناس ومعاشهم وأمنهم، فنفروا من الحكم السلجوقي وكرهوه، فاستغل المُسْتَرْشِد ذلك، واستطاع استقطاب العامة حوله بالاعتماد على تأثيره الديني وما قام به من إصلاحات سياسية واقتصادية فالتفّ العامة حوله وساندوه في حروبه مع دُبَيْس ابن صدقة والسلاجقة.

رابعاً: شهدت خلافة المُسْتَرْشِد نشاطاً ملحوظاً للإمارة المزيديّة في ظل حكم أميرها دُبَيْس بن صدقة، والذي سعى الى توسيع حدود إمارته بشن الاعتداءات المتتالية على مناطق الخلافة، وذلك بعد أن اطمأن الى موافقة السلطنة السلجوقية غير المعلنة على أفعاله، فتصدى الخليفة المُسْتَرْشِد لهذه الاعتداءات وخاصة بعدما أدرك أن السلطنة السلجوقية تبقى على دُبَيْس في مواجهة الخلافة، وتحارب المُسْتَرْشِد مع دُبَيْس وهزمه وقضى على ما يشكله من خطر على بغداد.

خامساً: كرّس الخليفة المُستَرشِدُ خلافته لتحقيق استقلال العراق، وتقليص نفوذ السلاجقة فيه وإعادة هيبة الخلافة وقوتها، لكن السلاجقة لم يرضوا بهذا؛ فعملوا على الحد من قدراته وتجريده من سلطاته، كما فعلوا مع من سبقه من الخلفاء، وعندما لم تتجح هذه الإجراءات في الحد من طموحات المُستَرشِدِ وتحركاته، عمدَ السلاطين السلاجقة بالاتفاق مع الحركة الإسماعيلية النزارية الى قتل الخليفة.

سادساً: واجهت البلاد الإسلامية الخطر الصليبي الذي اشتد في خلافة المُستَرشِدِ، الذي انشغل في سعيه للتخلص من النفوذ السلجوقي عن المشاركة بأي جهد عسكري لمواجهة هذا الخطر.

سابعاً: كانت الحركات الإسماعيلية النزارية قد نجحت في نشر مذهبها في مناطق واسعة من المشرق الإسلامي مستغلة انشغال السلاجقة في صراعاتهم المستمرة، فسيطروا على كثير من القلاع الحصينة، والتي اتخذوها منطلقاً لتنفيذ عملياتهم القائمة على النهب والسلب واغتيال الخلفاء والقادة والعلماء والفقهاء، فتصدى الخليفة المُستَرشِدُ لهذه الحركات وحاربها أتباعها في مناطق حكمه في بغداد وضيق عليهم.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، 1963م، التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طعيمات، ط2، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مكتبة المثنى ببغداد.
- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، 1995م، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد الدقاق، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن تغري بردي، يوسف (ت874هـ/1470م)، (د.ت)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1201م)، 1924م، مناقب بغداد، تحقيق محمد بهجة الأثري البغدادي، مطبعة دار السلام، بغداد.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1201م)، 1992م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت562هـ/1167م)، التذكرة الحمدونية، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية، شريط ميكروفلم رقم (1087).
- ابن خلدون، عبدالرحمن (ت808هـ/1406م)، 1999م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة مزيّدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ/1283م)، (د.ت) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيّدمر (ت809هـ/1407م)، (د.ت)، الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور وأحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- ابن الديبشي، محمد بن سعيد بن يحيى (ت637هـ)، 1974م، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، منشورات وزارة الأعلام، بغداد.
- ابن الساعي، علي بن أنجب (674هـ/1276م)، (د.ت)، نساء الخلفاء، المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق، مصطفى جواد، دار المعارف ، القاهرة.
- ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت926هـ/1521م)، 1993م ، صدق الأخبار تاريخ بن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار جروس برس، طرابلس الشرق.
- ابن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1286م)، 1978م، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبّادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ/1310م)، (د.ت)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت .
- ابن العبري، غروغريوس الملطي (ت685هـ/1287م)، 1986م، تاريخ الزمان، (د.ط)، دار الشرق، بيروت.
- ابن العبري، غروغريوس الملطي (ت685هـ/1287م)، 1958م، تاريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- ابن العديم، عمر بن احمد ابن أبي جرادة (ت660هـ/1262م)، 1988م، زبدة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، (ت1089هـ/1679م) ؛ (د.ت)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1185م)، 1973م، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، لايدن.
- ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت723هـ/1324م)، (د.ت)، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد

ابن قاضي شهبة، بدر الدين، 1971م، الكواكب الدرية في السيرة النورية (تاريخ السلطان نورالدين محمود بن زنكي)، تحقيق : محمود زايد، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، (د.ت)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (697هـ/1298م)، 1957م، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشياك، المطبعة الأميرية، القاهرة.
ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/1349م)، 1970م، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار المعرفة، بيروت.

أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب (ت732هـ/1332م)، 1997م، تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت717هـ/1318م)، (د.ت)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق: مكي السيد جاسم، مكتبة المثلى، بغداد.

الأزدي، علي بن منصور ظافر بن حسين (613هـ/1217م)، 1999م، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد.

إسنفنديار، 2002م، بهاء الدين محمد بن حسن، تاريخ طبرستان، ترجمة وتقديم: أحمد محمد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

الأصفهاني عماد الدين الكاتب (ت597هـ/1201م)، 1955م، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق : محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1201م) زبدة النصر ونخبة العصرة، اختصار الفتح بن محمد البنداري الأصفهاني.

إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205-1343هـ/820-1925م)، 1989م، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة.

إقبال، عباس، 1984م، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.

الآلوسي، عادل محي الدين، "الخلافة المُستَرشد بالله العباسي"، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، العدد 1، السنة 1978م.

أمين، حسين، 1965م، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، بغداد، البغدادي، أحمد بن علي الخطيب (ت463هـ/1071م)، (د.ت)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت.

أمين، حسين، 1964م، "نظام الحكم في العصر السلجوقي"، مجلة سومر العراقية، العدد الأول، بغداد

البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، 1900م، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة.

بيات، فاضل مهدي، 1981م "السياسة السلجوقية في العراق"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثامن عشر، سنة.

بيات، فاضل مهدي، 1984م "علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية 429-447هـ/1038-1055م"، مجلة آداب المستنصرية، العدد التاسع

الجالودي، عليان، 1996م، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (447-590هـ/1055-1193م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

الجميل، رشيد الدين عبدالله، 1980م إمارة الموصل في العصر السلجوقي (489-521هـ)، ط1، جامعة بغداد، بغداد

الجميل، رشيد عبدالله، (د.ت)، تاريخ الدولة العباسية (العصور العباسية لمتأخرة)، دار الفكر العربي، القاهرة.

الجميل، رشيد، 1970م، دولة الأتابكة في الموصل بعد عمادالدين زنكي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت

الجويني، عطا ملك (681هـ/1283م)، جهانگشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، ط1، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق 1985م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني (ت1067هـ/1657م)، (د.ت)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط1، دار الفكر بيروت .

حاتمة، عبد الكريم عبده، 1419هـ/1999. "دور الخليفة المُستَرشد بالله في مواجهة نفوذ السلاجقة (512-529هـ/1118-1135م)"، مجلة جامعة أم القرى، السنة الحادي عشر، ع11، الشريعة والدراسات الإسلامية (2).

الحسو، احمد عبدالله، 2005م، الكرك عبر العصور، وزارة الثقافة الأردنية، عمان

الحسيني، علي بن ناصر (ت622هـ/1226م)، 1985م، زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمد نور، ط1، دار أقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت.

الحسيني، ناصر بن علي (ت575هـ/1180م)، 1984، أخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد إقبال، ط1، دار الأفاق، بيروت.

حلمي، أحمد كمال الدين، 1986م، السلاجقة في التاريخ، ط2، ذات السلاسل، الكويت.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت622هـ/1226م)، 1979م، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626هـ/1226م)، (د.ت)، معجم الأدباء، د.ط، دار المشتشرق، بيروت.

حيص بيص، سعد بن محمد، 1974م، ديوان حيص بيص، تحقيق: مكي جاسم وشاكر هادي شكر، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد.

الخالدي، فاضل، 1968م "الوزارة في العهدين البويهى والسلجوقي في العراق"، مجلة أقلام، ج10، السنة الرابعة.

خليل، عماد الدين، 1982م، عماد الدين زنكي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت

الدوري، عبد العزيز، 1988، النظم الإسلامية، طبعة جديدة، بيت الحكمة، جامعة بغداد.

الديوجي، سعيد ، 1982م، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، (د.ت)، الإشارة الى وفيات الأعيان، تحقيق إبراهيم صالح، ط1، دار ابن الأثير، بيروت.

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، (د.ت)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت.

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، 1337هـ، دول الإسلام، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد.

الذهبي، محمد بن احمد (748هـ/ 1348م)، 1984م سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الراوندي، محمد بن علي (601هـ/ 1205م) 1960م، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله الى العربية إبراهيم أمين الشواربي وآخرون. ردايده، تهاني خالد، 1997م، جيش الخلافة العباسية في الفترة ما بين (447-656هـ/ 1055-1258م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد.

الروبيضي، محمود، 1997م، إمارة الرّها الصليبية (1097-1155م/ 490-550هـ)، الجامعة الأردنية، عمان.

زكار سهيل، 1975 مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، ط3، دار الفكر، بيروت. الزهراني، محمد مسفر، 1986م، نظام الوزارة في الدولة العباسية (334-590هـ العهدين البويهى والسلجوقي) ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الزهراني، محمد مسفر، 1982م، نفوذ السلاجقة السّياسي في الدولة العباسية (447-590هـ) ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت

زيار، حامد زيان غانم، 1983م، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية
زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، 1988م، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في
العصر العباسي (132-656هـ/749-1258م)، جامعة الموصل، الموصل.
سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي التركي (ت 654هـ/1257م)، 1951م،
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط1، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن،
الهند.

السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/1370م)، 1992م، طبقات
الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط2،
دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة.
سميل، ر.سي، 1982م، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، ط1، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1506م)، (د.ت)،
تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتب التجارية، دار
الأرقم للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت.

شاكر، محمود، 1991م، التاريخ الإسلامي، (الدولة العباسية)، ط5، المكتب
الإسلامي، بيروت

شندب، محمد حسين، 1984م، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من
القرن الخامس الهجري (467-512هـ)، ط1، دار النفائس، بيروت.

الصوري، وليم، 1980م، تاريخ الحروب الصليبية، نقله الى العربية وقدم له
سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م.

طقوش، محمد سهيل، 1996م، تاريخ الدولة العباسية، ط1، دار النفائس للطباعة و
النشر و التوزيع، بيروت،

عاشور، سعيد، 1975م، الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

عبد الخالق، شريف، 1990، دراسة الأوضاع العلمية و التعليمية في عهد بني بويه و السلاجقة (334-656هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

العبود، نافع توفيق، 1990 "جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري"، مجلة المورد العراقية، العدد الأول، م1

العزام، صبحي محمود عسود، 2000م، الوزارة العباسية (447-656هـ/1055-1258م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان

عقلة، عصام مصطفى، 1997م، الخلافة العباسية في ضوء رسائل أمين الدولة، دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان.

عمر، فاروق، 1983م، النظم الإسلامية، العين

الغزالي، محمد بن محمد بن احمد (ت505هـ/1112م)، 2002م، فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، تحقيق عبدالكريم الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

غوانمة، يوسف، 1983 "الأفضل بن بدر الجمالي وموقفه من الحملة الصليبية الأولى"، مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود.

الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (عاش في القرن السادس الهجري)، 1974م، تاريخ، تحقيق: بدوي عبدالطيف عوض، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

فوزي، فاروق عمر، 1989م ، النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة (247-656هـ/861-1258م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد.

فبييه، جان موريس، 1990م، أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة حسني زينه، دار المشرق، بيروت.

القرشي، عبد القادر بن محمد (775هـ/1374م)، (د.ت)، ألجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي

القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، مخطوط عالم الكتب بيروت .

القزاز، محمد صالح داود، 1971م، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير (521-656هـ)، مطبعة القضاء، النجف

القلانسي، حمزة (ت555هـ/1161م) 1908م، ذيل تاريخ دمشق، (د،ط)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت.

الكارزوني، علي بن محمد البغدادي (ت697هـ/1298م)، 1970م، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد.

الكسابية، حسين فلاح، 1993م، المؤسسات الإدارية في مركز الخلافة العباسية (الدواوين)، منشورات جامعة مؤتة، المطبعة الوطنية عمان.

مرتضي، نظمي، كلشن خلفا، (د.ت)، نقله الى العربية، موسى كاظم نورس، المجمع العلمي العراقي، بغداد

المقابلة، معن، 1999م، إحياء، الخلافة العباسية، في الفترة من 530-622هـ/1135-1225م، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

المقدسي، عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت661هـ/1263م)، 1997م، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم الزبيق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المقريزي، احمد بن علي (ت845هـ/1442م)، 1971م، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد حلمي محمد، القاهرة.

المقريزي، احمد بن علي (ت845هـ/1442م)، 1956م، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

المنجد، صلاح الدين، 1975م، ولاية دمشق في العهد السلجوقي، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت.

الميداني، محمود عصام، 1995م، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، راجعه عبدالرحمن حميد ط1، دار دمشق للنشر و التوزيع و الطباعة، دمشق.
ناجي، عبد الجبار، 1970م، الإمارة المزيديّة، دار الطباعة الحديثّة، بغداد
النظامي العروضي السمرقندي، چهار مقالة، ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت733هـ/1333م)، 1980م، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق : أحمد كمال زكي ومحمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

هنتس، فالتر، (د.ت)، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية: كمال العسلي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان.
الوزنة، يحيى حمزة، 2004م الدولة السلجوقية، في عهد سنجر (490-552هـ/1096-1157م)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، جدة.

وهيبي، أديل سليمان محمود، 2004م، مدينة الري، في العصر السلجوقي، (434-590هـ/1042-1193م) رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية
اليافعي، عبدالله بن أسعد (ت768هـ/1367م)، 1997م، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت

اليافعي، عبدالله بن أسعد (ت768هـ/1367م)، 1997م، مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/1226م)، (د.ت)، معجم الأديباء، د.ط، دار المشتشرق، بيروت.

- EI², The Encyclopedia of Islam , Leiden, 1995.
Atabak, V1 , pp 731-732
Malik-Shah, VI, PP 273-276. –
Mazyad, VI, PP 965-968.
AL-Mustarshid, VII 733-735.
Saldjukids, VIII, PP 936-979.
Holt, P.M, and others
The Cambridge History of Islam, Cambridge University press
London 1970.
Muir, W.
The Caliphate, its rise, decline, and fall. Kheyats, Beirut, 1963.
Lane-poople, S.
The Mohammadan Dynasties, Beirut, 1966.

ملحق رقم (أ)
أسماء الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي

ملحق رقم (أ)

أسماء الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي

- القائم بأمر الله، عبدالله بن القادر (422-467هـ/1031-1075م)
المقتدي بأمر الله، عبدالله بن محمد بن القائم (467-487هـ/1075-1095م)
المستظهر بالله، أحمد بن المقتدي (487-512هـ/1095-1119م)
المُستَرشِد بالله، الفضل بن المستظهر (512-529هـ/1119-1135م)
الراشد بالله، المنصور بن المُستَرشِد (529-532هـ/1135-1138م)
المقتفي لأمر الله، محمد بن المستظهر (532-555هـ/1137-1161م)
المستجد بالله، يوسف بن المقتفي (555-566هـ/1161-1170م)
والمستضيء بأمر الله، الحسن بن المستجد (566-575هـ/1170-1179م)
الناصر لدين الله، أحمد بن المستضيء (575-622هـ/1180-1226م)

ملحق رقم (ب)

الوزراء العباسيون في خلافة المُستَترِشد (512-529هـ/1119-1135م)

ملحق رقم (ب)

- الوزراء العباسيون في خلافة المُستَرشد (512-529هـ/1119-1135م)
أبو شجاع، محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد (511-
513هـ/1118-1120م)
جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة (513-516هـ/1120-1123م)
أبو نصر أحمد بن نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (516-
517هـ/1123-1124م)
جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة للمرة الثانية (517-522هـ/1124-
1129م)
أبو القاسم علي بن طراد الزينبي (522-527هـ/1129-1133م)
شرف الدين أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني (527-528هـ/1133-
1134م)
أبو القاسم علي بن طراد الزينبي للمرة الثانية (528-529هـ/1134-
1135م)

ملحق رقم (جـ)

أصحاب الشحنة في بغداد في خلافة المُستَرشد

ملحق رقم (جـ)

أصحاب الشحنة في بغداد في خلافة المُستَرشد

أقسنقر البرسقي (512-513هـ/1119-1120م)

منكوبرس (513-513هـ/1120-1120م)

سعد الدولة يرناقش الزكوي (513-516هـ/1120-1123م)

أقسنقر البرسقي للمرة الثانية (516-518هـ/1123-1125م)

سعد الدولة يرناقش الزكوي للمرة الثانية (518-521هـ/1125-1128م)

عماد الدين زنكي (521-522هـ/1128-1129م)

مجاهد الدين بهروز (522-526هـ/1129-1132م)

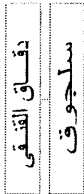
الجاولي الطغرلي (526-529هـ/1132-1135م)

ببكة المحمودي (529-530/1135-1136م)

ملحق رقم (د)
سلسلة النسب السلجوقي

ملحق (د)

سلسلة النسب السلجوقي



ملحق رقم (هـ)

الاغتيالات التي نفذتها الحركة الإسماعيلية في الفترة

(532-485هـ/1093-1138م)

ملحق رقم (هـ)

الاجتياالات التي نفذتها الحركة الإسماعيلية في الفترة

(485-532هـ/1093-1138م)

الشخصية وسنة اغتيالها	الوظيفة التي يتولها	المذهب	المصدر
نظام الملوك الطوسي (485هـ/1093م)	وزير السلطان ملكشاه	سني	ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ الحسيني، العراضة، ص65.
أحمد بن محمد بن أحمد، أبو العباس اللباد (486هـ/1094م)	أحد عدول أصفهان	سني	ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص6.
علي بن هبة الله العجلي، أبو النصر ماكولا (486هـ/1094م)	فقيه ومحدث	سني	ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص7، ابن كثير، البداية، ج12، ص145.
عبد الرحمن السيرمي (490هـ/1097م)	وزير السلطان بركياروق	سني	ابن الأثير، الكامل، ج9، ص12.
الأمير برسسق (490هـ/1097م)	شحنة بغداد وأحد كبار أمراء الدولة	سني	ابن الأثير، الكامل، ج9، ص112؛ ابن خلكان، وفيات، ج1، ص243.
أرغش النظمي (490هـ/1097م)	زوج ابنة عم السلطان بركياروق	سني	ابن الأثير، الكامل، ج9، ص12.
أتر الأمير (492هـ/1099م)	تولى ولاية فارس ثم ولاية العراق	سني	ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص50
الأمير بلكابك (493هـ/) (1100م)	من أمراء السلطان محمد	سني	ابن الأثير، الكامل، ج9، ص30.
سعد الدولة الكوهرائين (493هـ/) (1100م)	شحنة بغداد وأصفهان	سني	ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص56- 57.
أمير الري (493هـ/1100م)	أمير الري	سني	ابن الجوزي، المنتظم، ج17، ص55.
جناح الدولة حسين بن	صاحب حمص	سني	سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، ج8،

ص3؛ القلانسي، ذيل، ص149.			ملاعب (495هـ/1102م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص77؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص50-51.	سني	وزير السلطان بركياروق	الأعز (495هـ/1102م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص83؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص69.	سني	فقيه شافعي	أبو المظفر الخندي (496هـ/1103م)
ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص97-98.	سني	قاضي	أبو العلاء صاعدين النيسابوري (499هـ/—) (1106م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص99؛ ابن كثير، البداية، جـ12، ص167.	سني	وزير السلطان محمد	أبو المظفر علي بن نظام الملك (500هـ/1107م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص113؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص4	سني	قاضي أصفهان ومفتيها	صاعد بن محمد البخاري (502هـ/1109م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص130؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص134.	سني	فقيه ومحدث	عبد الواحد بن إسماعيل الرويني الطبري (502هـ/1109م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص113؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص133؛ ابن كثير، البداية، جـ12، ص170.	سني	قاضي أصفهان	عبيد الله بن علي الخطبي (502هـ/1109م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص117	سني	وزير السلطان محمد	نظام الملك أحمد بن نظام الملك محاولة اغتيال سنة (503هـ/1110م)
الفارقي، تاريخ، ص208؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص123؛ سبط ابن الجوزي، امرأة، ق1، جـ8، ص50.	سني	صاحب الموصل	مودود (508هـ/1115م)
ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص147؛	سني	أحد الأمراء الكبار في عهد السلطان محمد	أحمد بك الأمير (510هـ/1117م)

أحمد ديل بن وهسودان (510هـ/1117م)	صاحب مراغة	سني	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 162.
أحمد بن الأمير (510هـ/1117م)	أحد الأمراء الكبار في عهد السلطان محمد	سني	ابن الجوزي، المنتظم، ج 17، ص 147.
الأفضل بن بدر الجمالي (516هـ/1123م)	وزير الخليفة الفاطمي	شيعي	أبو الفداء، المختصر، ج 2، ص 57؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق 1، ج 8، ص 104-105.
أبو طالب السميرمي (516هـ/1123م)	وزير السلطان محمود	سني	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 215-216؛ الذهبي، الإشارة، ص 263؛ ابن العماد، شذرات، ج 4، ص 50.
أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي (519هـ/1126م)	قاضي القضاة	سني	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 234؛ القلانسي، ذيل، ص 210.
بلك بن بهرام بن أرتق (518هـ/1125م)	صاحب حلب	سني	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 227.
معين الملك أحمد بن الفضل (521هـ/1128م)	وزير السلطان سنجر	سني	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 244-245؛ القلانسي، ذيل، ص 216؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 92.
آق البرسقي (521هـ/1128م)	صاحب الموصل	سني	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 207-208؛ القلانسي، ذيل، ص 216؛ ابن الوردي، تاريخ، ج 2، ص 53.
كردة بازو	ابن ملك طبرستان	سني	إسفندبار، تاريخ طبرستان، ص 387.
بوردي بن طغتكين (526هـ/1132م)	صاحب دمشق	سنة	ابن الأثير، الكامل، ج 9، ص 259-260؛ ابن سبط، تاريخ، ج 1، ص 54.

ملحق رقم (و)
خرائط متعلقة بالدراسة

المعلومات الشخصية

الاسم: حمود مضعان محارب عيال سلمان

الكلية: العلوم الاجتماعية

التخصص: دكتوراه تاريخ

السنة: 2009-2008

تلفون: 0777240711

البريد الالكتروني : Hmoodmad@yahoo.com